الشفا
نسخة حسني غياض

تملك هذه الكتاب الشريف
وانا الفقير السيد محمد ...

بمنه تعالى وكرمه
ملكه عبده ... [illegible]
في ٢٤ ... ١٢٧٩
... مصطفى
محمد الرشيدي
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى عليه الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلوة تنمو وسموتنمى وعلى اله وسلم تسليما

اشرف الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم بنزول قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته واثار قدرته بما ملاء قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله تعالى ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت على السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملاء قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم والرسول والرسالة والنبوة والمحبة

والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه
فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل
فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد
ومداحض تزل بها الاقدام ان لم يعتمد على توفيق
من الله تعالى وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في
هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره
الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي لم
تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه
الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى
على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه
الله بقراءتي عليه قال حدثنا حسين بن محمد قال حدثنا
ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
محمد بن بكر حدثنا سليمان ابن الاشعث حدثنا موسى
ابن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن عبد الحكم
عن عطا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل
عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت
الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من
ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما
المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه
الانسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت

تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل
سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله
فيما يحمد غدا ويذم محله فليس ثمة سوى حضرة النعيم
او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ
مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده
جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع
استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا
اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت
تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا
بتعريف حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم و
حصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول في
تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي الكرام قولا وفعلا والكلام
فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه
واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا
وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا و
فيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من
صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثني
عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه
من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرا
مات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من

ولكان يجب عليه ان يهتم بنفسه

حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته
ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في
تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم و
فرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح
من الامور البشرية ان يضاف اليه ﷺ وهذا القسم
اكرمك الله هو سر الكتاب وثمرة هذه الابواب وما قبله
له كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت
البينات وهو الحكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التا
ليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي عن
عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب
المؤمن باليقين وتملا انواره جوانح صدره ويقدر
العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين
الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول
في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في
احواله الدنيوية وما يجوز طرأوه عليه من الاعراض
البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان
ماهو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه

عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه
ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث
جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين
قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملا
ئكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها
ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب وتلوح في
غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور
قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا سواه استعين

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا

قال الفقيه القاضي
ابو الفضل عياض رضي الله عنه لا خفاء على من مارس
شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله
تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط بزمام
وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام
فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه
واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه
وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى
ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزا
الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى

عظيم القدر

ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميده والمذاهب الكريمة والفضائل العديده وتاييده
بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه
وعلمها علم اليقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة
ذلك الينا وفاضت انوار علينا صلى الله عليه و
سلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن
محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو
الحسين المبارك بن عبد الجبار ... وابو الفضل
احمد بن خيرون قال حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا
ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب قال حدثنا ابو
عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور
عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة
اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له
جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثناء الله تعالى

عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله
العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه
وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره واعتمد
نا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال السمرقندي و
قرا بعضهم انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي
الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى اعلم الله المؤمنين او العرب
واهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
بهذا الخطاب ان الله بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه
ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه
بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن
في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله
الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في
دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم
قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رءوف رحيم ومثله
في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام
في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس
في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت

فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن عبا
س رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله
عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم
في الصورة البسه من نعته الرافة ورحمته واخرجه الى الخلق
سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلايق فمن
اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومما
ته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم
كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي
رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومنين
رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة
للكافرين بتاخير العذاب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم
من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة

شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل
علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام
لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من
اجل كرامته محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله
تعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن
جبير المراد بالنور الثاني هاهنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات
والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد
زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في
هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى
في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال
تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا
منيرا فقال تعالى ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح والمراد بالصدر هنا
القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام

وبالايمان قال سهل بنور الرسالة وقال الحسن حكما وعلما
قبل مضاه الى تطهير قلبك حتى لا يوديك الوسواس وو
ضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من
ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد
ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى و
السلمى وقيل عطا عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك
حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك قال يحى بن آدم
بالنبوة وقيل اراد اذا ذكرت ذكرت معى يعنى قول لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال القاضى ابو الفضل عياض
رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه و
سلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعى العلم
وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله و
حط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع ذكره فى الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى
ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قال اتانى جبريل عليه السلام فقال ان ربى وربك
يقول تدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء

جعلت

جعلت تمام الايمان بذكرى معك وقال ايضا جعلتك ذكرا
من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى قال جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية واشار بعضهم
فى ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن
طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله
والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركه ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه السلام
حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما اجا
زنيه وقراءته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمرى قال
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر ابن داسة
حدثنا ابو داود السجزى حدثنا ابو الوليد الطيالسى حدثنا
شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا
يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابى ارشدهم صلى الله
تعالى عليه وسلم الى الادب فى تقديم مشية الله تعالى
على مشية من سواه واختارها بثم التى للنسق
والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك ومثله الحديث
الاخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله عليه و
سلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم
انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين
اسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره

تعالى

لثقة

الى الله انما كرن له الوقوف على بعضهما وقول ابى سليمان اصح
لما روى في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على بعضهما فقد اختلف المفسرون
واصحاب المعانى فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبى هل يصلون راجعة فيه الى الله تعالى وملائكته
ام لا بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك و
خصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلى و
ملائكته يصلون وقد روى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين
روى انه لما انزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان
نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما
لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى فى ام
الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم فقال ابو العالية والحسن البصرى الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه والسلم
وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن
الماوردى وحكى مكى عنهما نحوه وقال هو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندى مثله عن ابى
العالية فى قوله صراط الذين انعمت عليهم قال

فبلغ

فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردى ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم
عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم
فى تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التو
حيد وقال سهل فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين
اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرى
صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر وقيل على وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد
فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم

الفصل الثاني في

وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرا
مة قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا جمع الله تعالى له فى هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة
وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته
لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى من خصائصه عليه
السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى
به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال
ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسى

حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا
هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العا
ص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله
حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عن
عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن
ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش
ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل
خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره و
التقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به
بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني
به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل
امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر

يعفو

اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته
في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
او قال طيبة امته الحمادون الله على كل حال وقال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقال تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله
تعالى منته ان جعل رسوله صلى الله عليه وسلم رحيما
بالمومنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا
لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلنا
كم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس
وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيدا الاية
وقوله وسطا اي عدولا اخيارا ومعنى هذه الاية كما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على
اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق وقيل ان الله
جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء عليهم السلام
ويزكيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل

معنى الاية انكم حجة على من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندى وقال تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتاده والحسن
وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هى مصيبتهم
بنبيهم وعن ابى سعيد الخدرى هى شفاعة نبيهم محمد
صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التسترى هو سابقه رحمة اودعها فى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن على الترمذى هو امام الصا
دقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى رضى الله عنه

الفصل الثانى فيما ورد فى خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من
ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد
المكى قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندى عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا
سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق
قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو
حتى يسكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين الصادق فى عذره من الكاذب وفى هذا من عظيم منزلته
عند الله ما لا يخفى على ذى لب ومن اكرامه اياه وبره به ما
ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه

ذهب

ذهب ناس الى ان النبى صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه
الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه
الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه
فى الاذن قال الفقيه القاضى ابو الفضل رضى الله عنه يجب
على المسلم المجاهد نفسه الرايض بزمام الشريعة خلقه
ان يتادب باداب القران فى قوله وفعله ومعاطاته ومحا
وراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب
الدينية والدنيويه وليتامل هذه الملاطفة العجيبة والسؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغنى عن الجميع ويستثير
ما فيها من الفوايد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس
بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط
المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بتثبيته وسلا
مته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيفة ان يركن اليه ففى اثناء
عتبه براءته وفى ضمن تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله
تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية قال على رضى الله عنه قال ابو جهل للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله
فانهم لا يكذبونك الاية وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك
فقال كذبنى قومى فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله

وحاشاه

المجا

تعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسلية
تعالى له عليه السلام والطافه به في القول بان قرر عنده انه
صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا فقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم
جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم و
طوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما
ذكره عن من قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت
رسل من قبلك الاية فمن قرا لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون
انك كاذبا وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا
بالتشديد فمعناه ولا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصايصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم
يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره
صلى الله عليه وسلم تسليما قال الله تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا
انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله

عليه والسلام

عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك و
قيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنه ما خلق الله وما ذرا وما برا
نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما
سمعت الله تعالى اقسم بحيوة احد غيره قال ابو الجوزاء
ما اقسم الله بحيوة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم
الايات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى
ابو محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس
اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم و
عن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو
من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل
يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن
كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض
بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه
صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه
من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم
الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده
لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه
وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط

ثم قال والقران الحكيم انك
لمن المرسلين

مستقيم من ايمانه اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة فى كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل
من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام
انا سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل
بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكى وقيل لا زائدة اى اقسم به وانت به
يا محمد حلال وحل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد
بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطى اى نحلف لك
بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا
يعنى المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله جل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء فى
تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه
فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال عز وجل
ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابراهيم
عليه السلام وما ولد فهى ان شاء الله اشارة الى محمد
صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به فى مو
ضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب وقال ابن عباس
هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها
غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التسترى الالف هو الله
تعالى واللام جبريل والميم محمد عليه السلام وحكى
هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه
الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه و
عم

ولا تحل لك
صح

على

على الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب
فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم
وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم
بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل
هو اسم للقران وقيل هو اسم الله وقيل جبل محيط
بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر ابن محمد فى تفسير
والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم
قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن
غير الله وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس فى
قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال جل
اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف فى
سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبى
صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة فى ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند
فترة الوحى فنزلت السورة قال القاضى ابو الفضل
تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به
وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره
به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة الثانى بيان مكانته
عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى
اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان

اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال
ابن اسحق اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع
قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه
الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة
قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة
وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ليس فى القران
اية ارجا منها ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده تعالى
عليه من نعمه وقرره من الاية قبله فى بقية السورة من هدا
يته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة
والغنا ويتيما فحدب عليه عمه فاواه اليه وقيل اواه الى الله
تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليك وقيل المعنى الم
يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما
ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمل فى حال
صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته له ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره با
ظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم

اذا هوى الى قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف
المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام
وقال هو قلب محمد وقد قيل فى قوله والسماء والطارق وما
ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه الايات من فضله
وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحى يو
حى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر
تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة
المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه من ايات ربه الكبرى
وقد نبه على مثله هذا تعالى فى اول سورة الاسراء ولما كان
ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من
عجايب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع
ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع
من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى من
ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى
وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الايات الكبرى قال الفقيه
القاضى واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكيته
عليه السلام وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى
فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى

ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ
البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه
لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ
ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل
عنده مطاع ثم اى فى السماء امين على الوحى قال على بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع
الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فرجع الاوصا
ف اليه ولقد راه يعنى محمدا قيل راى ربه وقيل راى جبريل
فى صورته وما هو على الغيب بضنين اى بمتهم ومن قرا
بالضاد فمعناه ما بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه
وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات
اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله
بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات الاداب فى المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يا
خذه عدو ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرفى التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم
قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل
ليس لك همة الا الله قال الواسطى اثنى عليه بحسن قبوله
لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه

جبله

جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الذى يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر و
يبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم
عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة
من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير
الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصدق بتمام شقايه و
خاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة
الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ
من رده واثبت فى ديوان مجده **الفصل السادس** فيما
ورد من قوله تعالى فى جهته عليه السلام مورد
الشفقة والاكرام وقال الله تعالى طه ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام
وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان
وقيل هى حروف مقطعة لمعان قال الواسطى اراد
يا طاهر يا هادى وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية
عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى نزلت الاية فيما كان النبى صلى الله
عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير وا

تتعب

واحمد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله
نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد
الحموي حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا
هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعني طاء الارض يا محمد ما انزلنا عليك
القران [illegible] بما في هذا كله من الاكرام و
حسن [illegible] وجعلنا طه من اسمائه عليه
السلام كما [illegible] وجعلت قسماً لحق الفصل
بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظاً
او جزعا ومثل قوله ايضاً لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين ثم قال ان نشاء ننزل عليهم من السماء
اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال
مكي سلاه تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقا من المشركين
واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل من قبله
ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما
اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون

عبوس حسن حدثنا [?] رجل

لحق

في سورة الكهف

في سورة الشعرا

في سورة الحجر

في سورة الانعام

في سورة فاطر

في سورة الذاريات

عزاه الله بما اخبره عن الامم السالفة ومقالها لانبيا
ئهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته
بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم
طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم
اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت
وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم [illegible] حيث نراك
ونحفظك سلاه الله بهذا في اي كثيرة من
هذا المعنى [illegible] فيما خبر الله به في كتابه
العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا
وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو
ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبياً الا ذكر له محمداً ونعته واخذ عليه
ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويا
خذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث
الله نبيا من لدن ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي
ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه

في سورة ال عمران

ونحوه عن السدى وقتادة فى اى تضمنت فضلا من غير
وجه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
الى قوله وكيلا وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
انه قال فى كلام بكاية النبى صلى الله عليه وسلم فقال
بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند الله ان [illegible] اخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية
بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطا
قها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت اول
الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره
مقدما قبل نوح وغيره وقال السمرقندى فى هذا التفضيل
نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم
فالمعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر
ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم
درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر
والاسود واحلت له الغنايم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد
اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها قال بعضهم
ومن فضله عليه السلام ان الله تعالى خاطب الانبياء

باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال تعالى
يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى
فى قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الهاء عايدة على
محمد اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح عليه
السلام الفصل الثامن فى اعلام الله تعالى خلقه
بصلواته عليه ولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت
بمكة فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة
وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله
ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت
وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته
صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب
كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم
اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديا
رهم واموالهم وفى الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القا
ضى الشهيد ابو على رحمه الله بقراتى عليه حدثنا ابو الفضل
بن خيرون وابو الحسن الصيرفى قالا حدثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد بن
محبوب المروزى حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا
سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل ابن ابراهيم

بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة ابن ابى موسى عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله على امانين
لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار
ونحوه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه
السلام انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الا
عظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت
سنته فانتظر البلاء والفتن قال الله تعالى ان الله وملئكته
يصلون على النبى الاية اى ان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه
وسلم بصلوته عليه ثم بصلوة ملئكته وامر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء
تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة على
هذا اى فى صلاة الله على وملئكته وامره الامة بذلك الى يوم
القيمة والصلاة من الملئكة استغفار ومنا له دعاء ومن الله
رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلوة
والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين
فى تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله
لنبيه قال تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايه قال
ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده له قال تعالى
وايدك بنصره والعين عصمته له قال تعالى والله يعصمك
من الناس والصاد صلوته عليه قال تعالى وملئكته

فى سورة الانبياء

فى سورة الاحزاب

فى سورة الفتح

فى سورة المائدة

يصلّون

يصلون على النبى وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه
الاية مولاه اى وليه وصالح المومنين قيل الانبياء وقيل الملئكة
وقيل ابو بكر وعمر وقيل على وقيل المؤمنين على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته عليه السلام قال الله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت
هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى
ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله
باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على
عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان
وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى
انك مغفور لك وقال مكى جعل المنة سببا للمغفرة وكل
من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك وقيل
بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه
له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره والنصر العزيز
ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التى جعلها
فى قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو
عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوهم فى الدنيا والاخرة
ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه
وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة

فى سورة التحريم

في سورة الفتح

لهم وقيل شاهداً بالتوحيد ومبشراً لامته بالثواب وقيل
بالمغفرة ومنذراً عدوه بالعذاب وقيل محذراً من الضلال لان
ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اى يجلونه
وقيل ينصرونه وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه اى يعظمونه
وقرا بعضهم يعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا
فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال تعالى ويسبحوه
فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو
من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية
والمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهى الدعوة الى مشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته
ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه
فى المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر
والاسود واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا
مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره وذكره ورضاه برضاه
وجعله ركنى التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبا
يعون الله يعنى ببيعة الرضوان اى انما يبايعون بيعون الله
ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة
قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد بعقد بيعتهم
اياه وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد يكون

وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول فى باب المجاز
وهذا على الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة هو الله
تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته ولانه
ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت
حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة
لهم حقيقة وقد قيل فى الاية الاخرى انها على المجاز
العرفى ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم وما
رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن
الله رمى قلوبهم بالجزع اى ان نفعة الرمى كانت من فعل الله
تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر
فيما اظهره الله تعالى فى كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه
قبل من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة الاسراء فى سورة
سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته
وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته
من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه فى هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا فى امره والاخذ على
ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه
فى الغار وما ظهر فى ذلك من الايات ونزول السكينة عليه
وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث

صح المعجزات

والتسبير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر
اعلمه الله بما اعطاه الله والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة
وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه
قوله فقال تعالى ان شانئك هو الابتر اى عدوك مبغضك
والابتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد او الذى لا خير فيه وقال
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم قيل
السبع المثانى السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران
وقيل السبع المثانى ام القران والقران العظيم سائره وقيل
السبع المثانى ما فى القران من امر ونهى وبشرى وانذار
وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا القران وقيل سميت
ام القران مثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل بل الله
استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون
الانبياء وسمى القران مثانى لان القصص تثنى وقيل
السبع المثانى كرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال
تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى يا ايها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصا
يصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت

الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى
بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر فهو ما
ض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع
امره اولى من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم
اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج فى الاخرة وقد
قرى وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وقال
تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها
اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما
الباب الثانى فى تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب
لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان
خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب دينى وهو
ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هى على فرقين ايضا منها
ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل
فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب
مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه
واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم ارضه ويلحق بهذه ما تدعوه ضرورة حياته اليه

وجمال

خلقته

من غذايه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه
وقد تلحق هذه الخصال الاخيرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود
الضرورة وقوانين الشريعة فاما المكتسبة الاخروية فسا
ير الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم
والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة
والجود والشجاعة والحيا والمروة والصمت والتؤدة والو
قار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى
التى جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق
ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لابد ان تكون فيه من اصو
لها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله وتكون
هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار
الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها
وتفضيلها فصل اذا كانت خصال الكمال والجلال
ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او
اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال
او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة يعظم قدره
وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك
فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم
بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فى كل هذ
الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال

بكسب

بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا والاسراء
والروية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة
بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة
والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضا والسؤال والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول
السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثانى والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء
الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة
دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم
ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصاء وابراء
الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له فى
الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التى تقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله

لاخفاء على القطع بالجملة انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلا
الناس قدرًا واعظمهم محلا واكملهم محاسنًا وفضلا و
قد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبًا جميلا شوقني
الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم
تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي
الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي
غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه
وسلم حائزًا بجميعها محيطًا بشتات محاسنها دون خلاف
بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما
الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جا
ءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث
علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعايشة
ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل
والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل
اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سواء البطن و
الصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام
عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة
ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول

الاطالة

الاطاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضا
حكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا
ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم
قال البراء بن عازب ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت شيئًا احسن من رسول الله صلى الله عليه و
سلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ
في الجدر وقال جابر بن شمرة وقال له رجل كان وجهه
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا مثل الشمس
والقمر وكان مستديرًا وقالت ام معبد في بعض ما
وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من
قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه
له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم اره قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والا
حاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها
وجملة فيها الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هناك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه
وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد

انتهى عن حصال
العلى ابن الغير وقال
ابن الدبير على لنظافة

في غيره نفذ نمطها بنظافة. حدثنا سفيان بن العاصي
وغير واحد قال حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس
الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان
عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرًا قط ولا
مسكًا ولا شيئًا اطيب من ريح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه
وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردًا وريحًا كانما
اخرجها من جونة عطار قال غيره مستها بطيب
او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها
عرقه فسالها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقا
لت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر
البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان
تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله تعالى عليه
وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان
يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه

وسلم

شممت

مسلما وروى عن جابر قال
اردفني النبي صلى الله عليه وسلم
... فالتقمت خاتم النبوة
... فكان ينم على مسكا

وسلم وهذا الخبر وان لم يكن مشهورًا فقد قال قوم
من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه
وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي وقد حكى قولين
عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع
في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئًا فقلت طبت
حيًا وميتًا وسطعت منه ريح طيبة لم يوجد مثلها
قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله تعالى عليه
وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله
بن زبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس
وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه
في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
ابدًا ولم يامر واحدًا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده
وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدار
قطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن كانت تخدم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع
تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده

الكيلة

صلى الله عليه وسلم تسليما

بغسل فم

اي بمعنى ظرف

فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقال قمت وانا عطشا
نة فشربته واذا الا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض الروايات قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروى عن امنة ام امنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضى الله تعالى عنها ما
رايت فرج رسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم قط
وعن على رضى الله تعالى عنه اوصانى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى احد عورتى الا
طمست عيناه وفى حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط
فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله
تعالى عليه وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله و
ذكاء لبته وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال
حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه كان اعقل الناس و
اذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم
وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمايله وبديع
سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول
بديهة وهذا ما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه وقد قال
وهب بن منبه قرات فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى
جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا وفى رواية اخرى فوجدت فى جميعها

ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضا
ئها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا
كحبة رمل بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلوة يرى من خلفه
كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين
وفى الموطاء عنه عليه السلام انى لاراكم من وراء ظهرى
ونحوه عن انس فى الصحيحين وعن عايشة مثله وقالت زيادة
زادها الله اياها فى حجته وفى بعض الروايات انى لانظر من ورائى
كما انظر الى من بين يدى وفى اخرى انى لابصر من ورائى كما
ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد عن عايشة قالت كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء
والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤية صلى الله تعالى عليه وسلم
للملئكة والشياطين ورفع النجاشى له حتى صلى الله عليه و
سلم وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى
مسجده وقد حكى عنه انه كان يرى فى الثريا احد عشر
نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد ابن
حنبل وغيره واذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة فى ذلك وهى من خواص الانبياء وخصا
لهم كما حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه
حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغانى حدثنا ام القاسم بنت ابى
عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد بن الحسنى
حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان
حدثنا محمد بن محمود بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا

الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام
كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ
ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الا
الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت
الاخبار انه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الا
سلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلث مرات كل ذلك يصرعه صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث
وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة
اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة
طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص
ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها
بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى
كان كثير من اصحابه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحقيقه وليس كلامه
مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المعشار
الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن
قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك

بلغة ها

اليمن وانظر كتابه الى همدان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من
دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم
من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد
اللهم بارك لهم في محضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر
وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان
مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفر
يش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق و
تاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابا فعليه
الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشا
بيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك
وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه
بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل
مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه
لانس في الصدقة المشهورة لما كان كلام هؤلاء على
هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس

بما يعملون وكقوله في حديث عطية السعدي قال
اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم سل عنك اى سل عم
شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس
فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب و
منها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط
والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك
ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره
والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله
عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم
واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم
مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا
الذين يالفون ويؤلفون وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عليه السلام عن قيل وقال
وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الامهات واد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم
ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني

اسئلك

اسئلك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها امرى وتلم
بها شعثى وتصلح بها غايبى وترفع بها شاهدى وتزكى
بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها
من كل سوء اللهم اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره
وقد جمعت من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر احد
ان يفرح في قالبه عليها كقوله حمى الوطيس ومات حتف
انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره
في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب
به الكفر في ادانى حكمها وقال له اصحابه ما راينا الذى
هو افصح منك فقال وما يمنعنى وانما انزل القران بلسان
عربى مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات
في بنى سعد فجمع له صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق
كلامها الى التاييد الالهى مدده الوحى الذى لا يحيط
بعلمه بشرى وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق
فصل لا نذر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان
جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج
الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه فانه

علمی

حکیمها
بدل

نخبة بني هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف العرب
واعزهم نفراً من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم
بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين
بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان
بن خلف حدثنا ابو ذر عبد الله بن احمد حدثنا ابو
محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد ابن اسمعيل حدثنا قتيبة
بن سعيد حدثنا يعقوب عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرناً حتى كنت
من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً
وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى بني كنانة قريشاً واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وقال الترمذي
وهذا حديث صحيح في حديث عن ابن عمر رواه الطبري
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار
منهم بني ادم ثم اختار بني ادم منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشاً ثم اختار قريشاً فاختارني

هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خياراً من
خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب
فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشاً كانت نوراً
بين ايدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك
النور وتسبيح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك
النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاهبطني الله الى الارض في صلب نوح وقذفني في صلب
ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا
على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور فصل
واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة
اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته
وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال
بقلته اتفاقاً وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على نهمه والحرص
والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة
جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب الصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان
كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير

زهبطا آدم ثم

نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا
مايعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من
كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف
مما لايحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهاد العلم به وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد
اخذ من الفنين بالاقل هذا ما لايدفع من سيرته وهو الذى
امر به وحض عليه لاسيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو على الصدفى الحافظ بقراتى عليه حدثنا ابو الفضل
الاصبهانى حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان
احمد حدثنا بكر بن احمد حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا
معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن
معدى كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه ولان كثيرة النوم من كثرة
الاكل والشرب قال سفيان الثورى بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لاتاكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
اى كثرة الايدى وعن عايشة رضى الله عنها لم يمتلى جوف
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وانه كان فى
اهله لايسئلهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما

اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة
وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان
سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من
امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية فى حكمة لقمان
يابنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم
لمن ياكل حتى يشبع وفى صحيح الحديث قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئا والاتكاء هو التمكن
للاكل والتقعدد فى الجلوس له كالمتربع وشبهه من
تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على
هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى صلى الله
عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند
المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد
قال ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان نومه على جانبه
الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الا
يسر اهنى لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء
الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى
ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام على الايمن تعلق

القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل**
الضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة
والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة و
قد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا
اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم
تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله
عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض
البصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح
في الزهد قال سهيل بن عبد الله قد حبّبن الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثير الزوجات والسراري كثير النكاح وحكي
في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره
غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليه السلام
قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله بالعجز
عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام قد تبتل
من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه
حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له
بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه

حذاق ونقاد العلماء

وانما
معصوم

معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة
في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح
نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما
بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى
عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير
من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
علياء وهي درجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي
لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة
لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته
اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم
فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين من امور
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس التي لدنياه بل لآخرته
للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب
ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك
اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره و
قمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين
وفصل بين الحالين فقال عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن
وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله تعالى عليه

وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا
ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس
انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث
انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه
النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان
عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة
رجل وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش
وغيره سبع مائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود
عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون
امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس
باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمته
في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض
الناس لعقبى الاخرة ولذلك ذمه من ذمه ومدح ضده
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان
صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة في الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية

حتى اذا

حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره
في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت
ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته
ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي
حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست
بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته
بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر
هو مبلغ النهاية ثم في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى
هذا القول نظمنا هذا القسم باسره فصل فاما الضرب
الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه
بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه
وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن
والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذ
لك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال و
متى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا
على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم
يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل و
مذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله

جمعهم

مسكينة

التفصيل

ليست لنفسه وانّما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه فى
متصرّفاته بجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه
غير ملى بالحقيقة ولا غنىّ بالمعنى ولا ممدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ مابيده
من المال الموصل لها لم يسلّط عليه فاشبه خازن مال
غيره ولا مال له فكانّه ليس فى يده منه شئ والمنفق ملىء غنىّ
بتحصيله فوايد المال وان لم يبق فى يده من المال شئ فانظر
سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى خلقه فى المال
تجده قد اوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلّت له
الغنائم ولم تحلّ لنبىّ قبله وفتح عليه فى حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما
دانا ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبا للملوك الا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا امسك
درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوّى به المسلمين
وقال ما يسرّنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه دينا
ر الا رصده لدينى واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت بقية
فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها
وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة فى نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو
ضرورته اليه وزهد فيما سواه كان يلبس ما
وجده فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوّصة

بالذهب

بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة فى الملابس والتزيّن
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهى من سمات
النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى
جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما
لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية
الفخر فيه فى العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهى بجودة المسكن وسعة المنزل
وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه
ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة الما
لية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كان فضيلة زائد
عليها فى الفخر ومعرق فى المدح باضرابه عنها وزهده
فى فائتها وبذلها فى مظانّها فصل واما الخصال المكتسبة
من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التى جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها
فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعا
دة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهى المسمات بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس
واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها
فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله
تعالى عليه بذلك فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضى الله عنها كان خلقه القران يرضا برضاه
ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم

الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم احسن الناس خلقًا وعن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا
عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر
الانبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى
ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله عليهم بل غرزت فيهم
هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة
قال تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى الله
يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن
سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب معنا فقال
اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق
يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى
تقول لمريم عليها السلام اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على من قراء من
تحتها وقول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه
في مهده وقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال
تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من
حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة و
في قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان

عمره كان

عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة
موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
في قوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرًا
قال مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفيناه قبل ابداء خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابرهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا يامره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق
بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل
اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب
بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير
ذلك مما ذكر من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت
وهب اخبرت ان نبينا محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين
ولد باسطا يديه على الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه
صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان و
بغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله
عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية
ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال
الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما
بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع
على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه

اكتساب تمامها غايته من الله تعالى كما نشاهد من خلقة
بعض الصبيان على حسن السمت اوالشهامة اوصدق
اللسان والسماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها
ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها
هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى
ابو سعد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فى حديثه والجرأة والجبن غرائز
يضعهما الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق
وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل اما اصل فروعها وعنصر
ينبوعها ونقطة دايرتها فالعقل الذى ينبعث منه العلم والمعرفة
ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله تعالى عليه
وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه
واذ جلالة محله من ذلك وتفرع منه متحقق عند من تتبع
مجارى احواله واطراد سيره فطالع بعد مع كلامه وحسن

شمائله

وطالع جوامع كلامه

٢٢

شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة
والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية
وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع
وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى
اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك
مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله دون تعليم ولا مدارسة ولا
مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبى امى
لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان
القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا
اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع
وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى ساير
ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجايب
قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه
وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما
يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات
عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام
والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المواخذة وهذه كلها مما ادب الله به نبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية

فصل حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم

وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه
هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم
ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصا
بك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل و
قال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله فان كل
حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي
وغيره حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي
وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين قط
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه
الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق
ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال
في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية ولو دعوت

علينا

علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودر
جات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع
لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه
قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال كن
خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم
من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه
عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح
من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره

وقد اعلى بدوا وحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابى واشباهه
من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا بل قال
لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابى بردائه جبذة شديدة
حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا محمد
احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل
لى من مالك ولا من مال ابيك فسكت صلى الله تعالى عليه
وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبد الله ثم قال ويقاد منك يا اعرابى
ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافى بالسيئة السيئة
فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رايت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم يكن
حرمة من محارم الله ولا ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد
فى سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امراة وجئ اليه برجل فقيل
هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن
تراع ولو اردت ذلك لم تسلط على وجاءه زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ عليه ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب
مطل فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا
وهو كنا احوج منك يا عمر يا تامرنى بحسن القضاء وتامره

بحسن

بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله ثلث وامر عمر ان يقضيه
ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه ذلك
انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها
فى محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل الا حلما فاخبره بهذا فوجده كما وصف والحديث
عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند القدرة اكثر من ان
ناتى عليه وحسبك ما ذكرناه مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة
الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش
واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان
اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى
استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا
وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم فقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم
الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا
من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل
الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية وقال عليه السلام
لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول
ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال
بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضا صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما الجود والكرم

والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم
خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة
والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى
الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله حدثنا القاضى ابو الوليد
الباجى حدثنا ابو ذر الهروى حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى
وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى قالوا حدثنا ابو
عبد الله الفربرى حدثنا البخارى حدثنا محمد بن كثير
اخبرنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله
يقول ما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن شئ فقال
لا وعن انس وسهل بن سعيد مثله وقال ابن عباس كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود
ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان
محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهى كانت
حاله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال
له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هو

اذن

اذن سباياها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على
حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فساله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ
قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله
تعالى عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذى وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب
يريد قثاء فاعطانى ملء كفيه حليا وذهبا وقال انس
كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكرمه كثير وعن
ابى هريرة اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله
فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف
وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه
قضاء ونصفه نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة
ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد
فعلها دون خوف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح
ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت
له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه

وسلم حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي
سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
ابن المثنى حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق
سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال رايته على بغلته البيضاء
وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله تعالى عليه و
سلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب
قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره
نزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين وطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة
ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس و
يروى اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسو
ل الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو
منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه

وسلم

نحن

وسلم هو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ
باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه
وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه كا
ن النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل
الصوت فتلقاهم رسول الله عليه السلام راجعا قد
سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا وقال
عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم
احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول
للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له
النبي عليه السلام انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما رآه
يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من
يد الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه
تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله
النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ
منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه
فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا
باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس

فرسه

قد قال انا اقتلك والله لو بصق على القتلى فمات بسرف
فى قفولهم الى مكة. فصل واما الحياء والاغضاء فالحيا
رقة تعترى وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته
او ما يكون تركه خيرًا من فعله والاغضاء التغافل عما
يكره الانسان بطبيعته وكان النبى صلى الله عليه و
سلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء .
قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى
منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله عليه
بقراءتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسى ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا عبدان
ثنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله
مولى انس عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها
وكان اذا كره شيا عرفناه فى وجهه وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدًا
بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضى الله عنه
كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام
يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله
وروى انس رضى الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر
صفرة فلم يقل له شيئًا وكان لا يواجه احدا بما يكره
فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عائشة رضى الله عنها فى الصحيح لم يكن النبى صلى الله

عليه

عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا فى الاسواق
ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكى
مثل هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله
بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وروى عنه عليه السلام
انه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه احد وانه كان
يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضى الله
عنها ما رايت فرج رسول الله عليه السلام قط
فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله
عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال على رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه
وسلم كان اجود الناس صدرًا واصدق الناس لهجة
والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن
على بن مشرف الانماطى فيما اجازنيه وقراته على غيره قال
ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابى
ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى ثنا الو
ليد بن مسلم ثنا الاوزاعى قال سمعت يحيى ابن ابى كثير
يقول ثنا محمد بن عبد الرحمن ابن اسعد ابن زرارة عن
قيس بن سعد رضى الله عنه قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر قصة فى اخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حمارًا وطاء عليه بقطيفة فركب رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال لى اما ان

تركت وامّا ان تنصرف فاخرقت في رواية اخرى اركب
انا فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه
وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى
عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي
كل جلسائه نصيب لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه
منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم ابا وصاروا عنده في الخلق سواء بهذا
وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما يشتهي ولا يؤيس
منه وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي
احسن السيئة الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس رضي الله عنه خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي
اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان احد احسن
خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد
من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير ابن
عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ

اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يخارج اصحابه ويحا
لطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره
ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى
في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله
عنه ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي
رأسه حتى يكون الرجل الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ
اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط
له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم اليهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه
بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام ويروى انه كان
لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته و
سأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران
او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا
اكثر تبسما من رسول الله عليه السلام وعن انس
رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله
عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى
بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة
الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة

والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
السلام ان الله اصطفاه واعطاه اسمين من اسمائه
فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابوبكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله ابن محمد الخشني بقرائتي
عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفا
رسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا
مسلم ابن الحجاج ثنا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب حدثنا
يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزوة ذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صفوان ابن امية مائة من النعم ثم مائة
مائة قال ابن شهاب حدثنا سعد بن المسيب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق
الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان
اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت
اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال
نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس
اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك

قال نعم

قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس
فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي
فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه
دخل النار وروي عنه عليه السلام قال لا يبلغني احد
منكم عن احد من اصحابي شيئا واني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام
تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة
ان يفرض عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على
امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل
ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يتعنت
امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه
كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن شفقته صلى الله
عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته
او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه
السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا
عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه
ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت ان شئت

ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل
ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا
يشرك به شيا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اوخر عن امتي العذاب لعل الله ان يتوب عليهم
قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما قال ابن مسعود كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة
علينا وعن عايشة رضي الله عنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم
في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا القاضي ابو
عامر محمد بن اسماعيل بقرائتي عليه حدثنا ابو بكر محمد بن محمد
حدثنا اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا
ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا
محمد بن سنان حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن
ابي الحمسا قال بعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل
ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتاه بها في مكانه
فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكان فقال
يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن
انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال
اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة

انها كانت

انها كانت تحب خديجة رضي الله عنها وعن عايشة رضي الله
عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه
يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها واستا
ذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها
واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا
ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم
فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان ال بني فلان ليسوا لي
باوليا غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى الله عليه
الصلوة والسلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه
فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وقد وفد
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
واني احب ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيما
في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان
احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى
قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى
دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه
قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانب الاخر فجلست عليه ثم

اقبل اخوهم من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي
لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سئل من بقي
من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها
انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله
ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا و
واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك
فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة
واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد
العواد الفقيه رحمه الله في منزله بقرطبة سنة سبع و
خمسمائة قال حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر ثنا ابن عبد
المؤمن ثنا ابن تمير ثنا ابن داسه ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن
ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي
العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى
فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم تعظم بعضها بعضا وقال
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار
ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب
دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى
به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه لا تطروني كما

اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي
اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال
انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب
دعوة العبد وكان يوم يدعى الى خبز الشعير الى بني قريظة على
حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى
خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي
اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة
بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على
رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن
متى ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروني على موسى ونحن
احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن
لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم
وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى
وعن عائشة والحسن وعن ابي سعيد وغيرهم في صفته
صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته
في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف

ناصحه وناكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا نفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان قد اعترف له بذلك محاربوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين فقد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء وامين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي

الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله عليهم فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان فيكم محمد غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر قط وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنيا

هم يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزء نهاره ثلثة اجزاء جزء لله
وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزء جزؤه بينه وبين الناس فكان
يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا
يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها
امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بقرف احد ولا يصدق
احداً على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه
عليه السلام ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون
به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة
سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر
فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم
اقض شيئاً ثم عرض لي مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد
ذلك بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته
ومروته وحسن هديه حدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة
وعارضته بكتابه قال ثنا ابو العباس الدلائي ثنا ابو ذر
الهروي ثنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللولوي ثنا ابو داود
عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عبد الرحمن بن ابي
الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن
زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في

مجلسه

مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس
في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله
عليه وسلم محتبياً وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن
من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له
واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير وفي صفته عليه السلام يخطو تكفؤاً ويمشي
هوناً كانما ينحط من صبب وفي هذا الحديث الاخر اذا مشى مشى
مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه
وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب
الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام
والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم

والزواجب واستعمال خصال الفطرة صلى الله عليه وسلم
فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم في الاخبار اثناء هذه
السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن
زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها ان توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول
اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي
والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا
حدثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد
الجلودي ثنا ابن سفين ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا
ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن
الاسود عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى بسبيله وفي
رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع
ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى
لقي الله وقالت عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء
مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي

اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان
جبريل نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك
اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث
ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبرائيل ان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال
جبرئيل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة قالت
ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن عوف هلك مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن
عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا
يجدون عشاء وعن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا اكل
راى شاة سميطا قط وعن عائشة انما كان فراشه الذي
ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه
ثنيتين فينام فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني
الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان و
طائه منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير
مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت
لم يمتلئ جوف نبي الله شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد
وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل
جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه

ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها
ولقد كنت ابكي له رحمة مما ادى به وامسح بيدي على بطنه
مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل
صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي
من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى
توفي صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه وطاعته
له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا
محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال ثنا ابو القاسم الطرابلسي
ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو
عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير عن
الليث عن عقيل عن شهاب عن سعيد بن المسيب ان
ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في
روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها
ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش و
لخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني شجرة
تعضد وروي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول

ابى

ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي
حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي
سلمة وابي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى
نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت
كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا
نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام
يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة
الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع
فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت
والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا آل عمران ثم سورة
سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من
قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله
بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان
صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله

تعالى في اليوم مائة مرة وروى في اليوم سبعين مرة وعن علي
سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال
المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي
والصبر ردائي والرضى غنيمي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني
في الصلوة وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل
امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي
هذه الصفة لانها من صفات الكمال والكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف
الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم
على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام
ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم
قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم
عليه السلام طول ستون ذراعا في السماء وفي حديث
ابي هريرة رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل فتى كانه من
رجل شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثيرة خيلان
الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن
مثل السيف وانا اشبه ولد آدم بابرهيم وقال
في حديث في صفة موسى كاحسن ما انت راء من ادم

الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى ثروة
اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث وقتاده عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
واحسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا
وفي حديث هرقل وسئلتك عن نسبه فذكرت الله فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله ويوم ابعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران على العا وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال
اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي
عليه السلام كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من
جلده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي
حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول
امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال
فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهديهم اقتده فوصفهم
باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم
والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم حليم وقال ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اني امين وقال

ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان
صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي
سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة و
فصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض
انى حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
من الصالحين وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم
عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا
اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها
من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء
من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم
بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن نبي
بن نبي بن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم وروى ان سليمان كان مع ما
اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله
وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحى
اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز
تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر
حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزا
ئن الارض قال اخاف ان اشبع وانسى الجايع وروى ابو
هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القران فكان

يأمر

يأمر بدابته فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل
يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال
عليه السلام احب الصلوة الى الله صلاة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف و
يفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء من
حيائه ولم يزل باكيا كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام
لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار وكان
يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اين ما ادركه النوم
نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان
موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان
الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام
لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره
ان اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام
يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان عيسى

موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا
اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعاً لله بما اكرمه به من
كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما نجده في كتب جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله
من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلينا
من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه
عليه السلام ممتد دون نفاذه الاوراد وبحر علم خصايصه
زاخرة لا تكدره الدلاء لكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في
الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل
من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر
الحسن عن ابن ابي هالة بجمعه من شمائله واوصافه كثيراً وادماجه
جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على
غريبه ومشكله **حدثنا** القاضي ابو علي بن الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة
ثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءت عليه
اخبركم فقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن
النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن
الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي
قالوا **اخبرنا** ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي
قال **اخبرنا** ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال **اخبرنا**

ابو عيسى

ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال **ثنا** سفيان
بن وكيع **ثنا** جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال
حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين
يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي
ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسين بن
احمد بن حداذ الكرخي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل
ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا **اخبرنا** ابو علي
الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن
حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال **ثنا** ابو
محمد بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين
بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال ثنا
اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد
عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال الحسن عن علي واللفظ
لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا ان يصف لي
منها شيئاً نعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول
من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان
انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه
اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب

سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور
يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين
ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه
جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا
سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب
الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال
سائن الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو
تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط
من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره
الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت صف لي
منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوا
صل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم
في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا
تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة
وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه
اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب

قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى
واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل
ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين
بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه عن
مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي عن دخول رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له
في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلثة اجزاء جزء
لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من
سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر
فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من
مسالته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه
يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره
قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن
مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم و
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه و

ويسئل الناس عمّا في النّاس ويحسّن الحسن ويوهّنه معتدل
الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكلّ حال
عنده عتاد لا يقصّر عن الحقّ ولا يجاوزه الى غيره الذين
يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمّهم نصيحة و
اعظمهم عنده منزلة احسنهم مؤاساة وموازرة فسئلته
عن مجلسه عمّا كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلّم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويامر بذلك ويعطي كلّ جلسائه نصيبه حتّى لا يحسب جليسه
انّ احدًا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سئاله حاجة لم يردّه الّا بها
او بميسور من القول قد وسع النّاس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده في الحقّ متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس
حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه
بالتقوى متواضعين يوقّرون فيه الكبير ويرحمون الصّغير وير
فدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسئالته في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب
ولا مدّاح يتغافل عمّا لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه
من ثلث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك النّاس من ثلث
كان لا يذمّ احدًا ولا يعيّره ولا يطلب عورته ولا يتكلّم الا فيما

يرجوا ثوابه اذا تكلّم اطرق جلساؤه كانّما على رؤسهم الطير
واذا سكت تكلّموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلّم عنده
انصتوا له حتّى يفرغ حديثهم حديث اوّلهم يضحك ممّا
يضحكون منه ويعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في
المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه
حتّى يتجوّزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان
بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلّى الله عليه
وسلّم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكّر فامّا تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين النّاس
وامّا تفكّره ففيما يفنى ويبقى وجمع له صلّى الله عليه وسلّم
في الصّبر فكان لا يغضبه شيء يستفزّه وجمع له في الحذر
اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده
الرّاي بما اصلح امّته والقيام لهم امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب
هذا الحديث ومشكله قوله المشذّب اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطّويل
الممغّط والشعر الرّجل الذي كانّه مشط فيتكسّر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرّاس اراد ان انفرقت
من ذات نفسها فرقها والّا تركها معقوصة ويروى
عقيصته وازهر اللون نيّره وهذا كما قال في الحديث
الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق التا
مع البياض والادم الاسمر اللّون ومثله في الحديث الاخر

ابيض من مشترب اى فيه وقيل ازهر حسن ومنه زهرة
الحيوة الدنيا اى زينتها والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه و
والاشم الطويل قصبة الانف والقران اتصال شعر الحا
جبين وضده الابلج ووقع فى حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفى الحديث
الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم
والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما
ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال
وهو احد معانى انشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن
فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل
سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا
مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى
عريض كما وقع فى الرواية الاخرى حكاه ابن دريد والكراديس
رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل المشاش
والكتد والمشاش رؤس العظام المناكب والكتد مجتمع الكتفين
والقدمين وشثن الكفين والقدمين بحمهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع
وذكر ابن الانبارى انه روى سائل الاطراف او قال
سابن بالنون وقال وهما بمعنى تبدل اللام من النون
ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر
الاطراف اشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة
فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها قيل كنى به عن

سعة

سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص
القدمين وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم
ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا قيل ينبو عنهما الماء وفى
حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه
قالوا سمى المسيح بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما
وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين ومشيح الله القدمين
اى املسهما والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن
المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطوى
اى مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف
مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة
كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اى لسعة فيه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال
وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة
اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة
وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويدخلون
روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن
ذواق قيل عن يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب
والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما
وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث
وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم
اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى يتحدث بها اى لم يكن فيه

قلته وان كان من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب
الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثنا الا من مكافي قيل مقتصد في
ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافي على يد سبقت
من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث اخر
في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل
شعرها الباب الثاني فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته
صلى الله تعالى عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد
ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقر
بهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا و
قد اقتصرنا منها على صحيح ومنتشرها وحصرنا معاني ما
ورد منها في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر
مكانته عند ربه بالاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيا
دة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه
قال حدثنا ابو الحسين الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت
ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن
اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم
الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب الشمال
فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني
من خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
والسابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم

جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله
ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة
عن ابي هريرة قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم
بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس
انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن عائشة عنه عليه السلام اتاني جبريل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من
محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي عليه
السلام اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال
له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه
فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم
اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على
سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله
عنه فيه بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث
يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا
علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق

وردت نار الخليل مكتتما في صلبه انت كيف يحترق تنقل من
صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن
من خندف عليا تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت الارض
وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبيل
الرشاد نخترق وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم ابو ذر وبن
عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت
خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبل نصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل ادركته من
امتي الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية اخرى بدل هذه
الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض على امتي فلم
يخف على التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والا
سود قيل الاسود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم
من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الاحمر
الانس والسود الجن وفي الحديث الاخرى عن ابي هريرة ونصرت
بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن
الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن
عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم
واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزا
ئن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي
ولكني اخاف عليكم ان تتنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي
بعدي واوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار

وحملت

وحملت العرش وعن بن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية
بن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت
ما اسئل يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد بعده فقال الله
تعالى ما اعطيتك خيرا من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت
اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض
طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك
وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك
ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني
يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا لكل الف
سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي
ولا تغلب واعطاني النصرة والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على من
قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه
عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين
معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبيا ذهبت للحين
ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها
قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا
نخبه وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سمري هذا في
اخر باب المعجزات وعن علي كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته

واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لقد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل في طينة ودعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ابن
مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا عليه السلام من
اهل السماء وعلى الانبياء وقال وما فضله على اهل السماء قال ان الله
تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية
وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا قالوا فما فضله على الانبياء قال ان
الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال
لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خلد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
اخبرنا عن نفسك وقد روي نحو عن ابي ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم وبشر بي عيسى ورات امي حين
حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض
الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف
بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا
فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق
بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء
فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث

اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر
يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب
وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال
احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه
بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث
الاخر ثم ضموني الى صدورهم ثم قبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي
بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته
قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة
وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله تعالى
من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا
الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم
خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا قائل تاويل قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية اخرى فقال ادم لما
خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه
مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك
ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي
عن سريج بن يونس انه قال ان الله تعالى ملائكة سياحين في الارض
عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه

وسلم وروى بن قانع القاضي عن ابي الحمرا قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء الدنيا اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي تفسير عن
بن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن
ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي
وعن بن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد
رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله محمد تقي مصلح وسيد
امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر
محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا
احمرا مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله
وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى
منادٍ الا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه
عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب
في جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من
بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه
السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمد
ان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله تعالى نظر
الى قلوب العباد واختار منها قلب محمد عليه السلام
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي

عليه

عليه السلام لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال
يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل
نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله بما
تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية ربه الكبرى
ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت
عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد
راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة
الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله
وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث
كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة
من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه
ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد
من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري ثنا
ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا سفيان
مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة
ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي

يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
ثم خرجت فجاءني جبرئيل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل من معك قال
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل وقيل من انت قال جبريل وقيل ومن
معك قال محمد وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن ذكريا صلوات الله على
نبينا وعليهما وسلامه فرحبا بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
عليه السلام واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا
انا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه السلام
فرحب بي ودعا لي بخير ثم بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فاذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ولا يعودون ثم ذهب بي
الى سدرة المنتهى واذا اوراقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله غشي تغيرت فما احد من خلق

امر

الله

الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض
على خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما
فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك
فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن
امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فرجع الى ربك فسله التخفيف قال
فلم ازل ارجع بين يدي ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس
صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فان عملها كتب سيئة
واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع
الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله
جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه
باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما
من رواية شريك بن ابي فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق بطنه
وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر القصة الاسرى
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل
الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية ابن
سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة منفردة من حديث الاسرى

منفردة

كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس
والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس
ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس
عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج لي سقف بيتي فنزل جبرائيل ففرج صدري
ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر
القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة
وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء
في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت
في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتة مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا والابن الصالح وفيه من
طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها
الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي رواية ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي
اليها كل واحد من امتك خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى
تخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم
يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعون عاما وان
ورقة منها مظلة الخلق فغشيها الملائكة قال فهو قوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت

موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما سخرت له الانس والجن
والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص
واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له
قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا
واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وتحا وخاتما وفي حديث مالك
بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر
مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جما
عة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام
وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة
قالوا يا جبرئيل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خا
تم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من
اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء
فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم
وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي عليه

السلام فقال وان محمد عليه السلام اثنى على ربه فقال كلكم
اثنى على ربه وانا اثنى على ربى الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل على الفرقان فيه تبيان كل
شىء وجعل امتى خير امة وجعل امتى امة وسطا وجعل امتى
هم الاولون وهم الاخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى
وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا
فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء نحو ما
تقدم وفى حديث ابن مسعود وانتهى بى الى سدرة المنتهى
وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وقال
فى الرواية الاخرى قال فاعطى رسول صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا
يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤا
د ما راى الايتين راى جبريل فى صورة له ست مائة جنا
ح وفى حديث شريك انه راى موسى فى السابعة قال
بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم الا الله
قال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى عن انس
انه عليه السلام صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس
قال عليه السلام بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل
عليه السلام فوكز بين كتفى فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى
الطائر فقعد فى واحد وقعدت فى الاخرى فسمت حتى سدت الخا
فقين ولو شئت لمست السماء وانا اقلب طرفى ونظرت جبريل

كان

كان حلس لاطء واذا دون الحجاب فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لى
باب السماء ورايت النور الاعظم ولطد ونى الحجاب وفرجه الدر واليا
قوت واوحى الله لى ما شاء ان يوحى وذكر البزار عن على بن ابى طالب لما اراد الله
تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذ
هب يركبها فاستصعبت عليه فقال جبريل اسكنى فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب
الذى يلى الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبرائيل من هذا قال والذى بعثك بالحق انى لا
قرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى
هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى
انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدى ان الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا فى بقية الاذان الا
انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلوة حى على الفلاح وقال
ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام باهل السماء فيهم ادم ونوح
قال ابو جعفر محمد بن على بن الحسين رواية اكمل الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضى ر
حمه الله ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق لا فى حق
الخالق فهم المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما
يحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله عز وجل كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله فى هذا الحديث الحجاب واذا خرج
ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملا
ئكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته

وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن
الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل
ساعتى فدل ان هذا الحجاب لم يخص بالذات ويدل عليه قول كعب
فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله ولا يجاوزها علمهم واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل
على حذف المضاف اى يلى العرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او
مبادى حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية
اى اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى وانا اكبر فظاهره
انه سمع فى هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو لا يراه
حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان صلى الله عليه وسلم
راى ربه فيحمل عنه فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى راه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء
هل كان اسراء بروحه ام بجسده على ثلثة مقالات فذهبت طائفة
الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا
الانبياء حق ووحى والى هذا ذهب معاوية وحكى عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله
تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول
انس وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى اخرها
فاستيقظت وانا فى المسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهو قول
بن عباس وجابر وانس وحذيفة وابى هريرة وعمر ومالك بن

صعصعة وابى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن
جبير وقتادة وابن المسيب وبن شهاب وبن زيد والحسن وابرهيم
ومسروق ومجاهد وعكرمة وبن جريج وهو دليل قول عائشة
وهو قول الطبرى وبن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول
اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين و
قالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس
والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى
غاية الاسرى الذى وقع التعجب فيه بعظم القدرة والتمدح
بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا
اليه قال هولاء ولو كان الاسراء بجسده الى زايد عن المسجد الا
قصى لذكره فيكون ابلغ فى المدح ثم اختلف هذه الفرقتان هل
صلى ببيت المقدس ام لا ففى حديث انس وغيره ما تقدم
من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمانى وقال والله ما زا
الا على ظهر البراق حتى رجعا قال القاضى رحمه الله والحق من هذا
والصحيح ان شا الله انه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها
وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء
بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح
عبده ولم يقل بعبده وقول الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
ولو كان مناما لما كان فيه اية ولا معجزة ولا استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ
مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا

انما اخبره انما كان خسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء
على ما روى غيره وذكر مجئ جبريل له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه
الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض
الصلوة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار
فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج
بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه
وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره
قال ابن عباس هي رؤيا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا فعدت
لمضجعي ذكر ثلثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى
باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة
صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه
قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت
بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت
الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر
من رواية شداد بن اوس عنه قال للنبي عليه السلام
اسري طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك
فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا انا بملك قائم معه انية ثلث وذكر
الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظا
هرها وعن ابي ذر عنه عليه السلام فرج سقف بيتي وانا بمكة
فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة
ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم
فشرح صدري وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش تسئلني عن
مسراي اي فسئلتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله الي انظر اليه ونحوه جابر وقد روي عن عمر بن الخطاب في حديث
الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت
عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرويا التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي
اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يو
يد انها رويا عين واسرى بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به
احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة وا
حدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس
الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث
مناما وقوله في حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو
نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان يكون اول
وصول الملك اليه كان وهو نائم واول حمله والاسرا به وهو نائم
وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم
استيقظت وانا في المسجد الحرام فعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت

واستيقظت من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه
لم يكن طول ليلة وانما كان بعضه وقد يكون قوله استيقظت و
انا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت
السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى
من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على
مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء
حق ينام اعينهم ولا ينام قلوبهم وقد قال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت
له في هذا الاسرى حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا
عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد
عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا
انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى
بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئة بالنوم لما كانت هيئة
النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادة من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هو من رواية
شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ ان شق البطن في الاحاديث
الصحيحة انما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه
قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد البعث فهذا
كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق
انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مرة عن مالك صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن

صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة
ما فقدت جسده لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسراء متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد البعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت
نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا بخمس قبل الهجرة وقيل قبل
الهجرة بعام والاشبه انه بخمس قبل الهجرة والحجة لذلك تطول
ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها
حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها و
غيرها يقول بخلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيرها
وايضا فليس في حديث عائشة بالثابت والاحاديث الا
خر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة
وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل
بها النبي عليه السلام الا في المدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل
فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه القلب
وهذا يدل انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا
يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر
الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما
راى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل
ما انكر قلبه ما راته عينه فصل واما رؤيته صلى الله عليه و
سلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة
حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه

قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه ثنا القاضي يونس
بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن ادم
ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة
يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما
قلت ثلث من حدثك بهن فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة
بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله
عن ابي هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار
هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطاء عنه
راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر ابن
اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل راى محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روى ذلك عنه
من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة و
محمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه
على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه
موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن
عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا عليه الصلوة والسلام قد راى ربه مرتين فكبر
كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته و
كلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى

شريك

شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك فقال
رايته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن
النبي عليه السلام قال رايت ربي وذكر كلمة وقال يا محمد
فيما يختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن
كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكى ابو عمر الطلمنكي عن
عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى
ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه وقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه
راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن
جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس
وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة راه
بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن
احمد بن حنبل عن ابيه انه راه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رحمه الله وجماعة من اصحابه
انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبياء
عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امتراء
فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنية بني موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤال ما لم تقدره لي وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم

وكونها

وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي

صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث
ابى ذر فى تفسير الاية وفى حديث معاذ محتمل التاويل وهو
مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابى ذر الاخر مختلف محتمل
مشكل فروى نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى نورا
انى اراه وفى حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس
يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الروية فان كان
الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما راى نورا
منعه وحجبه عن روية الله عز وجل والى هذا يرجع قوله نور انى
اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما
جاء فى الحديث الاخر حجابه النور وفى الحديث الاخر لم اره بعينى
ولكن رايته بقلبى مرتين وتلى ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذى فى البصر فى القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد
حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعى يرده والله الموفق تعالى فصل واما ما ورد
فى هذه القصة من مناجاته الله تعالى وكلامه معه بقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر
المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذ
واذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا
واسطة ونحوه عن الواسطى والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان
محمدا كلم ربه فى الاسرا وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة
الاسرا عنه عليه السلام فى قوله تعالى دنى فتدلى قال فارقنى
جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول

ليهد روعك يا محمد ادن ادن وفى حديث انس فى الاسراء
نحو منه وقد احتجوا فى هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه
ما يشاء فقالوا هى ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبارسال الملئكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله
عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحى هنا هو ما يلقيه فى
قلب النبى دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن على فى حديث
الاسراء ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله عليه وسلم لكلام الله
من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب صدق
عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجىء فى
مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا بعد ما يشبه وفى اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد عليه السلام ومن اختصه
من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى الشرع قاطع بمنعه
فان صح فى ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق
مقطوع به نص ذلك فى الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد فى الحديث فى السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام
وكيف يستحيل فى حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص
من يشاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما
ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله
ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو
والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل او مختص باحدهما من الاخر

او من السدرة المنتهى قال الرازى وقال ابن عباس هو محمد
دنا فتدلى من ربه قيل معنى دنى قرب فتدلى زاد فى القرب
وقيل هما بمعنى واحد اى قرب وحكى مكى والماوردى عن
ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اى امره وحكمه وحكى
النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقنى جبريل
وانقطعت عنى الاصوات وسمعت كلام ربى وعن انس فى
الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ما شاء واوحى
اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنا
محمد من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر محمد ادناه ربه منه
حتى كان منه كقاب قوسين قال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى
كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع فى اضا
فة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو
النبى عليه السلام من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته
وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى مبرة وتانيس وبسط

واكرام

واكرام ويتاول فيه ما يتاول فى قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا
على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال
الواسطى من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا
بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق
ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى ان جعل الضمير عائدا الى الله
تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد عليه
السلام وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة
والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول فى قوله من تقرب منى
شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة اى قرب
بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول فصل
فى ذكر تفضيله فى القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضى ابو على ثنا
ابو الفضل وابو الحسين ثنا ابو يعلى ثنا السنجى ثنا ابن محبوب
الحسين ابن يزيد الكوفى ثنا عبد السلم بن حرب عن ليث عن
الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا
مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدى وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا
فخر وفى رواية ابن جبير عن الربيع عن انس فى لفظ هذا الحديث
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم
اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا شفيعهم اذا ايسوا لواء
الكرام بيدى وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا فخر ويطوف على الف
خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابى هريرة واكسى حلة من حلل
الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك

المقام غيرى وعن ابى سعيد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما
نبى يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الا
رض ولا فخر وعن ابى هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد
ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول
مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فاد
خلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا
فخر وعن انس انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا
وعن انس قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث
الشفاعة وعن ابى هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون
اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث اخر اما ترضون ان يكون
ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابرهيم
فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك واما عيسى فالا
نبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى و
بينه نبى وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم
فى الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسو
دد والشفاعة دون غيره اذ لجاء الناس اليه فى ذلك فلم يجدوا سواه
والسيد هو الذى يلجاء الناس اليه فى حوايجهم فكان حينئذ سيدا
منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال
تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى فى الدنيا
والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا وكذلك

اناحامل

لها

لجا الى محمد جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرين دون
دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتى باب
الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسو
ل الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء
وماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظماء ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طول ما بين
عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله و
قال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفى رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وعن ابن عمر كما
بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجا
بر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى
والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمان وابو امامة
وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد و
سويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى وعمر بن الخطاب وابن بريدة
وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسما
بنت ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم
فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص
صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو
الهيثم حدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضى
ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا

ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن
ابي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان
صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد
اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس
من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه قال
فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال
اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر
فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ
ابراهيم خليلا وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله
تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو
مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد
وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم خليل الله
لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما

لمن

لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة
وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر ابن فورك
الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم
اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤ
اخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون
فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا
تصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما
السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه
والانقطاع عن من دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب
او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما
خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى لم يخاللهما حب
لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة
الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا
ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال
درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وغيرهما وقد اطلق المحبة صلى الله

عليه وسلم لفاطمة عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا محمد
ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة
المخلوق واما الخالق جل جلاله فمنزه على الاعراض فمحبته لعبده تمكينه
من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة
رحمة عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه و
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث وفاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي
ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات كما قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط
ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح
مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما
سكت كنت الغليل فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة
لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة
المتلقات بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار
انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والر
سول فزادهم شرفا بامرهم بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه
بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة

المحبوب

الى الله

والاعراض

يطول

يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن
نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله
تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك الاية والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدي بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان
صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال قال
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم اعلم بمن اهدى سبيلا فصل في تفضيله با
بالشفاعة مقاما محمودا حدثنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني
فيما كتب به الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا
ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا ابو
الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك
يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله

تعالى عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه
السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني
ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي
حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي
وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين
العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي
فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه عليه السلام خيرت بين ان
يدخل نصف امتي الجنة وبين ان يدخل الشفاعة فاخترت الشفا
عة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة
قلت يا رسول الله ما يحور عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام
حبيبة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت ما
تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم
من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتيني شفاعة
يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدى

من هديت

من هديت وعبدك بين يديك ولك اليك لا ملجاء ولا منجاء
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال
فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار
النار واهل الجنة الجنة فبقي اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار
فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في
الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي ابن الحسين
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت
بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي
يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا هو المقام المحمود الذي وعده وفي
رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث
بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة
فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق
عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم
انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه و
اسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع
لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى نوح فياتون

نوحًا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدًا
شكورًا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى
ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب بعده مثله
نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على
قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم
فيقولون انت ابرهيم نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبًا قد
كر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم
بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه و
قربه نجيًا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي
اصاب وقتل النفس نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته
فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر قال فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي
فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدًا وفي رواية فاتي تحت العرش فا
خر ساجدًا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر
عليها الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن
الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال
يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول
يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدًا فيقال
يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول

يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة
او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل فافعل
ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من
مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك
وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي في من قال
لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه
قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من
حبسه القران اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر
وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمدًا فيؤذن له وتاتي الامانة
والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة
فياتون محمدًا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم
كالريح والطير واشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط
يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازًا الحديث
وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس عنه
عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري
لا اجلس عليه قائمًا بين يدي ربي منتصبًا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم
فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة
بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكًا برجال قد امر بهم الى النار
حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض عن جمجمته ولا فخر
وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا
اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من
هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من
حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته
عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق
والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لا
راحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما
جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع
في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما
تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي
دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء
والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤا يدعون بها على
يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة
في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيبت له فاني

اريد

اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية
ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه
في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد
عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها
وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل
والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى وسلم
كثيرا فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي والفقيه ابو الوليد هشام احمد بقراءتي عليهما قالا
حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب
عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة
عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي انه سمع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقولوا ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا
لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة
الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطا

كه الله قال ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكاً وعن عائشة
وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى
من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن
ابن عباس وعن ابن عباس ايضاً قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله
اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي
اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر
نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم فصل
فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه
اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن
التفضيل كقوله [illegible] فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي قال حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا سفيان
حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم
نبيكم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن
ابي هريرة قال يعني النبي ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة
في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذ

كر الحديث وفيه ولا اقول ان احداً افضل من يونس بن متى وعن ابي
هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود
لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه
رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه
الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان
يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان
من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احداً افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث
ان لا يفضل بينهم تفضيلاً يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه
لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر
لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من
رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضباً
فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان
الانبياء عليهم السلام فيها على حد اذ هي شيء واحد لا تتفاضل وانما
التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف
فاما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة
عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو العزم من الرسل ومنهم من رفع
مكاناً علياً ومنهم من اوتي الحكم صبياً واوتي بعضهم الزبر وبعضهم
البينات ومنهم من كلم الله عز وجل ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبوراً قال تعالى

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم و
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون
اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته اذكى واكثر او يكون
في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله
عز وجل من كراماته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان
يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله تعالى عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او
قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة
منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب
وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا
يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل و
اعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى و
سنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان
لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه
عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران
موسى بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح
حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة
اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي

الكفر

الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى
له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد
وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد
الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر
في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا
كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم و
يفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط
غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمد
او احمد ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع
اياته فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل
زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله
تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى
لا يدخل لبس وشبه على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم
يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه
السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من
العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث
يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن
مسلمة الانصاري ومحمد ابن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجا
شع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم و
يقال اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد

من الازد ثم حمى الله كل من تسمّى به ان يدعى النبوة او يدعيها احد
له او يظهر عليه سبب يشكك احداً فى امره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا
الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من
مكة وبلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى
ليظهره على الدين كله وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قد
مى اى على زمانه وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال تعالى وخا
تم النبيين وسمى عاقباً لانه عقب غيره من الانبياء وفى الصحيح
وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقيل معنى على قدمى اى يحشر النا
س بمشاهدتى كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لى خمسة اسماء قيل انها
موجودة فى الكتب المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روى عنه عليه السلام لى عشرة اسماء وذكر
فيها طه ويس حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسير طه يا طاهر
يا هادى وفى يس يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى وجعفر بن
محمد وذكر غيره لى عشرة اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول
قال انا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه
وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربى وهو اشبه
بالتفسير وقد وقع ايضاً فى كتب الانبياء قال داود اللهم ابعث
لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه عليه السلام لى فى القران سبعة اسماء محمد واحمد

وطه

وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله وفى حديث ابى موسى الا
شعرى انه كان عليه السلام يسمى لنا نفسه اسماء فيقول انا
محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة ويروى
المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شا الله ومعنى المقفى العاقب واما
نبى الرحمة والتوبة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة و
يهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال
فى صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضاً فبعثه عليه
السلام ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفراً لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالمرحمة وامرها
عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال عليه السلام الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى
الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث
به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهى صحيحة وروى
حذيفة مثل حديث ابى موسى وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة
ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه عليه السلام انه قال
قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا
اسم هو فى اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه
عليه السلام وسماته فى القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كا
لنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين
وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط

المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصا
ف كثيرة وسمات جليلة وجرا منها في كتب الله المتقدمة وكتب
انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع والمشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصا
دق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين
وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصا
حب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق وهو معنى البار قليط في الانجيل وقال
ثعلب البار قليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه
في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا
والخاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبيا
احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين
ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال
معه قضيب من حديد يقاتل وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب
الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند الخلفاء
واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله
اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي

ومعنى الخاتم

لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا
للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته في
الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شا الله تعالى فصل
في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه
به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما
احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاج بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان
نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم اكرمك الله ان الله تبارك
وتعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه
كتسميته اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا
بشكور ويحيى وعيسى ببر وموسى بكليم وقوي امين و
يوسف بحفيظ وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما
نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز و
على السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال
الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من
تفرغ فيها التاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل
نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه
يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه
تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمدا فمحمد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه فى زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من
حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله وشق له من اسمه
ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم
وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه بذلك فقال تعالى بالمؤ
منين رؤف رحيم ومن اسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود
والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والالهيته بان وابان
بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال تعالى
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل انى انا النذير
المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين
امره ورسالته والمبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس
ما نزل اليهم من اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خا
لقه اى منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين
بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمى
بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعا
رفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم
وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشا
هدا فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول
عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه

وحد

الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث
المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول
رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم
ومعانى الاسم صحيحة فى حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى
العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى اول
سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو
عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى
صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار
سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك
ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اما لاصلا
حه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعدائه او لعلو منزلته على
البشر وعظيم خطره ونفا عنه تعالى فى القران جبرية التكبر التى
لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير و
معناه المطلع بكنه الشئ العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
الله تعالى الرحمن فاسال به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء الما
مور بالسؤال غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل
الخبير هو النبى عليه السلام وقال غيره بل السائل النبى والمسؤل
الله فالنبى خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية
من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته
بما اذن له فى اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحا
كم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم

عليهم ويفتح قلوبهم وابصارهم لمعرفة الحق ويكون ايضا
بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ
الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع
بن عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة وفيه من قول الله تعالى و
جعلناك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله عليه وسلم
فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله
او الناصر للحق والمبتدئ بهداية الامة والمبتدا المقدم فى الا
نبياء والخاتم لهم وكما قال عليه السلام كنت اول الانبياء
فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى فى الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف
بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد
وصف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون
عبدا شكورا اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن
اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال
وعلمك ما لم تكن تعلم الاية وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السا
بق للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه

ليس

ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق
واخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن خطاب رضى الله عنه ومنه قوله
نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه
واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واخر الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذ
لك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل و
من اسمائه تعالى الصادق فى الحديث المأثور وورد فى الحديث
ايضا اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق ومن اسمائه
تعالى الولى ومعناهما النصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله و
رسوله وقال عليه السلام انا ولى كل مؤمن وقال الله تعالى النبى
اولى بالمؤمنين من انفسهم وقال عليه السلام من كنت مولاه
فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد و
صف الله بهذا نبيه فى القران والتوراة وامره بالعفو فقال تعالى
خذ العفو وامر بالعرف وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال
لجبريل وقد ساله عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن
ظلمك وقال فى التوراة والانجيل فى الحديث المشهور فى صفته
عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن
اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده
وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل

من التقديم

من أشطهر وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن من عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يدعى بالامين ويعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم اعتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وقد تقدم ذكره قبل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يصدق وقال انا امان لاصحابي فهذا بمعنى المهيمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس اي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنقى باتباعه

عنها

عنها كما قال ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلا صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق وكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى بهذا في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة

وهنا

وعلا

الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات
ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة
موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها
صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة
قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله
عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع
مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي
بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير
جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض
وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن
هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا رحمهم الله ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال
الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه
فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان
قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان
تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج
وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل
الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله

وايال

وایاك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلا
لة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته الباب الرابع فيما
اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصا
يص والكرامات قال القاضي ابو الفضل وفقه الله حسب المتأمل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في
معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى
لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده
وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته
الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له و
منماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت
في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم
قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره
مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله
وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة
نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيد
هم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه
ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال
حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل وابن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد

بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي
ويحيى بن سعيد عن عوف ابن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن
ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي
اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما
رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وقد
عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك
ابايعك وقال جامع ابن شداد كان رجل منا يقال له طارق
فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل
معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وبكذا
وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا
من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم
فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا
من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي
ملك عمان بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى
الاسلام فقال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا
يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك
له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى لنبيه عليه السلام يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه يقول

يكاد

كلماتك

يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة لو لم
تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد ان
ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران
وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قا
در على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفا
ته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته
في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بوا
سطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل
على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع اتوا به لان
المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فا
طيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والا
والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفا
في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة
من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى
ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا
فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله ومنبئا بما اطلعه الله
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو
ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول
فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله

امر الله تعالى له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتا
بع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا
فكانه الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه واختلف العلماء
هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الا
نبياء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال
قد يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان
من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب و
هو الاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وجود در
جتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الا
سمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام
البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل
الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا
ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح
والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا
فاول المرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ابي ذر عنه عليه السلام ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا
للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي
يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات

وحيا

وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد الكا
تبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتها ومنه قوله تعالى
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب
منه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء
ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليو
حون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة
هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو
من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله تعالى دل
على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل
القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع و
انشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد
النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذب به ان ياتي بمثله تعجيزا له
واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه
وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله
عليه وسلم قد تحدى بسورة فعجز عنها قال اهل العلم واقصر

السور انا اعطيناك الكوثر وكل اية اوايات منه بعددها وقد
رها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم
منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف
بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معا
ند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه
وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال
بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه
عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على
يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما
خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من
قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا
ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة
عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع
مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة
ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى و

اجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل وانا اقول
صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات الماثورة عنه عليه السلام
معلومة اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده
ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من
طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا
يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير
الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث
بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع
الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة
تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن
احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر
عنهم انهم راوه كما رواه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم
المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم و
غير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء روا
ها من السنن والسير وحروف القران وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته
لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على
باطل لا بد مع مرور الازمنة وتداول الناس واهل البحث من
انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار
الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا عليه السلام هذه الوا

رده من طريق الاحاد لاتزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تدا
ول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها
واجهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها
الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباوه بما يكون
وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء
عليه وقد قال به ائمتنا القاضي والاستاد ابوبكر وغيرهما رحمهم الله
وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهوره من
باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الا
حاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على
الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد
ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد
من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم
الفقهاء من اصحاب ملك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه
ايجاب قراءة ام القران في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية
في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء
واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه
المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم
لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد
هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في

في اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على و
جوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في ار
بعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا
الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص
به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا و
خلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون
به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتو
سلون ويتوصلون ويرفعون فياتون من ذلك بالسحر
الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخد
عون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ
الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع
القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ النا
صعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول
القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما
في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج
والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من
كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في

في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل
والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه وتظاهرت حقيقته و
مجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان
جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة
فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا و
اشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع
في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم
التي عليها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه
قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله الاية وقل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع
الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى
الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم
يزل يقرعهم صلى الله تعالى عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم
غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم

واسوا

واسوا الهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترا بالافتراء
بالاكاذيب وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك
افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون
والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله
ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم
كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح
كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصا
حتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان
اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا
فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا
يقرا فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يوما نايما في المسجد فاذا هو بقايم على راسه يتشهد شها
دة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسراء المسلمين يقرا اية من
كتابكم فتاملتها فاذا هو قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن
مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله

ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت ويعد هذا فصاحة
بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية يجمع
في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا
نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق
والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرو
رة وكونه فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين
بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها
علم ذلك لعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكمى القصا
ص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران
حققت ما بينته لك من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها و
ديباجة عباراتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان
تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها واكثرت المقا
لات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار
القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام

ويذهب

ويذهب ماء البيان اية المتاملة من ربط الكلام بعضه
ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلف العبارة عنها
كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة منها تنسي في البيان
صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور
النفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني
من اعجازه نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لا
ساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء
عليه ووقفت عليه مقاطع ايه وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع علم
مماثلة بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم
ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع
او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم
الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران فجاء ابو جهل منكرا
عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما
يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع
قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن والله
ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما
هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه و
قريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول
ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما

تقول قال ما كنتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه
باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء
وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبيل يحذرون الناس فانزل الله
تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال
عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم
اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت
قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث
اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما
سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شا
عرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء
الى ابي ذر بالنبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول النا
س قال يقولون شاعر ساحر كاهن لقد سمعت
قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر
فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصا
دق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذا
تها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد
خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير
واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز
في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع

وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه
ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع
في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه و
بديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من
باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب
العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما
يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال
به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقا
مة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم
بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم
وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال
بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل
وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت
من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر
وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة
به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في
اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد

وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فيما يئسوا ومنعوا
فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث من
الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولا
يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملو
الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى
اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلب الروم فارس فى بضع سنين
ودخل الناس فى الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفى
بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين
فى الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصاء المشارق
الى اقصاء المغارب كما قال عليه السلام زويت لى الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقو
له انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من
سعى فى تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرا
مطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس
مائة عام فما قدروا على اطفاء شىء من نوره ولا تغيير كلمة من كلا
مه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله
تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم الاية وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق الاية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولو
كم الادبار الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنا
فقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك

قوله تعالى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول الاية
وقوله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى
من الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله فى الدين وقد قال مبديا ما قد
ره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطا
ئفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا
وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة
من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة
فصل الوجه الرابع ما انباء به من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان يعلم منه
القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذى قطع
عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه
ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وانه مثله
لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرأ و
لا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم
ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا مما يسئلونه
صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا فينزل عليه القران ما يتلوا
عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى
والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين و
لقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء وبدو الخلق وما فى التوراة

والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه
العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل ادعوا ذلك
فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقى معاند حاسد
ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما
فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة
سؤالهم عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم
واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم
بمكتوب بشرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح
وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم
اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات
كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم
فى التوراة ومثلهم فى الانجيل وغير ذلك من امورهم التى
نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك
انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق
مقاله واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا
وابنى اخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة
وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة
حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين الى قوله فاولئك هم الظالمون فقرع ووبخ
ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتوا
قح يلقى على صحيفته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم
اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من

صحفه

صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين فصل
هذه الوجوه الاربعة من اعجازه وبينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن
الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه اى وردت بتعجيز
قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على
ذلك كقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس الاية قال ابو اسحق الزجاج فى هذه الاية
اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم
فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم و
عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل
منهم الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه
وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة
ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص
لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت
حجته قال ابو محمد الاصيلى من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم
جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه
ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه
منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه
اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن
قوما نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى
وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا و

ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية
ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في
التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته
لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا
يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطا
عه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب مستـ
مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال
روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشا
شة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل
على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم
تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل
له لم بكيت قال للشجي والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به
ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ
هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله
المصيطرون كان قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر
الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت
الى قوله صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في رسول الله

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه
وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج
الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن
قصد رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه فشرع فيه فمر بصبي يقرا
وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا
يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان
يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من
هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه
على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملني على التوبة **فصل**
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحا
فظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر
معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها
والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه
اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله
الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها
طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في
مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من زهنه

في ذلك لا يزيد شيئا بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز
بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة و
مقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله
وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده
يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ
في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد
وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمان وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا
وصف رسول الله تعالى عليه وسلم القران بانه لا يخلق على
كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل الذي ليس
بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس
به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم
تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع
والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين
قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام
المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة بمثلها فلم يقدروا عليها
كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء

الامم والمواعظ والحكم والاخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب
والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القران
من كل مثل وقال عليه السلام ان الله تعالى انزل هذا القران
امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم و
خبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال
به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم
به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به
ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ونحوه
عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ
الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد عليه السلام
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول
ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للنا
س وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه
اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه
مرار ومنها جمعه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج

بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته وانثناء هذه البلاغة
امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي لا يفهم موضع الحجة و
التكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله
في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم
اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى
على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها
تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله
تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران
ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض
اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره
على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير
وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده ودون خلل يتخلل
فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول
ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم
باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتما
ع ملاءهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره
ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن
نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا
كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها
الايمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد
فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك
كثير مما قدمناه ذكر عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه
وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما
بعدها من خواص القران وعجايبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
خبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة
عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين
بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حد
ثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش
عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة فوق وفرقة
دونه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا وفي
رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق
الاعمش ونحن بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال
حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة
وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا

ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها
فسلوا من يأتيكم من بلد اخر هل رأوا هذا فاتوا فسألوا فاخبروهم
انهم رأوه مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك مثله وقال
فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا ارأوا
ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابي مسعود علقمة ونحوه الاربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما قد رواه ابن مسعود
منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
فقال علي من رواية حذيفة الارجحي انشق القمر ونحن مع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوه
اجزاء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة و
انشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن
محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه
عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي
ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث
الصحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول فانه
لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم
يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب
لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الافق
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم

بضد

بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم
وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون
بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها
الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا و
العادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع
التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك
واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء
ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن
اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت
الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصليت
العصر يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس
قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان
الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن
صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير
في زيادة روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله عليه و
سلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى
تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش

ينظرون وقد ولى النهار ولم يجئ فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة جداً روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقرائتى عليه حدثنا القاضى عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم خاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا ملك عن اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس حتى توضاء منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضاء الناس حتى توضاء من عند آخرهم ورواه ايضاً عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء عند [illegible] ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلاً واما ابن مسعود ففى الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس معنا ماء فقال انا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء

فاتى

فاتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الصحيح عن سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه وتكلم بشئ لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة وا… … حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقى احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى وعن الشعبى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض اسفاره اتى باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة ووضع اصبعه

وسطها غمسها في الماء وجعل الناس يحثون ويتوضؤون ثم يقومون
قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس
من ذلك ولانهم كانوا ممن يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا
هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد
من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه
فصار كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من
معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته مما روى
الامام مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك
وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء
ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك
حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء
وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع
عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك
فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جبا
ها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا
واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذا
الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس

حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى ر
سول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها والله اعلم نفث
فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي
انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله
عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما
ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج
بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا
فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعلامه
لهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم
زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ
على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك
حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه
واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه و
سلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول
ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤوا
اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران ويخيل الي
انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ
ثوبها وقال لها اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله
سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله
تعالى عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة

فى الجيش وعاء الاماوه وبقى منه وعن ابى هريرة رضى امر
نى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعوا له اهل الصفة
فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما
شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر
الاصابع وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال جمع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكا
نوا اربعين منهم قوم يا كلون الجذعة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم
دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقى كانه لم يشرب وقال
انس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنا
بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت احتى
امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مدين
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاثة اصابعه
وجعل القوم يتعذون ويخرجون وبقى التور نحوا مما كان
وكان القوم احدا واثنين وسبعين وامر عمر بن الخطاب
ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله
ما هى الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقى بحاله من رواية
دكين الاحمسى ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
ابن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مز
ينة ومن ذلك حديث جابر فى دين ابيه بعد موته وقد
كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن فى تمرها
سنين كفاف دينهم فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

بدان امره بجذها وجعلها بيادر فى اصولها فمشى فيها ود
عا فوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجذون
كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس
مخمصة فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من
شئ قلت نعم شئ من التمر فى المزود قال فاتنى به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فا
كلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم
وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه
ولا تكبه فقبضت على اكثر ما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر وعمر الى
ان قتل عثمان فانتهب منى فذهب وفى رواية فقد حملت
من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله وذكرت مثل
هذه الحكاية فى غزاة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه ايضا حديث ابى هريرة حين اصابه الجوع فا
ستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا فى قدح
قد اهدى اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت
ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطى الرجل فيشرب حتى
يروى ثم ياخذه الاخر حتى روى جميعهم قال فاخذ النبى
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد
فاشرب فشربت ثم قال اشرب فشربت ثم قال اشرب

وما زال يقول لها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكاً فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن خالد كثيراً يذبح الشاة فلا تبد عياله عظماً عظماً وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالاً بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزوراً لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة يا كلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيساً فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلاناً وفلاناً ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احداً لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاث مائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام فدعى فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذه الفصل بضعة عشر من الصحابة

رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يتعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما نكر فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد ابن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقاً عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت له انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت ودلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك فقال لو امرت احداً ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك

فاذن له في الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل اذهب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيأ
يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصا
نها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش
الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأما وفي رواية
اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فر
جعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت رسول صلى الله تعالى
عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة
فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه
قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه
هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت
ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن
فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن
والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته
قال لي قل لهن يفترقن فوالذي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن

حتى

عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر
فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة
الثقفي مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت
الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت
ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى
الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن ابن مسعود
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال
القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود
ويعلى بن مرة واسامة ابن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معنا
ها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار
في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت
له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هنا
لك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك
اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قا
مت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي

نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني
بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب
قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله
عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه
عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله اية
يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة
فادع غصنا منها يأتيك ففعل فجا يخط الارض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت
فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه
ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عبا
س ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت
هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه
فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي
وقال هذا حديث صحيح **فصل في قصة حنين الجذع**
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه
مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه
من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل
بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن
ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث
انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على
جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم

الى

الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب
وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه و
فوضع يده المباركة عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي
بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد
واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت
منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى
النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه
ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق
الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال
يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص
وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك
ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا
ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن
اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم شوقاً اليه لكانته فانتم احق ان تشتا
قوا الى لقائه ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال
عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد
بن ابي ذيب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك
الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع
وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الودّاك عن ابي سعيد وعباس
بن ابي عماد عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل
ابن سعد وكثير زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن
ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل عياض
فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من تذكره وبدون
هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القاسم حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري قال حدثنا
اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير
هذه الرواية عن ابن مسعود لقد كنا نسمع مع رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه
وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا

التسبيح

التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن في ايدينا فما سبحن وروى
مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا
بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض
نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني
لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عا
يشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن
صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث
العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت
اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد
عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه
رمان وعنب فاكل منه صلى الله وسلم فسبح وعن انس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي وصديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان وقال معه
عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعيدا قال ونسيت
الاثنين وفي حديث سعيد ابن زيد ايضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط
يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال
حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله تعالى عليه و

سلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار
نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة
الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها
ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما اشار الى
وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها
صنم ومثله في حديث ابن مسعود فقال فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الرا
هب بحيرا اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج
اليهم فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال
له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم
سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة اليه صلى الله عليه
فصل ومن ذلك في صور الحيوانات حدثنا سراج بن عبد
الملك ابو الحسين الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا
ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا حدثنا ابو العلا احمد بن عمرو حدثنا محمد بن فضيل
حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد قال قالت عائشة كان
عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله

صلى الله تعالى

صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب وروى عن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبا فقال ما هذا قالوا النبي الله قال واللات والعزى لا امنت
بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين
يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال
من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر
سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول
رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من
كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة
وعن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب
لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعا الذئب وقال للراعي
الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم
بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك ر
سول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء
ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة في بعضه طول وروى حديث الذئب
عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب
انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط
اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا
هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي

قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى
وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها
فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان ابن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة
بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا وسبب
اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل
هذا انه جرى لابي سفيان ابن حرب وصفوان بن امية مع
ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لنتركنها خلوفا وقد ر
روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عبا
س بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر
الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال
يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان ر
سول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن
رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف
بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك
ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى
دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه و

سلم

سلم حايط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحا
يط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها
الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا
فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك و
جابر بن عبد الله ويعلى ابن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل
احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما
بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس
ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر وفي حديث الجمل ان النبي صلى الله
عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة
العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في
شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلا
مها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل و
لم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان
حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها
بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله تعالى شجرة فنبتت تجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حد
يث اخر ان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا
ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن فيه الحمامتان ببابه والنبي صلى
الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب

النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لنحرها
يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما
حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع فقال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال
رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد
فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه
فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية
اخرى عنه ان السفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
فقلت انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني
بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة
لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما
وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم
بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له
اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا
وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه
ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في
بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي
صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي

حديث العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره
وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما اراك فربطت فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب
بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض
اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق ما رواه
الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير
وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة
رضي الله عنهم فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان
والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد
الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقا
ضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغيره واحد سماعا واذنا قالوا
حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد
عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي حد
ثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان
عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا
ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال

لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيًا لم يضرك الذي
وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى
هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روى عن ابي هريرة من
رواية عن وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا عن جابر بن عبد
الله وفيه اخبرتني هذا الذراع قال ولم يعاقبها وكذلك وفي رواية
الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن
عبد الرحمن فقالت اني مسمومة ذكر الخبر ابن اسحق وقال فتجافى
ودعنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله
عليه وسلم قال في رجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر
تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما اكرمه الله به من النبوة قال ابن اسحق اجمع اهل الحديث
ان رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهود
ية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة
وانس وجابر ورواية ابن عباس انه دفعها لاولياء البشر ابن البراء
فصلوا ها وكذلك اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي
وعفوه عنه اثبت وروى عنه قتله وروى الحديث البزار
عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يديه وقال
كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القا
ضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة
اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف

ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
في الشاة الميتة والحجر والشجر وحروف واصوات يحدثها الله
فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر واخرون ذهبوا
الى ايجاد الحيوة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن
شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا لم يجعل الحياة
شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها
مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي
خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود
الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع
والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وحروف لها فما ولسانا
والة مكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به
اكد من التهمم ينقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل
السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه
لا ضرورة اليه في النظر وذكر وكيع رفعه عن فهد ابن عطية
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
عن معرض ابن معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه و
سلم عجبا جي بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة
ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام

لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكا
نت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن ان
رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في وادي
كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال
لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت
لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقا
لت مات ابني قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني ها
جرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا
تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن و
جهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصا
ري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل
باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسو
ل الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا
فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة
خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين
العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم
النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر
ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله و
رحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان — في ابراء المرضى
وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجا

زته

زته وقراءته على غيره حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو
محمد النحاس حدثنا ابن الورد عن البرقي عن هشام عن زياد
البكائي عن محمد بن اسحاق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر
بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقالوا
قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ
عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتا
دة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها
ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتا
دة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن
عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي
عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني
اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك
الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه
استسقاء فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ بيده
حثوة من الارض وتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا
يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك ان اباه ابيضت
عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله و
سلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين

ويزيد

ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله بن
انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا
ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت
وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين
قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ابن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت
فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكا علي بن ابي طالب فجعل
يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم
ضربه برجله فما اشتكا ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم
بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليها والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان حبيب ابن يساف اصيب يوم بدر مع رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياها وامرها بسقيه ومسه
به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس
جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج
من جوفه مثل الجرو الاسود فسعا وانكفات القدر على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه من القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال
يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما

وهو

وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما
اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيئا
فيمنعه فلما استقر في جوفها القى عليها من الحياء ما لم تكن امراة
بالمدينة اشد حياء منها **فصل في اجابة دعائه** وهذا باب واسع
جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركت الدعوة ولده وولد ولده **حدثنا** ابو محمد العتابي بقراءتي
عليه **حدثنا** ابو القاسم حاتم بن محمد **حدثنا** ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو زيد المروزي **حدثنا** محمد بن يوسف **حدثنا** محمد بن اسمعيل
حدثنا عبد الله بن ابي الاسود **حدثنا** حرمي اخبرنا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له
قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة
قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون
اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء
العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف
بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى
مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا
وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه
على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية
في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا

وتصدق قرة بغير فيها سبعمائة وردت عليه تحمل من كل
شيء فتصدق بها وما عليها وباقتابها واحلاسها و
دعا لمعاوية بالتمكن في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب
له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال
ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء
فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة
لا يفضض الله فاك قال فما سقطت له سن وفي رواية نبتت
له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن
عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد بالحبر
وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة
يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد
فقال لقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين
الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب
ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا
فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة
فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا
برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد
وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع

فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن

نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف
سوطه وكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فا
قحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى
حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس
رياسة في اقطار الارض ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله
اثره فاقعد وقال لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال
لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم وقال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا
على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال كذلك كن فلم يزل كذلك حتى مات ودعا على محلم بن
جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحد رجل
بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس
بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا
تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر
من ان يحاط به **فصل في كراماته** وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما
لمسه او باشره قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله اخبرنا احمد بن
محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة حدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس
بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فرساً لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره يبطئ
فلما رجع قال وجدنا فرسك بحراً فكان بعد لا يجارى ونخس جمل
جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل
ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبارك عليها
فلم يملك رأسها نشاطاً وباع من بطنها باثني عشر ألفاً وركب
حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة فرده هملاجاً لا يساير وكانت
شعرات في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالاً إلا رزق
النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيا
لسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه
أبي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى
الله عليه وسلم وكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها وأخذ
جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح
الناس به فأخذته فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار
أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه
بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو من ماء
زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين لسانه
فمصاه وكانا يبكيان عطشاً فسكتا وكان لأم مالك عكة تهدي
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمناً فأمرها النبي صلى الله عليه
وسلم أن تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمناً فيأتيها
بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم فتعمد إليها فتجد سمناً فكانت
تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضع

فيجز

فيجزئهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه أو غرسه لسلمان
حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده
إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها
النبي صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم
النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه و
سلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين
أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل
سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب
أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا
عطشت وبردها إذا ضحيت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى
معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً وقال انطلق به فإنه
سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً فإذا دخلت
بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق
فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر
سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفاً صارماً طويل القامة أبيض
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن
استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ود
فعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب
نخل فرجع في يده سيفاً ومنه بركته في درور الشياه الحوائل
باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية بن ثور وشاة

النبي وغنم حليمة مرضعته وشاة فيها وشاة عبد الله بن
مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو
ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن واحد منهم
السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب
نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره
وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي
ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي
صلى الله عليه وسلم وما مرت يده من شعره اسود فكان يدعى
الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه
اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه
بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده
على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف
النبي صلى الله عليه فيذهب الورم ونضح وجه زينب بنت ام
سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها
ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وروى مثله
في خبر المطلب بن قيالة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى
والمجانين فبرؤا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من
عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه

وسلم باحد به مس فصك في صدره الا في صدره الا ذهب
المس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح
المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم
فشكا اليه ابو هريرة رضي الله عنه النسيان فامره ان يبسط
ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا وما يروى عنه
في هذا كثير وضرب في صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان
ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم
ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان
دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما ومن
ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من
جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على
التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على
غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي
حدثنا اللولوي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة
حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وايل عن حذيفة قال قام فينا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون
في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشيء
فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه
عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي
الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه
واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه
علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله
عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة و
بيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن
المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى و
تفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من
الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر
وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة
ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى و
يسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث
وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرا
رهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الا
مثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور
الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له
الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته

ما زوى

ما زوى له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما
بين الارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك
ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب
ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهو
الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في
الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة
من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم
كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر صلى الله
عليه وسلم بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني
امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف
ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم و
قتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه
وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه
وقال عليه السلام يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان الله عسى
ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير
لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى
كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها الى البصرة
وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال
لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان
وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة

فيهم ابوهريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرق
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال حنظلة الغسيل سلوا زوجته
عنه فاني رايت الملئكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا
واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد وجدنا راسه يقطر ماء وقال
الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون
في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة
يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة
بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن علي وقال
هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا
عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان
اويس القرني وبامراء يوخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في
امته ثلاثون كذابا اخرهم الدجال فيهم اربع نسوة وفي حديث
اخر ثلثون رجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله
ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيكم ويضربون
رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان
وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك
قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك
امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت
لسميتهم لكم بني فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق جماعة

وانهم

وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج واصفتهم
والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس
الناس والعراة الحفاة يتباهون في البنيان وان تلد الامة ربتها
وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم فاخبر عليه
السلام بالموتان الذي تكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من
سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس و
هاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم
في النار اعظم من احد قال ابوهريرة فذهب القوم يعني ماتوا
وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من
خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته
حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب
حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره
وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي
صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه
العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيرها فاسلم
واعلم انه سيقتل ابي بن خلف وفي ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن
مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد
وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك
اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا
وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه

واخبر فيروزا ذورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك
اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما
كان ووجد فى المسجد نائما فقال كيف بك اذا اخرجت منه
قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث و
بعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل
الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال
فى زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى
الجهاد وقال فى الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك
نبى وصديق وشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى
كسرى فلما اتى بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذى
سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراط تجبا اليها خزائن الارض يخسف بها
يعنى بغداد وقال سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد
هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر فى سهيل بن عمرو
وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام
ابى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو
خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر
انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته
وبعد موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من
اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم

وقولهم

وقولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه
اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة
البطحاء واعلامه بصفة السحر الذى سحره لبيد بن الاعصم وكونه
فى مشط ومشاقة فى جف طلع نخلة ذكر وانه القى فى بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة
ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم
وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار
قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء ونعته اياه نعت
من عرفه واعلامهم بعيرهم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التى تكون
ولم يات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس
خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية
من اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان
يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت
الاحاديث التى ذكرناها كفاية واكثرها فى الصحيح وعند الائمة والله
المستعان فصل فى عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من
اذاه صلى الله عليه وسلم قال تعالى والله يعصمك من الناس وقال
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده
قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك
المستهزئين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا
القاضى الشهيد ابو على الصدفى قراءة عليه والفقيه الحافظ
ابو بكر محمد بن عبد الله المعافرى قالا حدثنا ابو الحسن الصيرفى

حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم
بن ابراهيم حدثنا الحارث ابن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله
بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحترس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال يا ايها الناس
انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها
فاتاه اعرابي واخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله
فرعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة
حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في
الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان
النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت
له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل
من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة
غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان
الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم
واشجعهم قالوا اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني
نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري
وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت وقيل فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي

اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم
على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الى
[illegible] وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر انه فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي جمرة على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها
كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي
لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي
يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله
ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى
اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا
والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن
حذيفة ليلة على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا
منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة وما ادراك ما الحاقة الى
قوله فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر

وقال انج وقراها ريس فكانت من مقدمات اسلام عمرو منه العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بابه فقاه على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته على دخولهم في الغار بما هيأ الله له من الايات من العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية ركبتاها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه

فما يدري ما يصنع ونسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه ومجاه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يده عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو الله له ففعل فانطلقت يده وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته دخل

اتى

المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابى هريرة ان
اباجهل وعد قريش لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى
ليطأن رقبته فلما صلى الله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اعلمو فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا
بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء
نارا كدت اهوى فيه فابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد
ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم انزل الله على النبى صلى الله عليه وسلم كلا
ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة
ابن عثمان الحجبى ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال
اليوم ادرك ثارى من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ
من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فدعانى فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى
فما رفعها الا وهو احب الخلق الى وقال ادن فقال فتقدمت امامه
اضرب بسيفى واقيه نفسى ولو لقيت ابى تلك الساعة لاوقعت
به دونه عن فضالة بن عمير واردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام
الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال
ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شئ فضحك واستغفر لى ووضع
يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا
احب الى منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن
قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضرب به انت فلم يره فعل شيئا

فلما

فلما كلمه فى ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بينى وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود
والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم
وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك
نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام
فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته
وما كان فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم
ووعى سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيا
نهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكما
ئهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضته كل فرقة من الكتابيين
فى كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ
فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها وامثا
لها وحكمها ومعانى اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى
المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهم
الغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض
فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق
ومحامد الاداب وكل شئ مستحسن مفضل لم ينكر
منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل
كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه

صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل
لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصانه انفسهم
واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا و
التخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون
المعارف كالطب والعبادة والفرايض والحساب والنسب
وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه
السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام
الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلث رؤيا
حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل
كل داء البردة وما روى عنه في حديث ابي هريرة من قوله
المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا
حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدار
القطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن
ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبا
ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم
ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في
نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله
حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد

كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله
في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر ان الحسنة
بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة
في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين
المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او للاقرع انا افرس بالخيل منك
وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه
صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى
قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق
ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه
كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم
واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم ومد الرحمن وحسن الله و
جود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا
يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه
السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور
قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغا
ت الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
وقوله ويكثر الهرج بالفارسية وهو القتل بها وقوله في حديث
ابي هريرة اشكنب درد م اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك
مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله
امي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا

نشا بين قوم لهم علم ولا قراة شيء من هذه الامور ولا عرف هو
قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية معارف العرب النسب
واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد
التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهل عنه
وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى
جحد الملحد لشيء مما ذكرنا ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصنا
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكا
برة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا
يعد من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله
عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم
الفصحا اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به
والاتيان بمثل بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه وكيف
باعجمي الكن وقد كان سلما او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار
على اختلاف في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدا اعمارهم فهل
حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودوب طلبه وقوة حسده ان يجلس
الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به
على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار
كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت

اختلا

اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل
لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه
مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره
في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله
مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كا
هن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القران قاطعا
لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر فصل ومن خصا
يصه عليه السلام وكراماته وباهر اياته ابناؤه مع الملائكة
والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من
اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
الاية وقال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا
وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الايتين
وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون الاية حدثنا
سفيان بن العاصي الفقيه سماعي عليه حدثنا ابو الليث السمر
قندي قال اخبرنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ
حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن
حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال
راى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محا
دثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده
من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور
وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة

فراى اصحابه جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسئله
عن الاسلام والايمان وروى ابن عباس واسامة وغيرهما
عنده جبريل فى صورة دحية وراى سعد على يمينه و
يساره جبريل وميكائيل فى صورة رجلين عليهما ثياب
بيض ومثله على غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة
خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الروس من الكفار
ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شى
وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وراى النبى
صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل فى الكعبة فخر مغشيا
عليه فراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم
وشبههم رجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير
لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته وكان النبى
صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يا مصعب فقال له الملك
لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبى صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل بيده عصا فسلم على النبى صلى الله وسلم
فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لا
قيس بن ابليس فذكر انه لقى نوحا ومن بعده فى حديث طويل
وان النبى صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر
الواقدى قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التى خرجت
له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبى صلى الله
عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا

تفلت

تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته
فاردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا
اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى
ملكا الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع فصل ومن
دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن
الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة
امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذى بين كتفيه وما وجد
فى ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس
بن حارثة وكعب بن لوى وسفيان ابن مجاشع وقس بن سا
عدة وما ذكر عن سيف بن ذى يزن وغيرهم وما عرف به
من امر زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره
وما الفى من ذلك فى التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام
وبنى سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم
من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشى
ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء
النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما
النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صا
حبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسعد والزبير
بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاء والاخبار فى هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع

اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته
وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم
ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم
الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم
اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون
عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ
القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب
وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعا نجران
وجدل بن جدل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد
ابن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى
ما ظهر على السنة الاصنام من نبوة وحلول وقت رسا
لته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجوا
ف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور
بالخط القديم مما اكثره مشهور واسلام من اسلم
بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر
من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من
العجايب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه
عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاصي من
تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور

وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام
على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء
الى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما
تعرفت حليمة وزوجها ظيراه من بركته ودرور لبنها له
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشا
ته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى
وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكا
ن لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله
وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم
يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح
صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حا
ضنته ما رايته عليه السلام شكى جوعا ولا عطشا صغيرا
ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد
الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض
الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من
ذلك وحماه حتى في ستره وفي الخبر المشهور عند بناء الكعبة
اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط
الى الارض حتى رد عليه ازاره فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت
عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
ان خديجة ونساءها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت
ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد
روي ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك
عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل

ميعتد تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها و
اينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رواه
وميل في الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته كما ذكر
من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا
وان الذباب كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده.
ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلا
مه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بينه وبين
بيته منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملا
ئكة على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم
يستاذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص
عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند
موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته كاستس
ستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضي
ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها
على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة
وحذفنا الاسانيد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب
هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين
احدهما كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها

اوما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء عليهم السلام
تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القران
وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم
الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فهو اقل
ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعين الف كلمة و
نيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فيجزا القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من
سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر
من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه
التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضا
عف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا
يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الواردة عنه
عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله
تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه و
سلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب
الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان في زمان موسى عليه السلام

غاية علم اهل السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدر
تهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام اغنى
ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه
واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون
معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبيا صلى الله عليه و
سلم ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل
عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز
والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب
الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة
ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب و
النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والا
مم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن
بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت
هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي
ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل
امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا
زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد

الايمة

الايمان ويتظاهر البرهان وليس كالعيان وللمشاهدة زيادة
في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى
علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل
انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا
لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه
السلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا
القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء
نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة
هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا
الله وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها و
حيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه والتحيل عليه والتشبيه فان غيرها
معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل
بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا
مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا السحر
في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من
المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب او يكون شاعرا او خطيبا
بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا
التاويل الثاني ما يغض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب

من قال بالصرفة وان المعارضة كانت مقدورة للبشر فصرفوا
عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من
جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان
الله لا يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين
وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من
جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلا
ل وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله
والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس
مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره وقال
وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها
كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا
ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك
الفن وفضل علم الى ان يرده صحيح النظر واما التحدي للخلا
ئق المئين من السنين بكلام من نوع كلامهم ليأتوا بمثله
فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا
منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان يمنع الله
القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية
واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه
ظهور ايته على سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن
ذلك بدقة فهم العرب وذكاء البابهم ووفور عقولها وانهم
ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادرا

كهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه
السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم
فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد
ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للا
بصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن و
السلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب
على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول
صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الر
سول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة
معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها
في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في
نصرته واتى معنى في هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج
لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسا
لك وظهورها استعين القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه
عليه السلام قال القاضي ابو الفضل عياض وهذا قسم لخصنا فيه
الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره و
حكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره الباب الاول في فرض الايمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته ان تقرر بما قدمناه ثبوت

وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال
الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقال تعالى
انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله
وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الاية فالايمان
بالنبى محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا
يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيراً حدثنا ابو محمد الخشنى الفقيه بقراءتى
عليه حدثنا الامام ابو على الطبرى حدثنا عبد الغافر الفارسى
حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين
حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح
عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابى هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا فعلوا
ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال القاضى ابو الفضل عياض فالايمان به عليه السلام
هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه فى جميع ما جاء به
وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان
بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشها
دة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد فى هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله ابن عمر امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله
وقد زاده وضوحاً فى حديث جبريل اذ قال اخبرنى عن الاسلام
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان

محمداً

محمداً رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال
ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر
ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر
الى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنا
فقين لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقادهم و
تصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم
لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن
اسم الايمان ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا
بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار وبقى عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام
المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الا
سلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها
بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما
جعل فى حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق
من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان
يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه
فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشها
دة به ورآه بعضهم مؤمناً مستوجباً للجنة لقوله عليه السلام
يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى

ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك
غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية يصدق بقلبه
ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة ولم ينطق بها جملة
ولا استشهد في عمره مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل
هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص
بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة
اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد
ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ
يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما
وفي الزيادة والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا
يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض
منه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم
اعتقاد ووضوح معرفته ودوام حاله وحضور قلب وفي
بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا
ان شاء الله فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به
وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى قل
اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون و
قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع
الله والرسول فاولئك هم الفائزون وقال وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد

على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب
نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام
سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من ر
سول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع
الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن
عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول
فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والر
سول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم و
الرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالر
بوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن
محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا
يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع
ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
طاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن
اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصا اميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته
امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله على الكفار في در
كات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقد قال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي

هريرة عنه عليه السلام كل امتى يدخلون الجنة الا من
ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى
فقد ابى وفى الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام
مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم
انى رايت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه
طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته
طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم
واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به و
مثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق وفى الحديث
الاخر فى مثله كمثل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا
فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب
الداعى لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعى
محمد فمن اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق
بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله
النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الى اخر الاية اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم و
اسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية وقال محمد
بن على الترمذى الاسوة فى الرسول الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد

من المفسرين

المفسرين بمعناه هو عتاب للمخالفين عنه وقال سهل فى قوله
تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم
تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم تعالى محبته فى الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه
واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن ان
اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله الاية وروى ان الاية نزلت فى كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امرتم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب
من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصى الاله
وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع لو كان حبك صادقا
لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه
له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى
مدحه وثنائه عليه قال القشيرى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة
والمدح كان من صفات الذات وسياتى بعد فى ذكر محبة العبد
غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه
قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس
بن مغيث الفقيه بقراءتى عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا
ابو جعفر الجهنى حدثنا ابو بكر الاجرى حدثنا ابراهيم بن موسى

البجوزتي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن
يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري وما
وجدنا في كتاب الله اتبعنا وفي حديث عايشة صنع رسول الله
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه و
سلم فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروى عنه عليه السلام انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي
خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال تعالى وما اتيكم
الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن
رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى
محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله ابن عمرو بن العاصي قال
النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل اية
محكمة او سنة متبعة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي
الحسن عنه عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في

بدعة

بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال
عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة
وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن
انس قال عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني
كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت
بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من
اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله
كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا
فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والا
قتداء بهديه وسيرته حدثنا ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن
ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا
حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن
شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال
يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القران ولا
نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال
عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة
الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال

لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها
منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما
تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا قال تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في
بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن
اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن
فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين
صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان
ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه قال الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من
خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه
ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله تعالى الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها

الا

الا حط الله تعالى عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان
اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل
وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا
ان يكون منهاج الانبياء وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن
العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
فيحاكم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم
الله وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
الى كتاب الله وسنة رسوله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله
الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما
قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان وسئل
فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا
وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال
والاخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل
الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا
الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل
الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا قال لي يا احمد
ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما

يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره و
تبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية
حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتى
عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القا
بسى حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن سليمان
حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث فى صفة امته
وفيه فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا
فسحقا وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من رغب
عن سنتى فليس منى وقال عليه السلام من ادخل فى امرنا ما ليس فيه
فهو رد وروى ابن نافع عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امرى مما امرت به او
نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه زاد فى
حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
ما حرم الله وقال عليه السلام وجىء بكتاب فى كتف كفى بقوم حمقا
او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير
كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
الاية وقال عليه السلام المتنطعون وقال ابو بكر الصديق

لست

لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب
الثانى فى لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها
ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها
واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله
واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله تعالى
فتربصوا حتى ياتى الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم
ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما
اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن
عبد الله القاضى حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا المروزى
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
بن صهيب عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن ابى هريرة نحوه وعن انس عنه عليه السلام
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسو
له احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله و
ان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه
وسلم لانت احب الى من كل شىء الا نفسى التى بين جنبى
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى

اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك
الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه
السلام في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
عليه السلام حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا ابو
زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم ابن ابي
الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة
ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن
صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني
احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري وانس وعن ابي
ذر بمعناه وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين
فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة
وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك
واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع
النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول

فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي
حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا
يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم
القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني
كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم النبي
صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري
حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا
قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا
ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر
تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي
وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب
الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم
فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب
كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي
طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان
تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها

وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا
خيراً هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته
قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموا
لنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء وعن زيد بن
اسلم خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش
صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني
وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية
طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس
اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت
امراته واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان
المراة قالت لعايشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب
ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد
والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب
احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عبا
س كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت
من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله
ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت
والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة

محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئاً آثره وآثر موافقته
والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به و
امتثال اوامره واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكر
هه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من ها
جر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضا الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسن الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالوا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا
محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل
ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني كان معي
في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن
اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه
يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله وسلم كثرة
ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه وكل

حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم
المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه
تقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة
خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
له عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال
اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين
منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته لمن المهاجرين والانصار
وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحبه وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم اني احبهما
فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد
احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني
فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة
مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في اسامة بن زيد احبه وقال
اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي حديث
ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة
السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين
راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما

ذلك

زلت احب الدباء من يومئذ وهذا حسن بن علي وعبد الله بن عبا
س وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما
كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس
النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف
شريعته قال الله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا
احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله
ابن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي
اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عا
يشة كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه و
يحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علا
مة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى
الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة
وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا
وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال
ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا القران فان كان يحب
القران فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه
وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع
المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن
علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثار الفقر واتصافه
به وقد قال عليه السلام لابي سعيد ان الفقر الى من يحبني

من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال اني والله احبك
ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث
ابي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي
صلى الله عليه وسلم وكثرة عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخرون ايثار المحبوب وقال ايثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة
القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب
الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موا
فقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة
والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل
اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور
عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل
الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم والتشيع من امة
في اخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام

النفوس

النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر
لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت
انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال
الظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من
الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذ
لك وقد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم
وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه
بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة
واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى
ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب
المحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة
بما ذكرناه انفا لافاضة الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان
يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة
او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم
ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته وحاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاص
بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال

على غاية من مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال على
رضى الله عنه فى صفته عليه السلام من راه بديهة هابه و
من خالطه معرفة احبه وذكرناه عن بعض الصحابة انه كان لا
يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم فصل
وجواب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ور
سوله اذا كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية حدثنا
الفقيه ابو الوليد بقراءتى عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا
يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
التمار حدثنا ابو داود حدثنا ابن يونس حدثنا زهير حدثنا
سهيل بن ابى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان
الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال
ائمتنا رحمهم الله تعالى النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستى النصيحة كلمة
يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر
عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها فى اللغة الاخلاص من
قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابى
اسحق الخفاف النصح فعل الشىء الذى به الصلاح والملاءمة
ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذى يخاط به الثوب وقال
ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله صحة الاعتقاد له بالوحدانية

ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة فى محابه
والبعد عن مساخطه والاخلاص فى عبادته والنصيحة
لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده و
التعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين و
طعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة
له فيما امر به ونهى عنه وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا
وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق
باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة قال ابو ابراهيم اسحق التجيبى نصيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله
واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد مفروضات القلوب اعتقاد
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجرى وغيره
النصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته
نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع
والطاعة له وبذل النفوس والاموال له كما قال تعالى رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الاية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية
واما نصيحة المسلم له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة
المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه فى شريعته ومحبة ال بيته
واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه و
التحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره
وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكر تكون النصيحة احدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم
القشيرى ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير

الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل ما فعل الله بك فقال
غفر لي فقيل بماذا قال صعدت في ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله ذلك لي و
غفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على
ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم **الباب الثالث**
في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا ار
سلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله و
رسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الثلاث ايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس
تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
تنصروه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهي
عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول
ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن
عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا

توا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه
به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع
عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في
اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم
عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضكم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد
مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينا
دى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال غيره
لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم
فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم
اتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى
بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة
كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى
بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه
صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان
حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت
ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت

هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها ابداً الا كاخي السرار
وان عمر كان اذا حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيه ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادو
نك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن
عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت
له جهوري ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن
رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقال
بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا
عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه
ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله
عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة و
منعاً للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا **فصل**
في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا
القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي سماعا عليهما في اخرين
قالوا انبانا احمد بن عمر انبانا احمد بن الحسن انبانا محمد بن عيسى
انبانا ابراهيم ابن سفيان انبانا مسلم انبانا محمد بن مثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور قالوا انبانا الضحاك بن مخلد انبانا
حيوة بن شريح حدثني يزيد بن حبيب عن ابن شماسة المهري قال
حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال ما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في

عيني

عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت
ان اصفه ما اطقت ان اصفه لاني لم اكن املأ عيني منه وروى
الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم
ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظر
ان اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسا
مة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش
عام القضية الى رسول الله ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه
لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسامهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت
كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت
ملكا في قومه مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه
اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا و
عن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل
ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت
لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث

طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جا
هل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسئله فاعرض
عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن
قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا القرفصا ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما
وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد
ان اسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخر
سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حيوته وذلك
عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه
وسيرته ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر
عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
في هيبته واجلاله لما كان ياخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتادب بما ادبنا الله تعالى به قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله تعالى وهذه كانت سيرة سلفنا الصالحين وائمتنا الما
ضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجاز
ونيه قالوا انبانا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال انبانا ابو
الحسن علي بن فهر انبانا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج انبانا
ابو الحسن عبد الله بن المنتاب انبانا يعقوب ابو اسحق بن
ابي اسرائل انبانا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين

مالكا

مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا امير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله ادب قوما
فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما
فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فا
ستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعوا
ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف
وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام
الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله
تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك وقد سئل عن
ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا ايوب افضل منه قال
وحج فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بكا حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله النبي
صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان ما
لك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لهم لو رايتم ما رايت
لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد
القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد
كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صائما واما
يقرا القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين

يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم
وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم بكا حتى لا يبقى في عينيه دموع
ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر
عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته
ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكا فلا يزال يبكي حتى
يقوم الناس عنه ويتركوه وروى قتادة انه كان اذا سمع
الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل
له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته
صلى الله عليه وسلم حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن
بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب
له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله
وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي
صلى الله عليه وسلم خشع فصل في سيرة السلف في تعظيم
رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو بكر
البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر
حدثنا احمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا

المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت
الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن
جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما قرب من ذا وفي
رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت
اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة
مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد
موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله
عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون
يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له و
حكى ذلك مالك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك بن انس اذا حدث عن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم
وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا

ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه ويلقى له منصة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يتجمر بالعود حتى يفرغ من
حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره ولم يكن
يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن ابى اويس فقيل لمالك فى ذلك فقال احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث فى الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار
ابن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة قال
عبد الله بن المبارك كنت عند ملك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست
عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت
له يا ابا عبد الله لقد رايت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدى مشيت يوما
مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرنى وقال لى كنت فى
عينى اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشى وساله جرير بن عبد الله لحميد القاضى عن حديث وهو قائم
فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال احق من ادب وذكر ان هشام بن
الغازى سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادنى سياطا
وزادنى حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران قتادة يستحب ان لا يقراء احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة

وكان

وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء يتيمم فصل
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المومنين
ازواجه كما حض عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضى الله
عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية
وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبته من اصله قال حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغانى
قال حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف قالت حدثنى
ابى حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى
هو الحمانى حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن
حيان عن زيد بن ارقم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
الله اهل بيتى ثلاثا قلنا ليزيد من اهل بيته قال آل على وآل جعفر وآل عقيل
وآل العباس وقال عليه السلام انى تارك فيكم ما ان اخذتم به لن
تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما
وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز
على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معر
فتهم هى معرفة مكانهم من النبى صلى الله عليه وسلم واذا عرفتهم بذلك
عرفت وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابى سلمة لما نزلت
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الاية وذلك فى بيت ام سلمة دعى
فاطمة وحسنا وحسينا رضى الله عنهم فجللهم بكساء وعلى
خلف ظهره ثم قال اللهم هولاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لما نزلت
اية المباهلة دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة وقال اللهم هولاء اهلى وقال عليه السلام فى على من كنت موليه

فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك
الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الله ورسوله ومن اذى عمي فقد
اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم
وجللهم بملاءته وقال اللهم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوا
يط البيت امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في
اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله و
سلم احب الي من ان اصل من قرابتي وقال عليه السلام احب الله من
احب حسنا وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن
وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال عليه السلام
من اهان قريشا اهان الله قال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
عليه السلام لا تؤذوني في عايشة وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر
رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي
ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن قال اتيت عمر بن
عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب
الي فاني استحي من الله ان اراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على
جنازة امه ثم قربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه
فقال له زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء
فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا و
راى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال هذا عبدي فقيل له هو محمد
بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه

رسول

١٣٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت
اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد
العزيز ومعها مولاة لها تمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى
جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه
وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضيها ولما فرض عمر بن
الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد ثلاثة الاف
وخمسمائة قال عبد الله لم فضلته علي فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ابيك واسامة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فاثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية
ان كابس بن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه
المرغاب لشبهه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروي ان مالكا
رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فافاق وقال اشهدكم اني قد جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله
عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل ان
المنصور اقاده ابن جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها
سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي
لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه و
سلم ولان اخر من السماء الى الارض احب ان اقدمه عليهما وقيل لا
بن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واى اية اعظم من ذ
هاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران
ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة
السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا
بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار
لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان
بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم
اهل لذلك فلا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما
قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال
السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال تعالى لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي الحسن وابو الفضل
قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن
زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين

من بعد

من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقال انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحا
بي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمر
سلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم
خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني
ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك ابن انس وغيره من
ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية
الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب
محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله ابن
المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد
اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان
فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد فقد برئ من النفاق
ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا و

ويكون قلبه سليمان وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعر
فوا له ذلك يا ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم
ذلك يا ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر واحد بالحديبية يا ايها
الناس احفظوني في اصحابي وانصاري واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في يوم القيمة
غدا وقال رجل للمعافى بن عمران بن عمر بن عبد العزيز من معاوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معا
وية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن
مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصها
ري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم
يحفظني فيهم تخلى الله منهم ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه
وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم
القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني
في اصحابي لم ير على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله
تعالى هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع
لهم وبذلك امر الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالا
تهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من

المغيرة

المغيرة ابن نوفل ان تشفع لهم يوم القيمة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره
فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشا
هده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه
السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي
محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض
حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة
بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها و
تقع في ايدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب
بالمدينة دابة وكان يقول استحي من الله ان اطأ تربة فيها رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه ذهب للشافعي
كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فا
جابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد
بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس
بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية
يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم
انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه الصلاة والسلام

في المدينة من احدث فيها حدثاً او اوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً

وحكى ان جهجاها الغفارى اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول

وقال عليه السلام من حلف على منبرى كاذباً فليتبوا مقعده من النار وحدث ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً منشداً قول ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي

ولما راينا رسم من لم يدع لنا فواداً لعرفان الرسوم
ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلاً

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطى الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشياً فقيل له في ذلك فقال العبد الابق لا يأتي الى باب مولاه راكباً لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد فيها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومثوى

خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

شعر
يا خير دار المرسلين ومن به هدى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملات محاجرى من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والاعادى زرتها ابداً ولو سحباً على الوجنات
لكن ساهدى من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله تعالى يترحم على النبي وملائكته به يدعون له وقال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعا الرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال بكر القشيرى الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه وصلاة الملئكة الدعا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وفرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة و

الحجرات

المبتسق

لفظ البركة قد دل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله
تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية
على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا
على النبي صلى الله عليه وسلم حضورهم قبره وعند ذكره وفي
معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك
ونكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام
على حفظك ورعايتك متولاه وكفيل به ويكون هنا السلام
اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد
كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل
اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير
محدود بوقت لامر الله تعالى بالصلاة وحملة الائمة والعلماء له على
الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية
عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والوا
جب منه الذي يسقط به الحرج وما ثم ترك الفرض مرة كا
لشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب مرغب فيه من
سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن ابن القصار
المشهور عند اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان
وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك
وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا
على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالوا
جب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن

نصر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة وان من صلى
عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشا
فعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في
الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما
في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما
اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشا
فعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من
بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وان
صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها
من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر ابن المنذر يستحب
ان لا يصلي احد صلاة الا فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل
المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم
وهو قول جل اهل العلم وحكى عن مالك وسفيان انها في
التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء
وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واو
جب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى

ابو محمد بن ابو زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد
خالف الخطابي وغيره من اصحاب الشافعي في هذه المسئلة.
قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي في هذا ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست
من فروض الصلاة وعمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم
عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسالة جدا وهذا تشهد
ابن مسعود الذي اختاره الشافعي ليس فيه الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى
الاشعري وعبد الله بن الزبير وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى
الله عليه وسلم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد
قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو
بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر ابن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال
ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل
الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل
بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي
بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه و

سلم ولا على اهل بيته لرايته انها لا تتم. **فصل** في المواطن التي يستحب
فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعا حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله تعالى بقراتي عليه قال حدثنا
الامام ابو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي
عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا
عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة شريح حدثني ابو هاني الخو
لاني ان عمرو بن مالك التجيبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول
النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم
دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء
عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء ويروى
عن غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر ابن الخطاب
قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله
منه شي حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وبمعناه وعن عايشة رضي الله عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى ال محمد وروي ان الدعاء محجوب
حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا
اراد احدكم ان يسال الله فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله
ثم يصلي على النبي صلى الله وسلم ثم يسال الله فانه اجدر ان ينجح وعن
جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا
تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شربه او لوضوء توضا والا هراقه ولكن

اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان
واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار
في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور
القلب والرقة والاستكانة والخضوع والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار
واسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء
بين الصلاتين لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء
فاذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه
عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدا بالصلاة على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك و
رسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن
مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند
الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه
الا على الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد
رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية
له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس
ابن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة
عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد
قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك على اله
ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال
عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت
ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله
واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصا
لحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملئكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره
بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن
عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة
على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة
التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكروها الصلاة على النبي واله في
الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول
واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض
ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي
في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن
مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة

حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره قال حدثتنا كريمة بنت محمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا
الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا
قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا
احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر انه كان يقول اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم
استحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام
قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر انهما كانا
يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح
في السماء والارض من الملائكة وبني ادم والجن قال مالك في المجموعة
واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليكم **فصل في كيفية** الصلاة عليه والتسليم حدثنا
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي
ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد
وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم

الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته
كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي
مسعود الانصاري رضي الله قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
اله كما صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال
محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك
ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا
اخبرنا ابو عبد الله ابن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر
المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم
الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا
انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال

ابراهيم انك حميد مجيد وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد
كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابى هريرة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى وازوا
جه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى سالت رسول الله
صلى الله وسلم كيف نصلى عليك فقال صلوا على واجتهدوا فى الدعا
ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد وعن سلامة الكندى كان على يعلمنا الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم اللهم داحى المدحوات وبارئ المسموكات اجعل
شرايف صلواتك ونوامى بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
مع لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك لطاعتك مستوفزا فى
مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك
حتى اورى قبسا لقابس الاء الله تصل باهله اسبابه هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنير
الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير مكدرات من
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل وبرهان عظيم

وعنه

١٤٧

وعنه ايضا فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ان الله وملا
ئكته يصلون على النبى الاية لبيك اللهم ربى وسعديك صلوات
الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين الصديقين والشهدا
والصالحين وما سبح لك من شىء يا رب العالمين على محمد بن
عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول
رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك باذنك السراج
المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على ال محمد كما باركت على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى يقول
من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا
معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته
سؤله فى الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى وعيسى وعن
وهيب بن الورد انه كان يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا افضل
ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك
واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود
انه كان يقول اذا صليتم على النبى صلى الله عليه وسلم فاحسنوا

الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاو
لون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلاة وتكثير الثنا
عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما
علم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين وفي تشهد
علي السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام
على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين منا من غاب
منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل
بيته واغفر لي ولوالدي وما ولد وارحمهما السلام علينا وعلى عبا
د الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جا في الحديث عن علي الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران
وفي حديث الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له ايضا بالرحمة ولم
يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي عليه السلام وانما يدعى له
بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة
وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اللهم ارحم وال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ابرهيم وعلى ال ابرهيم
ولم تات هذه في الصحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك

ايها

ايها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل في فضيلة الصلاة على النبي**
صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء حدثنا احمد بن
محمد بن الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث
حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا النسائي حدثنا سويد بن نصر حدثنا
عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد
الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم
سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عبا
د الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب
له عشر حسنات وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و
سلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه
عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه عليه السلام لقيت جبريل عليه السلام فقال اني
ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى
عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس
بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله
المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن
مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي

هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملئكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن
عامر ابن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من
صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقل من ذلك
او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي ابن كعب يا
رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما
شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال النصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك
قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت في بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته
فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي
ان الله بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمد الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة
يوم القيمة وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال من قال حين
يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله تعالى قال من سلم علي

عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام لا اعرفهم الا
بكثرة صلاتهم علي وفي اخرى ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها و
مواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصلاة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقي حدثنا
ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن ابن اسحق عن سعيد بن سعد عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يد
خلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث
اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقا
ل امين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده
الله قل امين فقلت امين وقال من ادرك رمضان فلم يقبل منه مثل
ذلك من ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه عليه الصلاة والسلام انه قال البخيل الذي
ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من
ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ابو القاسم
صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان

يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت
عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن
ابي هريرة من نسي الصلاة على النبي طريق الجنة وعن قتادة عنه
عليه السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن
جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه
على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن
من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب
حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على
النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك
المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه وسلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين
بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن
داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا
حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن ابي قسيط
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام
على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان

احدا

احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن
الحسن رضي الله عنه عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا علي
فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض
عليه اسمه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد
فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى
تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا
وصلوا علي حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث ما كنتم وفي
حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة
علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض
لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك
حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا قال كذا وكذا
صلى الله تعالى عليه وسلم فصل في الاختلاف في الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
قال القاضي رحمه الله تعالى عامة اهل العلم متفقون على جواز
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا
يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي
الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت

بخط بعض شيوخ مذهب مالك رحمه الله تعالى انه لا يجوز
ان يصلى على احد من الانبياء سوى النبي محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقال مالك في المبسوط
ليحيى ابن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلاة
على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في
حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة عليه و
فيه وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفا
سى روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال وبه يقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى
عبد الرزاق عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا
على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني والاسانيد عن ابن
عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك
على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح واجماع وقد قال تعالى هو
الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي
اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان وفي حديث
الصلاة اللهم صل على ال محمد وعلى ازواجه وذريته وفي اخر وعلى ال
محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل
ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية انس سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ال محمد
قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه

فانه كان

فانه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على ال محمد احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل
لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل
قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود يريد
من داود وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ
من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر
وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار
الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب
اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله تعالى
وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين
انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء
توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما
ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضا قال
الله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان وقال والتابعون لهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول
كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة والمتشيعة في بعض

الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه اهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص
وصلاة النبي على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس
فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء
الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني
من شيوخنا وبه قال ابو عمر بن عبد البر فصل في حكم زيادة قبره
عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف عليه ويدعو
وزيارة قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجتمع عليها و
فضيلة رغب فيها روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن
انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا
يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف
في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن
الله زوارات القبور وهذا يرده قوله من زار قبري فقد اطلق اسم
الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزاير افضل من المزور وهذا ايضا
ليس بشيء اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد
في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في
حقه قال ابو عمر انما كره ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى

الله

الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره
تسوية النبي صلى الله عليه وسلم وكره تسوية النبي صلى الله عليه
وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي
صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وو
اجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا و
جوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك
له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مسا
جد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا
للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما
لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره
وقبره ومجلسه وملامس يديه وموطئ قدميه والعمود الذي
كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده
من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي
فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم
قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله
عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المه
المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي الك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

فاقرأه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال
بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى
القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن
يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة
مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي
بكر السلام على ابي ثم ينصرف وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى
الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
على النبي صلى الله عليه وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم
والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط
ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يد
عو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما جاء
في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل
مسجد رسول الله صلى الله تعالى بسم الله وسلام على رسول الله
عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على
محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك و
احفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي

ما بين

ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله
فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ر
كعتاك في غير الروضة اجزأتك وفي الروضة افضل وقد قال
عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا وتصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر و
عمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء
قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا
دخل وخرج يعني المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج
يجعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى
فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك
من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد
صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله
توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة
رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل

المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبلى
هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى الله على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غير
ها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله وليقل
اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال
فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فليصل عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان
ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك
في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد
من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما
اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابو القاسم ورايت اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر المقدس وسلموا قال وذلك
راي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا
لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم
بها وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب
الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري
عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر فلا يلتصق به
ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام

في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب موضع التنفل فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في
البيوت **فصل** فيما يلزم من دخول مسجد النبي صلى الله عليه و
سلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه
وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال
مسجدي وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك
بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن
احمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا
ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسه
حدثنا ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن
سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن
انت فقال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك
ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي

لاحد ان يعمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما
يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب
فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على
حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن
مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على
المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليست مما يخص به المسا
جد ورفع الصوت فيكره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات
الا المسجد الحرام ومسجد نبينا صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة المشرفة
والمدينة الشريفة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقال
ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في
سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الف
واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن
الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل الكوفة ومكة الى
تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب
مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث

المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هر
يرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا
بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام
على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع
قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه
الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع
المدينة وذهب الطحاوي ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض
وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال و
جمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة على غيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي
سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من
ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني
ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي
بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني
الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله
ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو
الاظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره
والحضور عنده الملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب
الشرب منه قال الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
احدهما انه يوجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك

من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى ان تلك البقعة
قد ينقلها الله فتكون بالجنة بعينها قاله الداودى وروى عمر وجماعة
من اصحابه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة لا يصبر على لاوا
ئها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال
فيمن تحمل عن المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير
تنفى خبثها وتضع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة
عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه السلام من مات فى
احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه
ولا عذاب وفى طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن
عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن يموت
بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الى قوله امنا
قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من
احدث حدثا ولجا اليه فى الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكى ان قوما اتوا
سعدونا الخولانى بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا
واضربوا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن فقال
لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاثة حجج حرم الله شعره وبشره
على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال
مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفى الحديث
عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود
الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وحشر

وحشر يوم القيمة من الامنين قرات على القاضى الحافظ
ابى على رحمه الله حدثك ابو العباس العذرى قال حدثنا ابو
اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى حدثنا الحسن بن رشيق
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس
سمعت الحميدى سمعت سفيان بن عيينه قال سمعت عمرو بن
ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما دعا احد بشئ فى هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عبا
س وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى وقال عمرو بن
دينار وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان وانا فما دعوت
الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت ابن عمرو الا استجيب لى قال
الحميدى وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الا استجيب لى منذ
سمعت هذا من سفيان وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله
بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى
قال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال ابو اسامة
وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشئ
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن ابن رشيق الا استجيب
لى من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسا
مة الا استجيب لى قال ابو على وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة
فاستجيب لى بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لى

بقيتها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذاً من هذه
النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل
الذي قبله حرصاً على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما
يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال
البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم الاية وقال
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر
الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس
مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم
مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا
كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال
الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه
وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين
خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه
من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظوا
هرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها
ما يطرئ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت

الا

الانسانية وارواحهم متصفة باعلام اوصاف البشر
متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من
التغيير والافات لا يلحقها غالباً عجز البشرية ولا ضعف الا
نسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم
كما لا يطيقها غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواه
رهم متسمة بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق
البشر ومن ارسلوا اليهم مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى
فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة
الارواح والبواطن مع الملئكة كما قال عليه السلام لو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة
الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا
ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني
فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايض والاعتلا
لات وهذه جملة لن نكتفي بمضمونها كل همة بل اكثر يحتاج الى بسط
وتفصيل على ما ياتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي
ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة
نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اعلم ان الطوارى من التغييرات والافات على احاد البشر
لا تخلو ان تطرا على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله في
الحقيقة وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع
عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر

تطرا عليهم الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من
البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت
البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم
وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار كما عبنيه
ان شا الله تعالى فيما ناتي به من التفاصيل فصل في حكم عقد
قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته قال المؤلف رحمه
الله اعلم نحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد
والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشي من ذلك او الشك
او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا
ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان
يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه
السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله
تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحيا فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني
بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام
انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال
ذلك من ربه فيكون قوله ولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال زيادة
يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم
الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك
على الضروريات تمنع وتجوز في النظريات فاراد الانتقال من

من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف
غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه
ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سوال
على طريق الادب ليحتج المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه الشك
وما شك ولكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا عليه السلام نحن احق
بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر
الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء
الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق
التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله
او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبتك
قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات الشك من النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي
اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس
لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما اشك
ولا اسئل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل
المراد با قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة
نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم

كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره
ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء
الاتراه تقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام
كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب فهذا كله يدل
على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن فسال
به خبيرا المامور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسال النبي
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر
السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه
وسلم بسوال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار
الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى
واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون
والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل
معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدى اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اى
ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال
الانبياء ليلة الاسرا عن ذلك وكان اشد يقينا من ان يحتاج الى
السؤال فروي انه قال لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل
سل من امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول
مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلا
مه بما بعث به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا
على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اى في علمهم انك رسول الله وان

لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاوقد يكون
ايضا على مثل ما تقدم اى قل لمن امترى بالجهد في ذلك لا تكونن من الممترين
بدليل قوله في اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم الله انه لم يقل وقيل معناه
ما كنت في شك فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك و
قيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن
صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد
ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى
اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا
المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك
الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان
من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين
وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم على الانبيا والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير
بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما
ورد في حديث السيرة ومبتداء الوحي من قوله لخديجة لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية
الملك ولكن لعله خشي ان لا يحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الو
حي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا بدل على ما ورد في الصحيح
انه قال بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقاء الملك واعلام
الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم

عليه الحجر والشجر وبدائه المنامات تبشير كما روي في بعض طرق
هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل
ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر مشاهدة و
مشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية البشر وفي الصحيح عن عا
يشه اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرويا الصادقه قالت ثم حبب اليه الخلا وقالت الى ان جاه
الحق وهو في غار حرا الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى
الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضو سبع سنين ولا يرى شيا وثمان سنين يوحى اليه وقد
روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بغار حرا قال فجاني وانا نايم فقال اقرا فقلت ما
اقرا وذكر نحو عايشة في غطه له واقرايه اقرا باسم ربك الثو
ره قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي
ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش
بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلا
قتلنها فبينا انا عامد لذلك اذا سمعت منادبا ينادي من السما
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين لك في هذا ان قوله لما قال
خديجة وقصده لما اقصد انما كان قبل لقا جبريل عليه
السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره اصطفاه له
بالرسالة ومثله حديث عمرو ابن شرحبيل انه عليه السلام
قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت ندا وقد خشيت
والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى

الله

الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا
واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض
هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم
منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتدا
امره وقبل لقا الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله له ولقايه الملك
فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى
ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى
في مكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو
ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما
الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها
الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها
لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام
عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر
حال الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك اذا جاك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له
اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان
هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل على انها
مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شوا
هق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا و
لم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثله هذا الا من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل
ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصح
معنى هذا التاويل حديث شريك رواه شريك عن عبد الله بن
محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار
الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتد
ثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المدثر يا ايها المزمل او انه خا
ف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة فعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به و
نحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له بما
وعدهم من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة
وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد
وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان
يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك

وغيرهما

وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله تبا
رك وتعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف الانبياء وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغا
ضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله تعالى به
على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه
فخرج كذلك مغاضبا وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما ان
ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الاية بقوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون الاية ويستدل
ايضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا
قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله كل يوم وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او
ريبا في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب
ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق
الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء
الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة
مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا
للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان

صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وما كلفه
من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه
وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند
الله تعالى مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله
بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله
من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به
اليه مال جماعة من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا جملة واجلة ان يجوز عليه
في حال سهو او فترة الى معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم
فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هاهنا على قلبه السكينة
تتغشاه لقوله فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه
السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطا
استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال
غيره ويستغفرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون
هذه الاغانة حالة خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون

عبدا

عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق
هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من
سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين و
قوله لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك
ان تكون من الجاهلين. فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا
عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله
ان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى
وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في
امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منها
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
واية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على
ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه
ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي
كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا
يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن
فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا الفضل وجب القول بعصمة
الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام

على ذلك ان فعل وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله
اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات وقوله لاخذنا منه باليمين
وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان
يشاء الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله و
اياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه السلام ان لا يبلغ
وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب
او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطع الكافرين لكن الله يسر
امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن
بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى
والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا انني معكما
لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم
خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض
الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا
جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله
وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره بلا شك كما قال ان تطيعوا
الذين كفروا الآية وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد به غيره وان هذه حال من
اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء
ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما
كان طردهم ولا كان عليه السلام من الظالمين فصل واما

عصمتهم

عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم
عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا
عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد
من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم
بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا
قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم
انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته
الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم
برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع
في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا
سبيلا اليه اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و
منك الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤ
منن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأ

يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا ما لا يجوّزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون
ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة
وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة
وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبتدا ولا يشتبه عليك
بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان
هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه
انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجا
ج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم
ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة
عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم
قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو
لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق
والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت
فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله فلا تشكل لفظة العود

وانها

وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم
فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى
الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل ذلك كذلك ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من
لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت
فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري
وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل
ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ها
هنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب
ما يتوجه به الى الله تعالى ويتشرع به حتى هداه الله تعالى
الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق
فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن
عيسى وقال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى
اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة
فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا
وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا
تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا
اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا
ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله تعالى انا لنراها

في ضلال مبين اى محبة بيّنة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهداك الشعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه وقال ولا الايمان الذى هو الفرايض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا بتوحيده وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله ان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان ابن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد ابن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه ° وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف

° بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان بن ابى شيبة
صح

عن

عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى روته ام ايمن حين كلمه عمه واله فى حضور بعض اعيادهم وقد عزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا وقوله فى قصة بحيراء حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى وراى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسالنى بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيراء فبالله الا ما اخبرتنى عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام فصل قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبيا فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من العلم والمعرفة بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه فى حق نبينا عليه السلام فى الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ننبه على ما وراءه الا ان احوالهم فى هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامور الدنيا فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها واعتقادها على خلاف ما هى

عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر
الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من
اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرًا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة غا
فلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شا الله تعالى ولكنه لا
يقال انهم لا يعلمون شيئًا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة
والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سيا
ستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون
مع عدم العلم بامور الدنيا بالجملة واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب
معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد
مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه
جهله لانه لا يخلو ان يكون حصل عقده ذلك عن وحي من الله
فهو ما لا يصح الشك منه فيه على قدمناه فكيف الجهل به بل
حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه
فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول
المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم
براي فيما لم ينزل عليه خرجه ثقات وكقصة اسراء بدر والاذن
للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره
اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف
من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطاء في الاجتهاد لا لو قام
عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد في الشرعيات
ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع

ونظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه
وسلم قبله فاما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئًا شيئًا حتى استقر علم
جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما
اراه الله تعالى وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت
صلى الله عليه وسلم حتى استقر علم جملتها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ودفع الشك والريب وانتفاء
الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع
الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه
الحسنى واياته الكبرى والامور الاخروية واشراط الساعة واحوال
السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما
تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل
هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله
صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على
قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به
في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن
اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور والعلوم الدينية

فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خوا
طره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي ابو علي رحمه الله تعالى حدثنا ابو الفضل
بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدار
قطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله اعانني عليه فاسلم زاد غيره
عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن عايشة رضي الله عنها بمعناه وروي
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه
المسلط على احد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم
صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشيا
طين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال
شغل عليه اذ قد يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه
له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فاسره ففي الصحاح
قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام ان الشيطان عرض لي قال
عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله
تعالى منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا
تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا

لا ينبغي لاحد الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء
رضي الله عنه عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار
ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه
بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح مو
ثوقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الا
سراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم ومرة تنذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه
الله امره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى
عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد
فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له
خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان الرجيم
ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها
راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك الاية اي
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل
النزغ هنا الفساد كما قال الله تعالى عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى
الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغرائه وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له

سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام
عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له
قدرة عليه وقد قيل فى هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى
اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة بل لا
يشك النبى ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم
ضرورى يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة
ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان
فى امنيته الاية فاعلم ان للناس فى معنى هذه الاية اقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما
عليه الجمهور من المفسرين ان التمنى ها هنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا
للتالى حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير
ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما
يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسيأتى
الكلام على هذه الاية بعد ما اشبع من هذا ان شاء الله تعالى
وقد حكى السمرقندى انكار قول من قال بتسليط الشيطان
على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو
الولد الذى ولد له وقال ابو محمد مكى فى قصة ايوب وقوله انى
مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان
يتأول ان الشيطان هو الذى امرضه والقى الضر فى بدنه

ولا يكون

ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكى وقيل
ان الذى اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره وقوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول
نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادى ان هذا
واد به شيطان وقول موسى عليه السلام فى وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كانه رؤس الشيا
طين وقال النبى صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان
فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له فى ذلك الوقت
نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى انه
انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موت موسى وقول موسى كان
قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكرنا انها كانت قبل
نبوته وقد قال المفسرون فى قوله فانساه الشيطان قولين
احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى
السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك شان يوسف
عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس
فيه تسلط على يوسف عليه السلام ويوشع بوسواس
ونزغ وانما هو اشغال خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من
امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان
هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسو
سته له بل بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان

يقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدى الصبي حتى
نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال
الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها
على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو
دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقا
مت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة
فيما كان طريق البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اما
تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله
صدق عبدي فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما
وقوعه على جهة الغلط وذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي
اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه و
سلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابو بكر البا
قلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا
نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه
اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه تعالى وما اوحاه اليه
من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالتي الرضا
والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت
يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضا

والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك الا حقا ولنزد ما اشرنا
اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة
مقام قول الله له صدق عبدي فيما يذكره عني وهو يقول اني ر
سول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل
عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره
على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا
اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة
من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله
واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لتر
تجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغر
انيق وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم
السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على
الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه
وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب
بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى

الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية
فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا
رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون
والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل
صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال
لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك
الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسنا
ده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها
في نادي قومه حين انزلت عليه السورة واخر يقول قالها
وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر
يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقراتك واخر يقول
بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قراها
فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت
الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية
من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها
الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع
منه حديث شعبة عن ابي بشير عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث

لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يو
سله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز
ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك
فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي
فمما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه
البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد
قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه النقيصة الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله فهو كفر او ان يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما ليس منه حتى ينبهه
عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام
او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذ
لك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان
والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او
لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي
الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا
ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الا
قاويل الاية وقال تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية

وجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا
الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام
ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى
الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن
يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على
النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة
بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام
لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه
الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على
المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكا
برة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة
وكذلك ما روى في قصة هذه القضية ولا فتنة اعظم من هذه
البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ باشد من هذه الحا
دثة لو امكنت فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في اد
خال بعض الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس
على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها
نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان تردان
الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى
يفتري وانه لولا ان ثبته الله تعالى لكاد يركن اليهم فمضمون هذا

ومضمونه

ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم
قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون
والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام قد افتريت على الله
وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو
صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا
انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روى عن ابن عباس كل ما في
القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالا
بصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها و
وعدوه الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه
من نص الله تعالى على عصمة رسوله ترد سفاسفها فلم يبق في الاية الا ان
الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من
فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم و
هو مفهوم الاية واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد
اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة
عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم
وهو لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة
من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه
في نوم ولا يقظة في هذا الباب من جميع العمد والسهو على لسانه

في رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسهى فلمّا
اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله
عليه السلام لا سهواً ولا قصداً ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التأ
ويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت عنه وبيان الفصل
بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا
يعترض على هذا بما روى انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره
من المحققين عن تسليم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امر
ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه
وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة
قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه
وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة
في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان
ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روى من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب
هذه الفتنة وقد قال الله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني

اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما للنبي صلى الله عليه و
سلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي
في الاية انه حدث فيها نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي
رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما
ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران
بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكر في حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا
روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد
ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما
حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى
فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما
تاول المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم
اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للالتباس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله
تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة اخرى ليضل به من يشاء
ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان
الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك

فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه و
سلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم و
يشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشا
عوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحزن لذلك
من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من البا
طل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه
الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الاية ومن ذلك
قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب
مغاضبا فاعلم اكرمك الله تعالى ان ليس في خبر من الاخبار الواردة
في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا
عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
ولكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك
كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم
يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم
راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير
غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي
من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش وقال لهم اني كنت

اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه و
سلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف
شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى
الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا
ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
في تلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا
لا تقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله
ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر قد افترى هو ومثله
على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشتغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم يرو عن احد من المسلمين ولا ذكر احد
من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من
ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل انه
شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميد
انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ولهذا والله
اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث
عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه و
ليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين

النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران وانه من عند الله
انلبس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم اذ كتبه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه بكلمة
او كلمتين مما نزلنا على الرسول عليه السلام قبل اظهار الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول
يدل عليها وتقتضي وقوعها بقوة قدرة الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك العارف اذا سمع البيت ان يسبق
الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله عليه
السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من تقاطع
الاي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم
فاملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما
نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي مثل قوله ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة
الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من
المصحف وكذلك كلمات على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا
الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها
وننشرها ويقضي الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا
ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير

القران

القران فيصف الله ويسميه في ذلك كيف يشاء فصل هذا
القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي
يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم من ان يقع
خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا
غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه
وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره
في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانهم لم يكن لهم توقف ولا
تردد منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها
سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم
من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه
عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر
فقال له اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت
يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى
بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به
لوكان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه
عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا
لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله
والله لا احلف على يمين فارى خيرا منها الا فعلت الذي حلفت

عليه وكفوت عن يمينى وقوله انكم تختصمون الى الحديث وقوله
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل هذا فى هذا الباب
والذى بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب
متى عرف من احد فى شىء من الاخبار بخلاف ما هو على اى وجه
كان استريب بخبره واتهم فى حديثه ولم يقع قوله فى النفوس
موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم
والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد
الكذب فى امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط
للمروة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والواحدة منه فيما
يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزرى بقائلها لاحقة
بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغاير
فهل يجرى على حكمها فى الخلاف مختلف فيه والصواب تنزيه
النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ
والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبى وتجويز شىء من
هذا قادح فى ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن
يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف فى القول فى وجه من الو
جوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح فى تجويز ذلك
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز
عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به فى امورهم واحوال دنياهم
لان ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفر القلب عن تصديقهم
بعد وانظر احوال اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله فى صدق لسانه وما
عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على عصمة

بيننا

نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار
فيه فى الباب الثانى اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه
فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام فى حديث السهو الذى
حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال حدثنا القاضى
ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله
بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن
مالك عن داود بن الحصين عن ابى سفيان مولى ابن ابى احمد انه قال
سمعت ابا هريرة يقول صلى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله
اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفى الرواية الاخرى ما قصرت الصلاة وما
نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى الحالتين وانهما لم تكن وقد
كان احد ذلك كما قال ذو اليدين وقد كان بعض ذلك يا ر
سول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها
بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها
انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذى زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث و
شبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله جملة
ويرى انه فى مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق فى
خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
فى هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه فى الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها

ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان ينطق به وهذا اصدق ايضا وجه ثالث ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي انما سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا فكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى والذي اقول ويظهر لي اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار اللفظ الذي نفاه عن نفسه وانكر على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض الروايات الحديث الاخر لست انسى ولكني انسى لاسن فلما قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك ليس فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن حق وصدق لم يقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن

في قوله

في قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد الله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله عليه السلام في الحديث الصحيح اني لا انسى او انسى لاسن واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة من الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة في القران منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه الكلمات خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجته سقيمة ونظر معلوم حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى

يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات
وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام
صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام
من مؤاخذته واما الحديث فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر
لمقصده لئلا ياخذ عدوه حذره منه وكتم وجه ذهابه بذكر
سؤاله عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره
لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا ووجهتنا الى موضع كذا خلاف
مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قيل
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال
انا اعلم فعتب الله تعالى عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال
بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذ
لك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن
عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر
حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على
ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء
يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه
صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف
النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام
الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما وكان موسى

اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه
قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء
انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم
لنا الا ما علمتنا ولانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا
يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك
لما تضمنته من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب
والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه
وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد
علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي
واما الانبياء عليهم السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان
يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن
موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار
في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم
وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ
عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى
الى الخضر للتاديب لا للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال
ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معا
رفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء صلوات الله عليهم

من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره
بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرّ
سالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة
منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغاير
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذ
هب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت
طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم
ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف النا
س في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول
ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما
سمي منها الصغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخا
لفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو
محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم
مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء
والمشية في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابي بكر
رحمه الله تعالى وجماعة ائمة الاشعرية وكثيرة من
ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان

يختلف

يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها
ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم
عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله
لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعض الائمة الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد
استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى
امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز
منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الا
بهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الا
تباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن
قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم
الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل
من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او
المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا
سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين
ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن

ثم ان

عن نبينا عليه السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من
من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق
غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ يجب
عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر والندب على
الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا
فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله
عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد
نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله
واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما
بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يفعله وقال هلا خبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة
محتجة كنت افعله انا ورسول الله تعالى عليه وسلم وغضب صلى الله
تعالى عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما شاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والآثار في
هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم
افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها
لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام
على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت

صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله والدار
الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقتهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على
هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله
تعالى وعلى سائر الانبياء عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات
وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ووسم المعصية فصل وقد اختلف
في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها قوم
آخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم
من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان
المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس
في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع
قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور
فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ
اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة
ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد
الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه و
ستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من
ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد
ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واسناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي

ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام
وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحصل الوجهين منها
العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذ
هب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه
المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل
عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة
والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة
لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع
ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم
يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من قال
انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية و
شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية
واما من مال الى النقل فايما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف

فعلى

فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته
في كل نبي فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد
وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير
قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر
الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الا
نبياء في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء
ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا
مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في
القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا
فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه
العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا
عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال
ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة
في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه
جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين
ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول
ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها
ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات
البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه

لاسن

عليه السلام بسبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لا انسى او انسى بل قد روى لست انسى لاسن وهذه الحالة
زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص
واعراض الطعن. فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور
على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين
واما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام
وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه
فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات
الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال
عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء
يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذ
هب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في
هذا الحديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل

في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام
قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السلام عليه
السهو وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية
قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا
الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة
في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث

ذي

ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني في حديث ابن بحينة في القيام
من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل
الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع
الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان
والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا
قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا و
كذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني
لا انسى او انسى لاسن ها قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد
روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه
ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى او ينسيني الله قال القاضي
ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى
في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو
او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احدى النسيانين الى نفسه
اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذ
هبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول
وغفلة وافة قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة منها واحتج بقوله في الرواية
الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان

سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متنا قض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله اني لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى منا
قضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفر
ائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه حكم النسيان بالجملة وانما
فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت
اية كذا ولكنه نسي او نفي الغلبة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه
ولكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم
الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة
في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين
والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما
تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان
عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء كما يندر من غير خلاف
عادته اجوبة عن ذلك منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه
وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك و يصحح هذا التاويل
قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول
بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه
لامر يريده الله تعالى من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع

وكما

وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون سنة
لمن بعدكم الثاني ان قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عبا
س المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله
فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك الملامسة
الاهل او لحدث اخر فكيف وفي الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت
غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه
من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه
عن روية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام
ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان
قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح
فقيل في الجواب انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم التغليس
بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر
يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك
كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه
عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله
انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا
فمحمول على ما نسخ حفظه من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه و
لكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وما كان من
سهو وغفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل
ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل

الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب الاجر فيه واسقا
طه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد
بلوغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من
امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله تعالى نسخه ومحوه من
القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه قبل البلاغ
ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم
يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام
على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء
عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك
من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث
ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموا من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم
اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به من ذلك قديما وقامت
الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن
ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم

عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من
قصص غيره من الانبياء كقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى و
قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء الاية وقوله عنه ربنا
ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين الاية وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله فظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد
همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقوله
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه
السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله
تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الاية وقد كان قال الله تعالى
له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى
تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر
فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فهذا قد اختلف المفسرون وقيل المراد ما وقع له من
ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة
وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم اعلمه انه مغفور
لك وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد

ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمر
قندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتأول قوله و
استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
سر بذلك المشركون فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فمقصود الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال
بعضهم المغفرة ها هنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل
النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه
حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره الذنوب
حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعبا
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل معناه حططنا
عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك حكى معناه
القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل
ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها
قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لا
نقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه

من امور الجاهلية واعلام الله بحفظ ما استحفظه من وحيه واما
قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه
وقد حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له
ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقال الله تعالى له فاذن
لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم
انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل و
ليس عفا ها هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن
صدقة الرقيق والخيل ولم تجب عليهم قط اي لم يكن منكم ذلك
ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من
لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال
الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك
الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل به من بين سا
ئر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام
احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل ما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الآخرة قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن
الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالكسب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف

عليهم العدوّ ثم قال تعالى ولولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون
في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا
الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسارى معصية
وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستو
جبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا
او بيانا ان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت
لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق
في اللوح المحفوظ انها حلال لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل
مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلنا
وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف
الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على
ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم و
كلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه
الا عمر اشارة الى هذه من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في
اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو
استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشا
ر بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك الوقت عذابا لحله

لهم

لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت ما جاز
ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القا
ضي بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه في هذه الاية ان تاويل وافق
ما كتبه له من احلال الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في
سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي با الحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى
كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله اعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد
منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على
وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى
ان جاءه الاعمى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل
اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى له كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى و
فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل به وتصديه لذلك الكافر كان
طاعة الله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا
معصية ومخالفة له وما قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام
بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض
عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن تمام واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى

عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل وقيل
اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم
من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة ابليس لعنه
الله وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمى
الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم بمثل
هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما
والمؤمن يخدع وقيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له
عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الجزم
والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله
تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن
معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج
الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره
انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم
ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء و
الهداية كان بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة
التى نهى عنها لانه تاول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تاول ان الله تعالى لم ينهه نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله
وعصى ادم ربه فغوى وقال فتاب عليه وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر
ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيانى الجواب عنه وعن

الشبا

الشباهه بجملة اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد
مضى الكلام على بعضها انفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما
فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم
قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وتقدم الكلام انه
لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب
عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله
انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء فى غير موضعه فهذا اعتراف
منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن
ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح
بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم
واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم و
حواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير موضع
الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة
داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم
ينص الله على شىء من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه
قوله تعالى وظن داود انما فتناه اى اختبرناه واواب قال قتادة مطيع
وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان
قال للرجل انزل لى عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على
ذلك ونبهه الله عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذى ينبغى
ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب

بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر
منه قوله لاحدى الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصم والى نفى
ما اضيف اليه في الاخبار الى داود من ذلك فذهب احمد بن نصر
وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة يوسف
واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت
نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن
عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا اصغار الاسنان
ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا
غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم ولما
قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا
يؤاخذ به وليست بسيئة لقوله عليه السلام عن ربه تعالى اذا
هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه
اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم
اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من
همومها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم
يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها
من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي وبرئ قبل فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي
عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي و
لقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى
عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك

التصرف

لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله
تعالى وقيل الملك وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بها بضربها ودفعها
وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زالت
النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى هيبة
النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى مع
قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه وكان من القبط
الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى
وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك
وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال
ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر
وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريد للقتل وانما وكزه يريد بها
دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كله قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير
ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها واصل الفتنة
معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في
اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك
الموت جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى
عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين
الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتى لتلفها و
قد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت

فدافعه عن نفسه بمدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى
تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى لهما فلما جاءه بعد واعلمه
الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندى وهو تاويل شيخنا الامام ابى عبد الله
المازرى وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه
بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة
معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه
وقوله فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة على مائة امراة او
تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال
له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده
لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب
المعانى والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه حين عرض
عليه وهى عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقى على كرسيه ميتا
وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل عقوبته ان سلب ملكه و
ذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل
اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخبار
يون من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به وتسلطه
على ملكه وتصرفه فى امته بالجور فى حكمه لان الشياطين لا
يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثله وان
سئل لم لم يقل سليمان فى القصة المذكورة ان شاء الله تعالى فعنه

اجوبة

اجوبة احدها ما روى فى الصحيح انه نسى ان يقولها وذلك
لينفذ مراد الله تعالى والثانى انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه
وقوله هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده فى ذلك على
ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه
الشيطان الذى سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
وقيل بل اراد ان يكون ذلك له من الله فضيلة وخاصة يختص
بها اختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون
ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء
الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفا
عة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر
وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من
ذلك لا انه شك فى وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين
وعدهم الله تعالى بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وقد
اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا
التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله
ما لم يؤذن له فى السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل فى الاية غير هذا وكل هذا لا يقتضى
على نوح معصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال
فيما لم يؤذن له فيه ولا نهى عنه وما روى فى الصحيح من ان نبيا
قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك
نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح فليس فى هذا الحديث

ان هذا الذي اتى معصية بل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من
يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا
النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها
مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه
معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل
انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة
يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي
ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله
اعلم **فصل** فان قلت واذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعا
صي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف
الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم
واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله
واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في
تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها و
عوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل
والسهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب
بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها
كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل
ومنه ذنب كل شيء اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه

ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر
والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث
من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة اليه هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان
المخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهو
مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها
والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته
وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذ
كرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال
بعضهم الانبياء يؤاخذون بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن
سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب
وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤ
اخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوا حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله انك لا تثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة
غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في
درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم

كما قال ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك
الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس
وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب
قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرا
مات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من
البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن
عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزاد
من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم يقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبا
ئر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة
بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت
فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل
ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله
على النعمة كما قال عليه وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون
عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد
خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام وتعبد الله لانهم امنون وقيل
فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة
والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء

محبة

محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد
قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه
كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق
من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي
قطعا عقلا وشرعا وعصمته من الكذب وخلف القول منذ نباه الله
وارسله الله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجما
عا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار
الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته
من رضا وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاها باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم
عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل
عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما
هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا
يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به
واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتا
ط عليه السلام على الرجلين عباد بن بشير واسيد بن حضير الذين
راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية

ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا قال القاضي رحمه الله هذه اكرمك الله
احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول
العلم وان السكوت اولى وقد استبان ذلك انه متعين للفائدة التي
ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبنى عليها مسا
ئل لا تنعد من الفقه ونتخلص بها من تشغيب مختلفي العلماء في عدة
منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب
عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو
فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في
وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب
العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضا
ف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن
لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف
يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما
ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب
الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل في القول
في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء
واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين

منهم

منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله
تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة
ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان
هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل
الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه
فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع
عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوايد التي
ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هنا
فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت
وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس
في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها
شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا
يؤخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه و
انكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار
من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى اول الايات من افترائهم
بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة و
ها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما

المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما
انزل على وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله
امتحن الناس بالملكين ليعلم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه امن قال تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له
تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه
يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فانه سحر ولا تكفر فعلى هذا
فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما
فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت
وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا
خالد على جلالته وعلمه ينزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكره
غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه
امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن الكبائر المعاصي والكفر المذ
كورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول
ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي
افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل
على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعاء اليهود عليهما
المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمان الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان
تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل الري وقرا وما
انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا ولذلك قراءة
عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان
وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل

فنستحيهما

فنستحيهما الله تعالى حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة
فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس
عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكرام
بررة ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومما يذكرونه
قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى
اخر ما حكوه وانه استثنا من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شايع في كلام العرب لسايغ وقد قال الله تعالى ما لهم
به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح
الاخبار فلا تشتغل بها الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدنيوية
ويطرا عليهم من العوارض البشرية قد قدمناه عليه السلام
وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص البشر
يجوز عليه من الافات والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس
الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء
انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب
الله تعالى على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش

شققوا وشجّه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشّر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق
بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات
البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم
منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم
من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه الله تعالى كما عصم
بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد
ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ
على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الا
عصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر
انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا
بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون
في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على
الذين احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيير
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بوا
طنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملاء
الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال
وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال
اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست

انسى ولكني انسّى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف
جسمه وظاهره وان الافات التي تحل بظاهره من ضعف وجوع و
سهو ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم
الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه
السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض
الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظانا كما ذكرناه
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية
وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم بقوله لست
كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا
فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من
البشر مما ناخذ بعد في بيانه ان شاء الله تعالى **فصل** فان قلت فقد
جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن
عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية
حتى كان يخيل اليه انه كان ياتي النساء ولم ياتهن الحديث واذا كان
هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملاحدة وتذر
عت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك

فى الشرع وقد نزه الله الشرع والنبى عما يدخل فى امره لبسا وانما السحر
موض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما
لا ينكر ولا يقدح فى نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه يفعل
الشىء ولا يفعله فليس فى هذا ما يدخل عليه داخله فى شىء مع
تبليغه او شريعته او يقدح فى صدقه لقيام الدليل والاجماع على
عصمته من هذا وانما هذا فلا يجوز طروه عليه فى امور دنياه التى
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم
ينجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من
قوله حتى يخيل اليه انه يأتى اهله ولا يأتيهن وقال هذا اشد ما يكون
من السحر ولم يأت من خبر منها انه نقل عنه فى شىء من ذلك قول
بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر و
تخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشىء انه فعله
وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على
السداد واقوال على الصحة ما وافقت عليه لائمتنا من الاجوبة
عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لى فى الحديث تاويل
اجلى وابعد من مطاعن ذوى الاضاليل تستفاد من نفس الحديث
وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة
ابن زبير وقال فيه عنهما سحر يهود بنى زريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر
عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله

عليه و

عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد
احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة سنة حتى
انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضى الله عنه مرض ر
سول الله صلى الله عليه وسلم وحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون
هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه
واعتقاده وعقله وانه انما اثر فى بصره وحبسه عن وطى نسائه
ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتى اهله ولا يأتيهن اى يظهر له من
نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعترض
ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر
ويكون قول عائشة رضى الله عنها فى الرواية الاخرى انه يخيل اليه
انه فعل الشىء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر فى الحديث
فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره
ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه فى بصره وضعف نظره لا لشىء
طرء عليه فى ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له
وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا

فصل

هذا حاله فى جسمه فاما احواله فى امور الدنيا فنحن نسبرها على
اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد
فى امور الدنيا الشىء على وجه ويظهر خلافه او يكون على شك او ظن
بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص وغير
واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر حدثنا

ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد بن عمرويه بن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا عبد الله بن الرومى وعباس العنبرى واحمد المعقرى قالوا حدثنا
النضر بن محمد قال حدثنا عكرمة قال حدثنا ابو النجاشى حدثنا
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة
وهم يوبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم
لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا له فقال انما انا بشر مثلكم
بشئ اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من راى
فانما انا بشر وفى رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفى حديث اخر
انما ظننت ظنا فلا تواخذونى بالظن وفى حديث ابن عباس فى
قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما
حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسى فانما انا
بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
فى امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
فى شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه
الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراى والحرب والمكيدة قال لا بل
هو الراى والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتى ادنى ماء
من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالراى وفعل ما قاله وقد قال له الله تعالى وشاورهم
فى الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمار المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من
امور الدنيا التى لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها
يجوز عليه فيه ما ذكرناه انه ليس فى هذا كله نقيصة ولا محطة

وانما هى امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه
بها والنبى صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية
والدنيوية ولكن هذا انما يكون فى بعض الامور ويجوز فى النادر وفيما
سبيله التدقيق فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة
بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز
فى البشر مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب فصل
واما ما يعتقد فى امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد من المصلح فبهذه السبيل
لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما اسمع فمن
قضيت له من حق اخيه بشئ ولا ياخذ منه شيئا فانما اقطع
قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا
ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن
هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفى رواية الزهرى
عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضى له ويجرى احكامه على الظاهر وموجب غلبات
الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه و
معرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله فى ذلك فانه لو
شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم

بنيتهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او
شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله
وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به
لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة
بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في
تلك القضية بحكمه هو اذن في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما
اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا يعلمه الامة فاجرى الله تعالى
احكامه على ظواهرهم التي تستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون مما اتوا
من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان في الفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في
البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام
وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط
قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء
ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته
فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما
يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال و
على اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما
يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف
باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد
المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا ياخذ مغازيه لئلا ياخذ

العدو

العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب
قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة و
كل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما
صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا
ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن
خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة
الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في
قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب
تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما
حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان
زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك
عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه
سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها
وروى نحوه عمرو بن عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في
نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله
مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره
معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به

تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله الاية وقد قيل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعل من قبله من الرسل قال الله
تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم
وليس على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي
صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها كان
فيه اعظم الحرج وما يليق به من مده عينه لما نهي عنه من زهرة
الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه
ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا
اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله
وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما
جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفا
ئدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم
نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن
طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به
فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد
بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جو

زنا عليه الله راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكير فيه لما
طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو
عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك
الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن
حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك
عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه
وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له قال من ظن ذلك بالنبي عليه السلام فقد اخطأ
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اي
يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه
السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود و
وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه
عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الا
لتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة
التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كقوله ها هنا وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما
فيها من عتبه وابداء ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته
عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها
خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته

عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد
وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجوراً
وقد علم تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر
حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه و
سلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب
في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة
الوصية وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا
انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم
وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القضية
بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه فان
كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب
كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه
ايضا الذي حدثنا الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا
ابو علي الطبري حدثنا عبد الله الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد
الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت

عندك عهداً لن تخلفنيه فانما مؤمن اذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي
رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها
باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها زكاة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي
صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق
السب ويجلد من لا يستحق الجلد ويفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على
الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه
بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام
لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه بها الله و
حذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاه ولعنه رحمة
فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه
الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح
ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب يحمله على من
لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معا
قبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او
كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج
مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير
موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس
المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى

حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه
عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله تربت يمينه جبينه
فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق من موافقة امثالها
اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة
ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه
وسلم وتقبل دعائه مما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك
سؤالا منه لربه لمن سبه او جلده على حق وبوجه صحيح ان يجعل
ذلك كفارة لما اصاب وتمحيه لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك
شيا فعوقب فهو كفارة له فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي
صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في الحرة اسق يا ز
بير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسو
ل الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه
وسلم منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب
ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض
حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال
ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم
عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا

في قصته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال
غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في
حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب
النبي صلى الله عليه وسلم انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضر
بتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب منه عليه السلام
الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو
يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند
نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حقه
نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
كان في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصد طلب التحلل منه على
ما قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي
المعاصي والمكروهات ما قدمناه من جواز السهو والغلط في بعضها
ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة
افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات

والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه
الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين
الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن
يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد و
كل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظايف عباداته وقد
كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور
اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
يوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من
امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان
كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله
خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد
جهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه
كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام
مراعاة للقلوب قريش وتعظيمهم لتغيرها وحذرا من نفار قلوبهم
من ذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة
في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد
ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من
ادنى مياه بدر الى اقربها الى العدو من قريش وكقوله لو استقبلت من

امري

امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته ودين ربه و
يتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى
لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير
ويحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا
يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه ويقول
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة
في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل عليه الان له القول
وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقا
ه الناس لشره وكيف جاز له ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول
في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه وليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه
اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه
قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان
يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة الطيبة اللينة قال
صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى
صار احب الخلق الي وقوله بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل
هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يو
ثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا
اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم تكن بغيبة بل كان جائزا بل
واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين

من الشهود فان قيل فما معنى الاصل المفضل الوارد في حديث
بريرة من قوله عليه السلام لعايشة رضي الله تعالى عنها
وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
فقال لها اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا
فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس
هو في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها باشتراط
لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش
والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع
ببال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر
طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال ان اساتم فلها فعلى هذا اشتر
طي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه
لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان
لقوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن
على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان
النبي صلى الله عليه وسلم قبل الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي
لهم او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي
وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم
الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن
اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا

على مخا

على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام
باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى
على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك
الله ان الاية تدل على فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الا
ية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان
يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد
هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء
والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من
قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن
له التاويل كائنا من كان ظن عليه صورة الحال ذلك وقد قيل قال
ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان
نقول الانبياء ما لم يثبت انهم قالوه حتى يطلب الاخلاص منه ولا
يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء الا
مراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما
الوجه فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات
الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله
واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته
يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا و
ليعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين منكم و
الصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكا
نتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا

والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم
وتأكيد لبصائرهم في اجلة الممتحنين والشفقة على المبتلين و
يتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ويمحوا هنات
فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مذ
هبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن
محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل فيبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث
وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالعبد المومن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا
اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده شرا
امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب
الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان
اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما
روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن
يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته اليه في الصلاة ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع هو
وابنه يوسف على حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم
جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكا وبكت جدة له عجوز لبكائه

وبينهما

وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء
اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن
فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان
مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله تعالى
عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته
على ملكهم وكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على
زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون
الحق في جنبة اصهاره او العمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة
ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت له انك لتوعك
وعكا شديدا قال اجل اني لاوعك كما يوعك الرجلان منكم
قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي
حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال والله ما اطيق ان اضع يدي عليك من شدة حماك
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى
بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس
عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله
اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط و
قد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى
بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة رضي الله
عنها وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله

به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي
سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا
غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن
مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت
ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند تمام تهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة
واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع يفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها
فاذا سكنت اعتدلت وكذا المؤمن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الا
رزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله تعالى معناه ان المومن مرنا
مصابا بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله مطاع
لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع و
انقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا
ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عند سكون الرياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل
لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
وترعد لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيه وتوطينه نفسه
على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف

هذا معا

هذا معا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا
اراد هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق
فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه
وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال الله
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا الاية فيفجاء
جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة
وهذا ما ذكر السلف موت الفجاءة ومنه حديث ابرهيم كانوا يكرهون
اخذه كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الا
مراض تدبر للممات ويقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثير
الانكار فيكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل
الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية
فيمن يخلفه وامر يعهده وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه
مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه
على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده
كتاب الله وعترته وبالانصار عبده ودعى الى كتب كتاب لئلا تضل امته
بعده اما في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه
افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستد
رجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة

تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون
ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاءة سبحان الله كأنه على غضب
المحروم من حرم وصيته قال موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف
للكافر والفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالباً مستعد له
منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب
الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر
والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة
مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء
له وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. **القسم الرابع** في تصرف وجوه الأ
حكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام
وبحسب هذا حرم الله أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً وقال والذين يؤذون رسو
ل الله لهم عذاب أليم وقال وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا
سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله
المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها

لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها
من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها
من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في
لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه
إلا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا وهو
النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكتنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان صلى الله عليه و
سلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى
حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتاً واستخفافاً بحقه
على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل
محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته
لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما
ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله تعالى وإن ذلك على طريق
تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضاً وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
يا نبي الله وقد كانوا يدعونه بكنيته يا أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال
وقد روى أنس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه
وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم
وروي أن عمر كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه
وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل

اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن
اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب
بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان
يمنع بهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء وغير اسماء جماعة تسموا
باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا و
كناه بابى القاسم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن فى ذلك
لعلى رضى الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدى
وكنيته وقد سمى به النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو
بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد قال ما ضر احدكم
ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام فى
هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول فى بيان ما هو فى
حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا
الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله عليه وسلم او عابه
او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او
عرض به او شبهه بشىء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير
لشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب
يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد
ولا نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور او عيره بشىء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى

من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر
اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل وممن
قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق
رضى الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة و
اصحابه والثورى واهل الكوفة والاوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا هى
ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبرى مثله عن ابى
حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او
كذبه وقال سحنون عبد الكريم فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه
فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين علماء
الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف
فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع
العلماء ان شاتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره وعذابه
كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان
الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما
وقال ابن القاسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه
مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله تعالى عليه و
سلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم فى العتبية او شتمه او
عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله

تعالى توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير في صلبه حيا ومن رواية ابي المصعب احمد بن ابي اويس
ابن اخت مالك سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا
ولا يستتاب وفي كتاب محمد بن المواز اخبرنا اصحاب مالك انه قال من
سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال استر ذلك او اظهره
ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى
الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال
ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على
نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى
ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحمال يتيم
ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية تريدون
تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي
سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان
اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله تعالى فقال قول بارسو
ل الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه
الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان الذي ساله

اشهد

اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع
لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو
عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ما عليك ادّ واشك الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد
عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتسميته اياه اثناء
مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر
على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون
بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة
من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه و
سلم فاحضر القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه
لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولت عن القبلة فكان
اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا انه قال لا يلغ الكلب في
دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في
خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن
ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام
ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان
من قصد النبي صلى الله عليه باذى او نقص مصرحا او معرضا وان قل فقتله واجب

فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا ونقصا يجب قتل قائله لم يختلف في
ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه
ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو
او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى
من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به
نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه
فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القران
لعنه الله تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف
في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر
القتل فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال في قتل المؤمن
مثل ذلك عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث
هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك لموجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد
الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا
ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر عليه
السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن
له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم
وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام

ما تنقم

ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان ينتهك حرمة الله فينتقم لله
فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه
من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب
او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله
به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه
البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت
الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة
وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن العفو عنه
او يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل
قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح
عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله
التوفيق فصل قد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به و
غمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه
الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في حقه
عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم
في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه
او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام
نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة
او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او الامي بادر
باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن
معيط نادى يا معاشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم سبه رجل فقال من يكفي عدوي فقال الزبير انا فبارزه
وروي ايضا ان امراة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من
يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان
رجلا كذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث اليه
عليا والزبير ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك
قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
المهاجرين وابي امية امير اليمن لابي بكر الصديق رضي الله عنه ان
امراة هنالك في الردة غنت بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقطع يديها ونزع ثنيتيها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حدود الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن
عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي
بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عبا
س ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويزد
جرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه
وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك
فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا الى ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل
وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي
واتيت ابا بكر وقد اغلظ للرجل فرد عليه فقلت يا خليفة رسول الله
دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه
احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من ابغض النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بكل ما ابغضه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن
عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر
رضي الله عنه فكتب اليه عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس
الا رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه
وسئل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له
ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك فقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه
الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره
وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما
ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم
او من لا يوثق بفتواه او يميل بها هواه او يكون ما قاله يحمل على غير
السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب
عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما
قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين
عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول
الاخر دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون مما
دنيا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله واما صريح
كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك

بوته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا بلا خلاف وقال الله
تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر بعد اسلامهم قال
اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير و
قيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا كقول القائل سمن كلبك ولئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان كان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق ويقتل ولانه غير
دينه وقال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان حكم النبي
صلى الله تعالى عليه في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد
وكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره فصل فان قلت فلم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي
قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من ذلك وقال وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا
فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم
وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اول الاسلام
يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا
به منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من
اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا
تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله

يحب

يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام
وجميع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه
واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتل
غيلة من يهود وغيرهم او غيلة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط
في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي
رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن
الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن
المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك
الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها
اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
وكان مع هذا يطمع في فيئهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر
عليه السلام على هناتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير
منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد
بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت
به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال
لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد
ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء
لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي والاسلام وانهم
لووا به السنتهم ولم يفشوه الا ترى كيف نبهت عليه عايشة ولو كان
صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على
فعالهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم

فقولوا عليكم ولذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا
وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد
والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام ولم يتميز
بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من
يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر
ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ
الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
تعالى ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وقال اولئك الذين نهاني الله تعالى عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء
الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا
يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهر المنافقون النفاق
وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى

يا ايها

يا ايها الذين امنوا الاية

قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لانه
سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان
توبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته
وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب
من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء
مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما
على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن
ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب
منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه
والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه
فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله تعالى
عليه ولم يجر بينا حكمه في سبه الله وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن
وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد
والنبوة وانكاره بما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا
ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض
احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه
كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله
فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفر

[illegible] فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب
[illegible] لا تقبل توبته [illegible] بعد التوبة حد القول ومتقدم كونه
[illegible] وكذلك من لم
[illegible] بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله
[illegible] يقتل كافرا بلا خلاف
[illegible] كلام العلماء وترى تختلف عباراتهم في
[illegible] وغيرهما على ترتيبها
[illegible] تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة
[illegible] في توبة المرتد الا
[illegible] في وجوبها وصورتها ومدتها
[illegible] وحكى ابن القصار انه لما
[illegible] في الاستتابة ولم ينكر
[illegible] قال ابن عطا بن ابي
[illegible] والاوزاعي والشافعي واحمد
[illegible] وعبيد بن عمير والحسن
[illegible] عبد العزيز بن ابي سلمة وذكر
[illegible] الطحاوي عن ابي يوسف
[illegible] توبته عند الله تعالى ولكن لا ادري
[illegible] فاقتلوه وحكى ايضا
[illegible] يستتاب الاسلام
[illegible] وروي عن علي رضي الله
[illegible] وروي عن ابن
[illegible] قال مالك والحر

والعبد

والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي
عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد
قول الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الا
ستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد
في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة
ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار في
في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل واجب او مستحب او استحسن
الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وقد روي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعا الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله تعالى
عنه يستتاب شهرين وقال النخعي انه يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث
مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد بن ابي
القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه
واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب
ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة به تجويعا ولا تعطيشا
ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ
في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع
حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء
ويوقف مع ذلك ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي

صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه او ضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال او عائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكال في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولكن

يستطال

يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في المسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل عليه ايضا بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم فصاروا كفارا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم وكذلك سبهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون به وورد

لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو
المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم
فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا
بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي قتله لانه
حق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده
الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه
كما وجب عليه من الحقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل او قذف
واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فلان تقبل توبة الكافر اولى قال ابن مالك في
كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة واحد من الانبياء عليهم السلام
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون و
قال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك
توبته وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وروي عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن
ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عمر

فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل
الينا وانما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم
لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم
ينزل عليه قران وانما هو شيء يقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القا
سم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير و
نحوا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان محمدا رسول فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع
والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن
القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في
سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد
كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر
من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون
فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك
اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على
اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد
من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره
ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم
فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف

ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال اوتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على
المزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني بمصر شهد
عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه
اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه ولو قتلوه استراح منه الناس قال
مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت
انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه
بالنار حيا وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار
حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة
ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وتضرب
عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه
لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن
لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في
النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها وقال غير واحد
من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم
بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل
ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء
القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه

باسلامه حدود الله تعالى فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك
لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم
اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد
ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله عليه وسلم فقيل انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه الزندقة وقال اصبغ ميراثه
لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له
مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب وقال ابو
الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه
على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من
الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده
وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى
عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف
فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك
ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية
ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله
قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من
اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل على ذلك

اومات عليه وقال ابو محمد بن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق
الذى يستعمل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف فى انه لا يو
رث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم يعدل عليه بينة او لم
تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابى القاسم فى كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعلن دينا مما يفا
رق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين ولا يورثه وتبعه الشافعى وابو ثور
وابن ابى ليلى واختلف فيه عن احمد وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى
عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبى وعمر بن عبد العزيز
والحكم والاوزاعى والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته المسلمين
وقيل ذلك فيما اكتسبه قبل ذلك ارتداده وما يكسبه فى الارتداد
فللمسلمين وتفضيل ابى الحسن القابسى فى جوابه حسن بين وهو على راى
اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهم على قولى مالك فى ميراث
الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها
او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغيره
من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او بتوبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن
نافع عنه فى العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله
تبع لدمه وقال ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد
الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه ان اعترف بما شهد
عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك
كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم
ابن الكاتب عن النصرانى يسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل
هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا

توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا
معنى قوله واختصاره الباب الثالث فى حكم من سب الله تعالى وملا
ئكته وانبيائه وكتبه وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه
لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف
فى استتابته فقال ابن القاسم فى المبسوط وفى كتاب ابن سحنون و
محمد ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب
الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله با
رتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال
فى المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن
ابى حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودى والنصرانى
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك
كله كالردة وهو الذى حكاه القاضى ابن نصر عن المذهب وافتى ابو
محمد بن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى فقال
انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى فقال يقتل بظاهر كفره
ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قر
طبة فى مسئلة هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها
انه قال عند استقلاله من مرض لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر
وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله
وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح
وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد
بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه الا ان القاضى راى عليه التثقيل
فى الحبس والشدة فى الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكى فوجه

من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق
بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار
الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك
استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه
وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا
احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد فقد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على
مشهور اكثر مذاهب العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما
بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله فصل واما من اضاف الى الله ما لا
يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق
التاويل والاجتهاد والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه
او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم
يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا
قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك
القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم
حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول
قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون
في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن
عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا
والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية
والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف

لتاويل

لتاويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او استروه فان
تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال
لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية والقد
رية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم
السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقد
رية والمرجية وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلف الروايات عن مالك فاطلق
في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان ابن محمد الطاهري
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا يزوج قال
الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا
اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيا من ذات الله و
اشار الى شيء من جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه
لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه
وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى
يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا يقبل توبته
قال القاضي ابي عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف
يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الاختلاف اختلف قوله في اعاده
الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
واكثر اقوال السلف بكفرهم وممن قاله به الليث وابن عيينة وابن
لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك و

الاودى ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزارى وهشيم
وعلى بن عاصم فى اخرين وهو قول اكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفى الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة
واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا
فى الواقفة والشاكة فى هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول
الاخر بترك تكفيرهم على بن ابى طالب وابن عمر والحسن البصرى
وهو راى جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم
قال اسمعيل القاضى وانما قال مالك فى القدرية وسائر اهل البدع
يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد فى الارض كما قال فى
المحارب راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو فى الا
موال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا فى امر الدين من سبيل
الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل فى
امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل فى تحقيق القول
فى اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف فى اكفار اهل البدع
والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا
وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف
الفقهاء والمتكلمون فى ذلك فمنهم من صوب التكفير الذى قال به
الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سوا
د المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق
ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم فى وقت ولا غيره قال وهو قول

جميع

جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون فى ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير وضده واختلاف قولى مالك فى ذلك وتوقفه عن اعادة
الصلاة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضى ابو بكر امام اهل
التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر
وانما قالوا قولا يؤدى اليه واضطرب قوله فى المسئلة على نحو اضطراب
قول امامه مالك بن انس حتى قال فى بعض كلامه انهم على راى من كفرهم
بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم
ويختلف فى موارثتهم على الخلاف فى ميراث المرتد وقال ايضا نورث
ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك
التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابى الحسن الاشعرى و
اكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود
البارى تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم والمسيح او بعض من
يلقاه فى الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالى
رحمه الله تعالى فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وكان سأله عن المسا
لة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر فى الملة واخراج
مسلم عنها عظيم فى الدين وقال غيرهما من المحققين الذى يجب الاحتراز
من التكفير فى اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر
والخطاء فى ترك الف كافر اهون من الخطاء فى سفك محجمة من دم مسلم
واحد وقد قال عليه السلام واذا قالوها يعنى الشهادة فقد عصموا
منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع
ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة فى الباب

معرضة للتاويل فجاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم ولذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث على غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا يعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكيك في حاله وان احتجوا بقوله ابي سعيد الخدري في

هذا

هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء من التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسين العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ

وتمامه في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى
واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها
الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة و
قائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى
واليهود وكل من فارق دين الاسلام او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف
في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب
والشك لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات كفر
وما يتوقف فيه او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق
هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق اصحاب الاثنينية من الديصانية والمانوية و
اشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملائكة والشياطين او الشمس او النجوم او النار
او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من
اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير قديم وانه
محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد
من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان
ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والاطبا بعينه

وكذلك

وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله
في بعض الاشخاص كقول بعض المتصوفة والنصارى والباطنية
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه
او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ
الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او
تنعيمها فيها بحسب زكاتها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
خصوصا او احدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى
والغرابية والقرامطة من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث
اليه جبريل وكالمعطلة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان
كان بعض هؤلاء قد اشتركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن
جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به وادعى في ذلك المصلحة بزعمه
او لم يدعها فهو كافر بالاجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان
ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خا
طبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل
الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في

صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد
من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو
كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء
في ان في كل من الحيوان نبيا ونذيرا من القردة والخنازير
والدود والذباب وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وان من امة
الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه
الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا
المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه
وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة
بما تقدم ونبوة نبينا محمد عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات
قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد
مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وبعده وكذلك كل عند هؤلاء يقوم مقامه في
النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ
وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسا
بها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة
او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور
العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله

انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا
الكلام على ظاهره وان المفهوم المراد به دون تاويل ولا تخصيص
فلا شك في كفر هؤلاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك
وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا
على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال
الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم
او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك
وكذلك يقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة
وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة
بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم
يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم
ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه
كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل
من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر
بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وعلى اله و
كذلك يكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر
وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كا
لسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنا
يس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد
اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة
على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على

تكفير كل من استحل القتل وشرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك يقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر و
جوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها او سجداتها ويقول انما او
جب الله علينا في كتاب الله الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى
هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي
والخبرية عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال
من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء
رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول
المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة
او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي
تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير وغلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في
تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين و
امتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال
له سبيلك ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين
فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي

مكة

مكة والبيت الذي هو فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى اليها الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان
تلك الافعال هي صفاة عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها الرسول صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعده والمرتاب في
ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا
يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط
فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول عليه السلام وفعله
وتفسير مراد الله تعالى به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا
كافر وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه
كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر
الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا
عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك
تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله بمخالفتهم
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه
القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج

لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز
الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران
مكذب للنبي صلى الله تعالى لكنه يستتر بدعواه وكذلك من انكر الجنة
او النار والبعث والحساب والقيمة فهو كافر باجماع للنص واجماع
الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه
قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى
غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت
او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض
الفلاسفة وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا يرجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى
انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود
ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس
في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع
العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد
وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من
اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى
ابطال الشريعة. فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء
والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع

ربقة

ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف
الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجما
ع الذي يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من
خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه
بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجه به خارق للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده
والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان
يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او
اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك
فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر
بالله لا يكون الا باحدى ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون
ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس
بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل
لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله
فهما علم انه جاهل فاما الثالث وهو ان يجحد صفة من صفات الله تعالى الذاتية او يجحدها مستبصرا في ذلك كقوله
ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى
عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر ولا نكفر المتاولين كما قدمناه فاما
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره
بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن
الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم

الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق و
احتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي
وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر
الناس عن الصفات وكشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد
اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا
يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع
ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه
حينئذ كفرا فاما ما لم يرد فيه شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها و
غضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضا
بط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه
فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التو
حيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك و
معناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم
ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال
بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا
نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم
صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق
اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم

بمآل

بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا
وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل
الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول
اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل
التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومنا
كحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب و
شديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة
الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمان الصحابة وبعدهم
في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدرية ورأي الخوارج
والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا
لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم
فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله تعالى
الموفق للصواب قال ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية
والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من
الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من
جهل شيئا منها وقد قدمنا في هذا الفصل قبل من الكلام و
صورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى فصل
هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر

رضي الله تعالى عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو
عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
في المبسوطة وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا وقال اصبغ لان الوجه الذي به
كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض
للعهد قال ابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد ومن شتم من غير
اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف
وعبد الملك مثل قول مالك وقال محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى
بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وقد ذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرا
نية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به الله والنبي
واجماعهم على ذلك وهو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين من سب الله
به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من ذلك
ولا يسمعونا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم
واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الما
جشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال

ابن

ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه واضا
فه ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى
بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال
ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا
خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه
لكن توبته على المشهور تنفعه انابته وتنجيه من القتل فتنه
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون
ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا لمن ظهر
من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء
طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا
يقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون
والمعتوه مما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية
فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في ميزه وان لم يكن معه عقله و
سقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعا
ل ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب البهيمة على سوء الخلق
حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى
له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علما
ء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع
فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر
المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته
وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد

هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسن بن أبي
عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو
حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب
فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن
تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره
وقال أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان
معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد ابن أبي زيد
فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من أنه لا يقبل
توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله أنا الله إن
تاب أدب فإن عاد إلى مثل ذلك طولب مطالبة الزنديق لأن
هذا كفر المتلاعبين فصل وأما من تكلم من سقط القول و
سخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الا
ستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا
يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عا
مد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا
كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه
المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء أبو
زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى

قد

قد توقفوا في سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي
فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن
حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد
سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن
بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم
باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القضية ووبخ بقية الفقهاء
وسبهم وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة
الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها
ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا
باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك فقال إن كان جاهلا أو قاله
على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله أنه
لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على
اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء
الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا
من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا
نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما
حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغا
ليط اللسان كقول بعض الأعراب رب العباد ما لنا وما لك قد كنت
تسقينا فما بدا لك أنزل علينا الغيث لا أبا لك قال في أشباه لهذا من
كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب

فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن
العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
تعالى منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال
ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب
وفعل به وكذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر
اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت
خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان
يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم في الله تعالى وفي ذكر صفا
ته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل و
ينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق فصل وحكم من سب
سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به
وانكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه قال الله
تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله الاية وقال تعالى وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال تعالى امن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب
ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن
القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الفصل وقال

القاضي

القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملا
ئكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي
النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي
بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول
الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على
اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه
فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كان وجهه ما
لك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل و
هذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين
ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العر
ش المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل
واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول
الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه
من الملائكة او من الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر و
لقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل
الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم
في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن
يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما
من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار
نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من

اهل العلم فلا خرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام النا
س زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس له الكلام في
مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل
العلم فكيف لعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف
او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او
بشيء منه او بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما
نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من
ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى انه لكتاب عزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام ابن عبد المومن حدثنا
ابو داود حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن
عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد اية من كتاب
الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد
التورية او الانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها
او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو
في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه
الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس
انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان
جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله
بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه

كافر وهذا راي مالك قتل من سب عايشة رضي الله تعالى عنها
بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران اي لانه كذب بما
فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقال عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذ
تين ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل
من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على ان من قال ان
الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو عثمان
بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف
من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له
ان هذا ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ابراهيم ذلك
فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله
بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به كله وقال اصبغ
بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به
فقد كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا
فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه بذ
لك شاهد ثم شهد اخر انه ساله عن القضية فقال انما لعنت تورية
اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني
علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين
بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التورية مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ايمة المقريين المتصدرين
بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس

المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد
فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث
وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري
وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما
من لعن المصحف فانه يقتل **فصل** ومن سب آل بيته وازواجه و
اصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابراهيم
حدثنا عبيدة ابن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحا
بي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله تعالى يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملا
ئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه
السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر الزمان يسبون
اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تجالسوهم ولا تنا
كحوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب
اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذا
هم يؤذيه واذى النبي حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم
فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال فاطمة بضعة مني

يؤذوني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله تعالى من شتم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا
من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان
او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان
شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب
ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد
ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب
النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى
ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل
هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن
سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال
ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي
ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه
اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الله
ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى
عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه
في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة

ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه وقرن سب نبيه بسبه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه
القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة
بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي
ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه للحجامين وروى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن
الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد
بعد اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا
ان له صحبة لكفيناكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء
ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم الاية وهولاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعد
هم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية
فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال
في واحد منهم انه ابن زانية مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين
حدا له وحدا للامة ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا
على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه وقال ومن
قذف ام احد منهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان
احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من
المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير
الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان
ولي القيام به قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم بسب خليلته والاخر انها كسائر
الصحابة يجلد جلد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو
مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا
حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل
انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب
قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقيه فيتقدم اليه في
ذلك ويزجر ولا يقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه
ويبغض في الله تعالى وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد على
ابو بكر الصديق انه كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد
في شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب يبلغ به حد
الموت وذكروها رواية قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى
القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى
الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد
مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن
نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من
التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واود
عنه غير ما فصل ووددت لو وجدت من بسط قبل الكلام
فيه او مقيدا يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما اروية

والى الله تعالى جزيل الضراعة فى المنّة بقبول ما فيه لوجهه
والعفو عمّا تخلله من تزيّن وتصنع لغير وان يهب لنا ذلك
بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين
وحيه واسهرنا به جفوننا لنبيع قضا الله واعلمنا فيه حوا
طرنا من ابراز خصايصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن
ناره الموقدة بحمايتنا كرم عرضه ويجعلنا ممن لا يزاد اذ يذاد
المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن يهتم باكتسابه واكتتا
سببا يصلنا باسبابه وذخيرة يجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا نحوز بها رضاه وخير زيل ثوابه ويخصنا
تخصيص زمرة نبيا وجماعته ويحشرنا فى الرعيل الاول
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما
هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق
ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى لا
يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة
القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وحسبنا الله
ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشفا

شفاء ... عياض

اليحصبي

بفتح وسكون الحاء ... موحدة ... الى يحصب ... بالأندلس

دخل في سلك ملك الفقير ... الحسيني النقيب ... عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع
كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من
أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم
علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا
وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا
وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم
السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين
ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه
وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب
ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله
وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع
إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف
بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير وإكرام
وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه

الجليل قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال
وأبيّنه بتنزيل صور وأمثال. فاعلم أكرمك الله أنك حمّلتني من ذلك
أمرا إمرا، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا، وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا
ملأ قلبي رعبا. فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول، وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق، مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف إليه، أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة، وخصائص هذه الدرجة العلية. وهاهنا مهامه
فيح تحار فيها القطا، وتقصر بها الخطا، ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم
تهتد بعلم علم، ونظر سديد، ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد
على توفيق من الله وتأييد. لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب
من نوال وثواب، بتعريف قدره الجسيم، وخلقه العظيم، وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق، وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع
الحقوق، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا. ولما
أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ولما حدثنا
به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه. قال حدثنا
الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمن بن الأشعث حدثنا موسى بن إسمعيل حدثنا
حماد حدثنا علي بن الحكم عن عطا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار
يوم القيمة. فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه هذا الغرض، مؤديا من ذلك الحق
المفترض، اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والـ

مما طوقه من شغل البدن المحنة التي ابتلي بها وكادت تشغل عن كل فرض ونفل
وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل
شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى نضرة النعيم
او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح
يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر
عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في
اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب
الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر
فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على يديه من الآيات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة
ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته

وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره
وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما
يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية
أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعثنا والمنجز
من غرض هذا التأليف وعده وعندا لتقضي لموعده والتفصي عن
عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ
أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ونحرر الكلام فيه
في بابين الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به
القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في أحواله
الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه
عليه السلام ونقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان
ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله جل وتعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله
عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وتمامها ينتجز

الغافل

واختصر الكلام

الكتاب في هذه الأقسام والأبواب. ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة.
وفي تاج التراجم درة خطيرة. تزيح كل لبس. وتوضح كل تخمين وحدس.
وتشفي صدور قوم مؤمنين. وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين. وبالله
تعالى لا إله سواه أستعين. القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر
المصطفى عليه الصلوة والسلام قولا وفعلا. قال القاضي الإمام أبو الفضل
رضي الله عنه لا خفا على من مارس شيئا من العلم. أو خص بأدنى لمحة من
فهم. بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام. وخصوصه إياه
بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام. وتنويهه من عظيم قدره
بما تكل عنه الألسنة والأقلام. فمنها ما صرح به تعالى في كتابه. ونبه
به على جليل نصابه. وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه. وحض العباد
على التزامه وتقلد إيجابه. فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم طهر
وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الحمد بدءا وعودا
والحمد أولى وأخرى. ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال
والجلال. وتخصيصه بالمحاسن الجميلة. والأخلاق الحميدة. والمذاهب
الكريمة. والفضائل العديدة. وتأييده بالمعجزات الباهرة. والبراهين الواضحة
والكرامات البينة. التي شاهدها من عاصره. ورآها من أدركه. وعلمها علم
يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا. وفاضت أنواره علينا
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه. قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار
وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب قال حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ.

عيسى بن م

لا إله إلا هو الملك الحق المبين

الفهم

لعظيم

الشديدة

قال حدثنا إسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله
منه قال فارفض عرقا

الباب الأول في ثناء الله تعالى

عليه وإظهاره عظيم قدره لديه • اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة
مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا
منها على ما ظهر معناه وبان فحواه • وجمعنا ذلك في عشرة فصول •

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية • قال السمرقندي وقرأ
بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي الإمام
أبو الفضل وفقه الله أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع
الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته • فلا
يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم يكن في العرب
قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وكونه من
أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح • ثم وصفه
بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه
ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف
رحيم • ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم الآية • وفي الآية الأخرى قوله تعالى هو الذي بعث في

بمؤمنيهم

الاميين رسولاً منهم الاية • وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم •
وَرُوِيَ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
من انفسكم بالنسب وصهرًا وحسبًا ليس في اباي من لدن ادم سفاح
كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما
وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا
من جنسهم في الصورة والبسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق
سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله • وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين •
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من
رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه الصلوة والسلام حياتي خير لكم
وموتي خير لكم • وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة امة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والانس • وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية • ورحمة
للمنافق بالامان من القتل • ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما

اخرجتك

الوثر

جعل الله تعالى نبيا فرطا وسلفا لا متقدما الى الثواب والقدوة

اصاب

أصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى
العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما
في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور
محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا
واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من
الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل
بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير
هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع
والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي

بالايمان حـ‍ـنا

أنقض ظهرك، قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة، وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية، وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلّغها حكاه الماوردي والسلمي، وقيل عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي. ورفعنا لك ذكرك، قال يحيى بن آدم بالنبوة، وقيل إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل في الأذان. قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه، وشريف منزلته عنده وكرامته عليه، بأن شرح قلبه للإيمان والهداية، ووسّعه لوعي العلم وحمل الحكمة، ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه، وبغّضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله، وحطّ عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزّل إليهم، وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه. قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال إن ربي وربك يقول لك تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي. قال ابن عطا: جعلت تمام الإيمان بذكري معك، وقال أيضا: جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني. وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية. وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة. ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه، فقال تعالى: وأطيعوا الله والرسول، وآمنوا بالله ورسوله، فجمع بينهما بواو العطف المشتركة، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير

ورفيع ذكره

حقه

حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما
اجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو
محمد عبد المؤمن اخبرنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجستاني حدثنا
ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب
في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق
والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا
خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او
قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما
وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد
غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب
المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون
راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي
وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله تعالى ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الآية روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه

حنانًا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول
فقرن طاعته بطاعته رغمًا لهم • وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال
أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي وحكى مكي
عنهما نحوه • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله
تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن
ابن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام وقيل
شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا
تحصوها قال نعمته بمحمد عليه الصلاة والسلام • وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية • أكثر المفسرين على
أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم • قال بعضهم وهو الذي
صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون
وقيل أبو بكر وقيل علي رضي الله عنهما • وقيل غير هذا من الأقوال وعن
مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه **الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق
بها من الثناء والكرامة** • قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا
ونذيرًا الآية • جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبًا من رتب الأثرة

محمد

وجملة

وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به
الى الحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القاسم حاتم
ابن محمد اخبرنا ابو الحسن القابسي اخبرنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا البخاري اخبرنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم الله به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر
به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير

يسار

أمة أخرجت للناس • وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة •
أو قال طيبة • أمته الحمادون لله على كل حال • وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الأمي الآية • وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية
قال السمرقندي ذكرهم الله منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن
جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا • هكذا قاله الضحاك • وقال تعالى
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال أبو الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية • وفي قوله تعالى في الآية الأخرى •
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس • وكذلك
قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
الآية • وقوله وسطا أي عدلا خيارا • ومعنى هذه الآية وكما هديناكم
كذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا
للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل إن الله جل وعلا
إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من
بشير ولا نذير • فتشهد أمة محمد للأنبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم •
وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم • والرسول حجة عليكم •
حكاه السمرقندي وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق
عند ربهم • قال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد

ذكرهم

يشفع

خدري

٧

الخيري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه
وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع
المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة

فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي
هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله
اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه
وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل
كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يجب
على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب
القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير

ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر
الذنب إن كان ثم ذنب. وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات
وعاتب نبينا عليه الصلوة والسلام قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء
ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته
قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف أن تركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تأمينه وكرامته. ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك الآية. قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا
يكذبونك الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فأتاه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون
أنك صادق فأنزل الله هذه الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام وإلطافه في القول بأن قرر
عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا
واعتقادا. وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذنب لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون
ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا. ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى
ولقد كذبت رسل من قبلك الآية. فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه

لا يجدونك

لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
إلى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله
تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح
يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو إلا يا أيها
الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا
أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم
عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد
غيره قال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات
اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه
ويس اسمان له وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله
عنهما أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم
وهو من أسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل

وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية رضي الله عنهما يس يا محمد وعن كعب الأحبار
يس قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن
المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فإن قرر أنه من
أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد
فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جا قسم آخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته أقسم تعالى باسمه وكتابه إنه
من المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه
بالرسالة في كتابه إلا له عليه الصلوة والسلام وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلوة والسلام أنا
سيد ولد آدم وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل
لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة
أي أقسم به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي أي يحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والأول
أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله وأنت حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين قال أمنها الله تعالى بمقامه
فيها وكونه بها فإن كونه أمان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من
قال أراد آدم فهو عام ومن قال هو إبرهيم وما ولد فهي إن شا الله إشارة
إلى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال
تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف

قدر

اقسام

أقسام أقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله
التستري رحمه الله الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد
عليهما الصلوة والسلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى
سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد صلى الله عليهما وسلم بهذا
القرآن الذي لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله
عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم إذا هوى إنه محمد
عليه الصلوة والسلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الأنوار
وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان الفصل الخامس
في قسمه تعالى جده له بتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل إذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك
النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال
القاضي الفقيه وفقه الله تعالى تضمنت هذه السورة من كرامة الله له
وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره به
من حاله بقوله والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم
درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى

ما ودعك ربك وما قلى. أي ما تركك وما أبغضك. وقيل ما أهملك بعد أن
اصطفاك. الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى. قال ابن إسحق
ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا. وقال سهل
أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا
الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى. وهذه آية جامعة لوجوه
الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة. قال
ابن إسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل يعطيه الحوض
والشفاعة. وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في
القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من
أمته النار. الخامس ما عدده الله تعالى من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية
السورة من هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما
فحدب عليه عمه وآواه إليه. وقيل آواه إلى الله. وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك إليه. وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى
بك يتيما. ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه. السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
وإشادة ذكره بقوله تعالى. وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث
بها وهذا خاص له عام لأمته صلى الله عليه وسلم. وقال تعالى والنجم إذا هوى
إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى. اختلف المفسرون في قوله والنجم
بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد

أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد عليه السلام • وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد
صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما
يقف دونه العد • أقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلى • وأنه وحي يوحى • أوصله إليه عن الله عز وجل جبريل عليه السلام وهو
الشديد القوى • ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة
المنتهى • وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى • وقد نبه على
مثل هذا تعالى في أول سورة الإسراء • ولما كان ما كاشفه عليه الصلوة والسلام
من ذلك الجبروت • وشاهده من عجائب الملكوت • لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول • رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى • وهذا النوع من الكلام تسميه
أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز • وقال
لقد رأى من آيات ربه الكبرى • انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى • وتاهت
الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي أبو الفضل اشتملت هذه
الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام وعصمتها
من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وزكى قلبه بقوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى • ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى • وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى • وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله
وما هو بقول شيطان رجيم • لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم • أي كريم
عند مرسله • ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي • مكين أي متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده • مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي قال علي بن عيسى

وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا
له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدا قيل
رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين أي بمتهم
ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمه وعلمه وهذه
لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات أقسم تعالى بما أقسم
به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده
من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك
لأجرا غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل
الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي أثنى عليه
بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك
الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه
ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء
خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله
أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه

أبلغ من برده. وأثبت في ديوان نجبته. **الفصل السادس فيما ورد** من قوله تعالى في جهته عليه الصلوة والسلام مورد الشفقة والإكرام.
قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام. وقيل هو اسم لله عز وجل. وقيل معناه يا رجل. وقيل يا إنسان. وقيل هي حروف مقطعة لمعان. **قال** الواسطي أراد يا طاهر يا هادي. وقيل هو أمر من الوطء. والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل **أخبرنا** القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت. قال حدثنا أبو ذر الحافظ. قال حدثنا أبو محمد الحموي. أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشي. قال حدثنا عبد بن حميد. حدثنا هاشم بن القاسم. عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه الصلوة والسلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة. قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين. ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين. ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

ح بالزاي

عما يقولون إلى آخر السورة • وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك
الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الآية • عزاه الله تعالى بما أخبر به
عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره
بقوله تعالى فتول عنهم • أي أعرض عنهم فما أنت بملوم • أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ما حملت • ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا • أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة
من هذا المعنى الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به •
في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته
قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمداً
صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية
قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبياً إلا ذكر له محمداً
صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل
أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم
جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في أي نعمة
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح إلى قوله شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال
في كلام بكى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم
فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك
وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره صلى الله عليهم
أجمعين قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه الصلوة والسلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ
أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله
عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد
أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى
خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى
يا أيها النبي يا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن
من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد

لا نزعهم أي على دينه ومنهاجه وأجاره القرآن حكاه عنه مكي، وقيل المراد
نوح عليه السلام. فصل في إعلام الله تعالى خلقه
بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه. قال الله تعالى: وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم، أي ما كنت بمكة، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. وهذا
مثل قوله تعالى: لو تزيلوا لعذبنا الآية، وقوله تعالى: ولولا رجال مؤمنون الآية.
فلما هاجر المؤمنون نزلت: وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام. وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن
أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم، فلما خلت مكة
منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. وفي الآية أيضا تأويل آخر. حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه. حدثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو الحسين الصيرفي. حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة. حدثنا أبو علي السنجي. حدثنا
محمد بن محبوب المروزي. حدثنا أبو عيسى الحافظ. حدثنا سفيان بن وكيع. حدثنا
ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى
عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزل الله علي أمانين لأمتي: وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فإذا مضيت
تركت فيهم الاستغفار. ونحو منه قوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.
قال عليه الصلاة والسلام: أنا أمان لأصحابي، قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن. قال بعضهم: الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما
عاش وما دامت سنته باقية فهو باق، فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن.

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله تعالى وملائكته عليه وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة

وقال تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية • أبان الله تعالى
فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم صلاة ملائكته وأمر
عباده بالصلاة والتسليم عليه والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن (استغفار)
الله رحمة • وقيل يصلون يباركون • وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة • وسنذكر حكم
الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن
الكاف من كاف أي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى أليس الله بكاف عبده • والهاء هدايته له قال الله ويهديك
صراطا مستقيما • والياء تأييده قال الله هو الذي أيدك بنصره • والعين
عصمته قال الله تعالى والله يعصمك من الناس • والصاد صلاته
عليه قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي وقال
تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية • مولاه أي وليه وصالح
المؤمنين قيل الأنبياء • وقيل الملائكة • وقيل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما •
وقيل علي رضي الله عنه • وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته

قال الله تعالى إنا فتحنا لك
فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم • تضمنت هذه الآيات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء إليه • فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين
بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير
مؤاخذ بما كان وما يكون وقال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع
أي أنك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده

لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل • ثم قال ويتم نعمته عليك
قيل بخضوع من تكبر عليك • وقيل بفتح مكة والطائف • وقيل برفع ذكرك
في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته
المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما
لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم •
ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية • فعدد محاسنه
وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب • وقيل بالمغفرة
ومنذرا عدوه بالعذاب • وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم
بي من سبقت له من الله الحسنى • وتعزروه أي تجلونه • وقيل تنصرونه •
وقيل تبالغون في تعظيمه • وتوقروه أي تعظموه وقرأ بعضهم وتعززوه
بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله عز وجل قال ابن عطاء جمع للنبي
صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
أعلام الإجابة • والمغفرة وهي من أعلام المحبة • وتمام النعمة وهي من
أعلام الاختصاص • والهداية وهي من أعلام الولاية • فالمغفرة تبرئة من
العيوب • وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة • والهداية وهي الدعوة
إلى المشاهدة • وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه

وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى • وحفظه
في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى • وبعثه إلى الأسود والأحمر وأحل
له ولأمته الغنائم • وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم • وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد • ثم قال
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله • يعني بيعة الرضوان • أي إنما
يبايعون الله ببيعتهم إياك • يد الله فوق أيديهم • يريد عند البيعة
قيل قوة الله • وقيل ثوابه • وقيل منته • وقيل عقده • وهذه استعارة
وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في
باب المجاز وهذا من باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة
البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى
إنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما
رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع أي إن منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل
والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر فيما أظهره

في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل • من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة
الإسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم

منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب • ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس • وقوله تعالى وإذ يمكر بك
الذين كفروا الآية • وقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله الآية • وما
دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه
في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة
ابن مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة • ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك
هو الأبتر • أعلمه الله تعالى بما أعطاه • والكوثر حوضه • وقيل نهر في
الجنة • وقيل الخير الكثير • وقيل الشفاعة • وقيل المعجزات الكثيرة • وقيل
النبوة • وقيل المعرفة • ثم أجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى إن
شانئك هو الأبتر • أي عدوك ومبغضك • والأبتر الحقير الذليل • أو
المفرد الوحيد • أو الذي لا خير فيه • وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم • قيل السبع المثاني السور الطوال الأول
والقرآن العظيم أم القرآن • وقيل السبع المثاني أم القرآن • والقرآن
العظيم سائره • وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي • وبشرى
وإنذار • وضرب مثل وأعداد نعم • وآتيناك نبأ القرآن العظيم • وقيل
سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة • وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء • وسمى القرآن مثاني
لأن القصص تثنى فيه • وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات
الهدى • والنبوة • والرحمة • والشفاعة • والولاية • والتعظيم • والسكينة •

وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية • وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس
الآية • وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية • قال فهذه
من خصائصه • وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم • فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة
كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود • وقال تعالى النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم • قال أهل التفسير أولى
بالمؤمنين من أنفسهم • أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده • وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس • وأزواجه
أمهاتهم • أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة
له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة • وقد قرئ وهو أب لهم
ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف • وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب
والحكمة الآية • قيل فضله العظيم بالنبوة • وقيل بما سبق له في الأزل
وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى
صلى الله عليهما وسلم

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم • الباحث عن تفاصيل جمل قدره
العظيم • أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا • ومكتسب ديني وهو ما يحمد
فاعله ويقرب إلى الله زلفى • ثم هي على فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد
الوصفين • ومنها ما يتمازج ويتداخل • فأما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته • من كمال خلقته •

وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به
ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه
وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها
التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة
وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه
لا بد أن تكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء
الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار
الآخرة ولكنها كلها فضائل ومحاسن باتفاق أصحاب العقول السليمة
وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** إذا كانت خصال
الكمال والجمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها
أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم
أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال
ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية

والقرب

والأمانة
والسؤل

والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة
بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة
للعالمين وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة
النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله تعالى وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم
باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع
الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد الله له في الدار
الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم فصل
إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس
قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقتني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير

مكتسبة • وفي جبلة الخلقة وجدته حائزًا لجميعها محيطًا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع • أمّا
الصورة وجمالها • وتناسب أعضائه في حسنها • فقد جاءت الآثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي • وأنس بن مالك • وأبي هريرة •
والبراء بن عازب • وعائشة أمّ المؤمنين • وابن أبي هالة • وأبي جحيفة • وجابر
بن سمرة • وأمّ معبد • وابن عبّاس • ومعرّض بن معيقيب • وأبي الطفيل •
والعدّاء بن خالد • وخريم بن فاتك • وحكيم بن حزام • وغيرهم رضي الله
عنهم أجمعين • من أنّه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون • أدعج • أنجل •
أشكل • أهدب الأشفار • أبلج • أزجّ • أقنى • أفلج • مدوّر الوجه • واسع الجبين •
كثّ اللحية • تملأ صدره • سواء البطن والصدر • واسع الصدر • عظيم
المنكبين • ضخم العظام • عبل العضدين والذراعين والأسافل • رحب
الكفّين والقدمين • سائل الأطراف • أنور المتجرّد • دقيق المسربة • ربعة
القدّ • ليس بالطويل البائن • ولا بالقصير المتردّد • ومع ذلك فلم يكن
يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم • رجل الشعر •
إذا افترّ ضاحكًا افترّ عن مثل سنا البرق • وعن مثل حبّ الغمام • إذا تكلّم
رُئي كالنور يخرج من ثناياه • أحسن الناس عنقًا • ليس بمطهّم • ولا
مكلثم • متماسك البدن • ضرب اللحم • قال البراء ما رأيت من ذي لمّة
في حلّة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال أبو هريرة
ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنّ الشمس تجري
في وجهه • وإذا ضحك يتلألأ في الجدر • وقال جابر بن سمرة وقال له
رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس

والقمر

القمر وكان يستتر بها وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل
الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه
له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر
قبله ولا بعده مثله والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف
عليه هناك إن شاء الله تعالى فصل وأما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة
حدثنا سفين بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا
أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمن عن ثابت عن أنس رضي الله
عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار
قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه وروى الحربي
عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم علي مسكا وذكر إسحق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه
وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم • وهذا الخبر وإن لم
يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه
وسلم • وهو قول بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقد حكى القولين
عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية • وشاهد هذا
أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون
من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة
لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه
إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله
شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلوة والسلام ويل
لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه • وقد روي نحو من هذا عنه
في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده • وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم

حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في الشامل

الدارقطني

لدارقطني شيئا والبخاري إخراجه في الصحيحين • واسم هذه المرأة بركة
واختلف في نسبها • وقيل هي أم أيمن • وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم •
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل
بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا ما به قذر
وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط وعن علي رضي الله عنه أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري
فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى
ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان محفوظا صلى الله عليه وسلم فصل
وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية أنه كان صلى الله عليه وسلم أعقل الناس وأذكاهم
ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع
عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب
فهمه لأول بديهة وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه • وقد قال وهب بن
منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا • وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله

عليه وسلم الا الجنة زهرة من زهرة الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري
ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين وعن عايشة رضي الله عنها مثله قالت
زيادة زادها الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما
انظر الى ما بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى
بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده صلى الله عليه وسلم وقد حكي عنه انه كان يرى في
الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل
وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في
ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل
من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر
عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد
ابن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سلمن حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا
همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله عز وجل لموسى صلى الله
عليه وسلم كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الاسرا والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى

وقد جاءت الآثار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى
الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت
أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض
تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته صلى الله عليه
وسلم أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى
مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب **فصل** وأما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع
وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول
وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم
وعلم ألسنة العرب يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها
ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير
موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك
وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي
والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومذقها

مع

وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة

ومن كتابه لوايل بن حجر الكندي الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير

في صحبته

في صحبة من لا يرى لك ما ترى له • والناس معادن • وما هلك امرؤ عرف
قدره • والمستشار مؤتمن • وهو بالخيار ما لم يتكلم • ورحم الله عبداً قال
خيراً فغنم او سكت فسلم • وقوله صلى الله عليه وسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك

مجتبا

الله اجرك مرتين • وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة
احاسنكم اخلاقاً • الموطؤن اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون • وقوله
صلى الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه • وقوله عليه
السلام ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً • ونهيه عن قيل وقال • وكثرة
السؤال • واضاعة المال • ومنع وهات • وعقوق الامهات • ووأد البنات •
وقوله عليه الصلوة والسلام اتق الله حيث ما كنت • واتبع السيئة الحسنة تمحها •
وخالق الناس بخلق حسن • وخير الامور اوساطها • وقوله صلى الله عليه وسلم
احبب حبيبك هوناً ما • عسى ان يكون بغيضك يوماً ما • وقوله عليه السلام
الظلم ظلمات يوم القيمة • وقوله عليه السلام في بعض دعائه • اللهم اني
اسألك رحمة تهدي بها قلبي • وتجمع بها امري • وتلم بها شعثي • وتصلح بها
غائبي • وترفع بها شاهدي • وتزكي بها عملي • وتلهمني بها رشدي • وترد بها
الفتي • وتعصمني بها من كل سوء • اللهم اني اسألك الفوز في القضاء • ونزل الشهداء •
وعيش السعداء • والنصر على الاعداء • الى ما رونه الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل

مرتبة

من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره • وحاز فيها سبقاً لا يقدر قدره • وقد جمعت
من كلماته التي لا يسبق اليها • ولا يقدر احد ان يفرغ في قالبه عليها • كقوله صلى الله
عليه وسلم حمي الوطيس • ومات حتف انفه • ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين •
والسعيد من وعظ بغيره • في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها

وتذهب به الفكر في أداني حكمها • وقد قال له أصحابه صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما
يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين • وقال مرة أخرى بيد
أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها
إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري •
وقالت أم معبد في وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن • وكان عليه السلام جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم فصل وأما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشئه فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه
فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأفضل العرب وأعزهم
وأشرفهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي
أبو الوليد سليمان بن خلف حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد حدثنا أبو محمد السرخسي
وأبو إسحق وأبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا
قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن
أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الأسقع

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار
منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا فاختار منهم بني هاشم
ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب بحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم
بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى
ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى
الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم
لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط. ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل واما ما
تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه. فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل
في قلته. وضرب الفضل في كثرته. وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما
التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
فلم تزل العرب والحكما تتمادح بقلتهما. وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته

عز وجل
ثم اختار قريشا

قوله والشاهد على هذا الى ان كثرة الاكل والنوم يورثان ما ذكر

دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب
وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يندفع من سيرته وهو الذي
امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ
حدثنا سليمن بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية
ابن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان
كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك
سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
اي كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة
وقوله صلى الله عليه وسلم الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله لظنه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اغتماً دهم انه لا يحل له فأراد بيان سنته اذ راهم
لم يعتقدوه النبي مع علمه انهم لا يستأثرون عليه تصدق عليهم ظنة ويبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة
لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي
صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئا والاتكاء هو التمكن
للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد
فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول صلى الله عليه وسلم انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله
عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي • وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على جانبه الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من
الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة
ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه • اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة
ماضية • واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال

اللذين

عليه الصلوة والسلام تناكحوا فإني مباهٍ بكم الأمم • ونهى عن التبتل مع ما
فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبّه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله
من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره
العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله التستري قد حُبّبن إلى
سيد المرسلين فكيف يُزهد فيهن • ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحُكي في ذلك عن
علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن يلقى الله عز وجل
عزبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل • وهذا يحيى بن
زكريا عليهما السلام قد أثنى الله تعالى عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما تعدّه فضيلة • وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء
فلو كان كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور ليس كما
قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل أنكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء قالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء وإنما معناه
أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حُصر عنها • وقيل مانعا
نفسه من الشهوات • وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
أن عدم القدرة على النكاح نقص • وإنما الفضل في كونها موجودة ثم
قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه
السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الأوقات حاطّة إلى الدنيا
ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن
ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن
عن عبادة ربه عز وجل بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن

هذا

والكفاية

وأشباههن وهذا يبين أنهن بل أصرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو
وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب إليّ من دنياكم وقد ذكرنا أن حبه
لما ذكر من النساء والطيب لم يكن من أمور دنيا غيره واشتغالهم لذلك لنيل لذة دنياه
بل لأجل الأخروية للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه
أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه صلى الله عليه
وسلم لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى
يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان
صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح له
من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة •
قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلثين رجلا خرجه النسائي وعن طاوس
أعطي عليه السلام قوة أربعين رجلا في الجماع • ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر
من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب وروي نحوه
عن أبي رافع • وقد قال سليمن عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع
وتسعين وأنه فعل ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمن
ماية رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره
سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية • وقد كان لداود عليه السلام على زهده
وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بتزوج أوريا ماية • وقد نبه

اللذين هما

رجلا

على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش • وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمته في القلوب • وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها
في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدحه من مدحه وورد في الشرع بمدح الخمول وذم العلو في
الأرض • وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه
ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا
حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود أن رجلا قام بين يديه
فأرعد فقال هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة •
وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة • في الدنيا
فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى نحو هذا الفصل
بسطنا هذا القسم بأسره **فصل** وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال
فصاحبه على حاله يعظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته
وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه

وأما الجاه

عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند كل حال وإن كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على حد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست
لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يصرفه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح
عند أحد من العقلاء بل هو فقير إذ غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده
من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه
ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في
يده شيء من المال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
لما أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لأحد
قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما
استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره
وقوى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار
إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد

يلبس الثياب السملة والكسا الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النسا والمحمود منها نقاوة
الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يودي
الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي
اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه
عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها **فصل** وأما الخصال المكتسبة
من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلا على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها
وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزا النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها
دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم
على الانتها في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال تعالى
وانك لعلى خلق عظيم • قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه • وقال عليه السلام بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق • وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة

ومعرقا

قال الفقيه القاضي

الا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الأنبيا ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى
وسليمن وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه • وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت • وقيل في قوله تعالى
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه
كلمة الله وروحه • وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم
اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام
عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها
وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا • وقال ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما
وقد ذكر من حكم سليمن وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة
الصبي ما اقتدى به داود ابوه • وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثني عشر عاما • وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل • قال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل
اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان
يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
وقيل ان القا ابرهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة
وان ابتلا اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب

صلوات الله عليهم

ما للعب خلقت

تعالى

كان

والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا. وقيل أوحي إلى يوسف وهو
صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب بقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم
بأمرهم الآية إلى غير ذلك من أخبارهم. وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت
وهب أخبرت أن نبينا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض
رافعا رأسه إلى السماء. وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت
إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا
مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم
وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله
لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع
على هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية
من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة
أو صدق اللسان أو السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل
ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد
اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة. وحكى الطبري عن بعض
السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن رضي الله عنهما وبه قال والصواب ما أصلناه. وقد روى
سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة
والكذب. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشاء فهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة

وَلَكِنَّا نَذْكُرُ أُصُولَهَا وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا وَنُحَقِّقُ وَصْفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى **فَصْلٌ** أَمَّا أَصْلُ فُرُوعِهَا وَعُنْصُرُ يَنَابِيعِهَا وَنُقْطَةُ
دَائِرَتِهَا فَالْعَقْلُ الَّذِي يَنْبَعِثُ مِنْهُ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَذَا ثُقُوبُ
الرَّأْيِ وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ وَالْإِصَابَةُ وَصِدْقُ الظَّنِّ وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ وَمَصَالِحِ
النَّفْسِ وَمُجَاهَدَةُ الشَّهْوَةِ وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ وَتَجَنُّبُ
الرَّذَائِلِ • وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مَكَانِهِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَوةُ وَالسَّلَامُ وَبُلُوغِهِ مِنْهُ
وَمِنَ الْعِلْمِ الْغَايَةَ الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ وَإِذْ جَلَالَةُ مَحَلِّهِ مِنْ ذَلِكَ وَمِمَّا
تَفَرَّعَ مِنْهُ مُتَحَقِّقٌ عِنْدَ مَنْ تَتَبَّعَ مَجَارِيَ أَحْوَالِهِ وَاطِّرَادَ سِيَرِهِ وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلَامِهِ
وَحُسْنَ شَمَائِلِهِ وَبَدَائِعَ سِيَرِهِ وَحِكَمَ حَدِيثِهِ وَعِلْمَهُ بِمَا فِي التَّوْرَيةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَحِكَمِ الْحُكَمَاءِ وَسِيَرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَأَيَّامِهَا وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ
وَسِيَاسَاتِ الْأَنَامِ وَتَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَتَأْصِيلِ الْآدَابِ النَّفِيسَةِ وَالشِّيَمِ الْحَمِيدَةِ
إِلَى فُنُونِ الْعِلْمِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا قُدْوَةً وَإِشَارَاتِهِ حُجَّةً
كَالْعِبَارَةِ وَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَنُبَيِّنُهُ فِي
مُعْجِزَاتِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى دُونَ تَعْلِيمٍ وَلَا مُدَارَسَةٍ وَلَا مُطَالَعَةِ كُتُبِ مَنْ تَقَدَّمَ
وَلَا الْجُلُوسِ إِلَى عُلَمَائِهِمْ بَلْ نَبِيٌّ أُمِّيٌّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُعْرَفْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى
شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ وَأَبَانَ أَمْرَهُ وَعَلَّمَهُ وَأَقْرَأَهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ بِالْمُطَالَعَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ حَالِهِ
ضَرُورَةً وَبِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ عَلَى نُبُوَّتِهِ نَظَرًا فَلَا نُطَوِّلُ بِسَرْدِ الْأَقَاصِيصِ وَآحَادِ
الْقَضَايَا إِذْ مَجْمُوعُهَا مَا لَا يَأْخُذُهُ حَصْرٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ حِفْظُ جَامِعٍ وَبِحَسَبِ
عَقْلِهِ كَانَتْ مَعَارِفُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَائِرِ مَا عَلَّمَهُ اللهُ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ
مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَعَظَائِمِ مَلَكُوتِهِ • قَالَ اللهُ تَعَالَى وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ الْآيَةَ حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَخَرِسَتِ الْأَلْسُنُ

مُتَحَقِّقَةٌ

وَعَظِيمِ

دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه **فصل** وأما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب فرق فإن
الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس
عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية **روي** أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم جل وعلا
ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال الله تعالى له واصبر على ما أصابك الآية وقال تعالى
فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل الآية وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية
وقال تعالى ولمن صبر وغفر الآية ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل
حليم قد عرفت منه زلة وحفظت منه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما **حدثنا** القاضي أبو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي
وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك
على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت
داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون **وروي** عن عمر رضي الله عنه أنه قال

واقد بالقا

في بعض

في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها هلكنا من عند آخرنا فلقد
وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
ورضي عنه انظر ما في هذا القول من جامع الفضل ودرجات الإحسان وحسن
الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر أو اهد
ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله صلى الله عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون . ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة
ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له فقال له ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت
إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله . ولما تصدى له غورث بن
الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة
وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس . ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته
في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية . وأنه لم يؤاخذ لبيد
بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته . وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه

جماع

اللهم

من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا لكن قال لمن أشار
بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه وعن
أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك
يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى
الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب
بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة
وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى
غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال
لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد
عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده

ثلاث
يقضيه

شدة الجهل الا حلما فاخبره بهذا فوجده كما وصف . والحديث عن حلمه
صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين
من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال
شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم الاية . اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس بن مالك رضي الله
عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان
جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه صلى الله عليه
وسلم ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله
الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان صلى الله
عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل
واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة . والسماحة التجافي عما يستحقه المرء
عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة . والسخاء سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير . وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي

اظفره

البرك [illegible]

لم يسابه

الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله • حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي • حدثنا
ابو ذر الهروي • حدثنا ابو الهيثم الكشميهني • وابو محمد السرخسي • وابو اسحق
البلخي • قالوا اخبرنا ابو عبد الله الفربري • حدثنا البخاري • حدثنا ابن كثير •
حدثنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم شيا فقال لا • وعن انس وسهل بن سعد مثله • وقال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان
وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة • وعن
انس ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا
فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى فاقة • واعطى غير واحد
مائة من الابل • واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة • وهذه كانت حاله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يبعث • وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم • ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف • واعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله • وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها • وجاءه رجل فسأله فقال صلى الله عليه وسلم
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا • فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه • وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي • وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا
وذهبا • قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد •

عن شيء

خلقه

ذهبا

فقسمها

الربيع بنت معوذ لا ابوها

والخبر

والخير بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه
وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل. فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل. والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون
خوف. وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل. قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا
يدبر ولا يتزحزح. وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه صلى الله عليه وسلم. حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي
سراج حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا أبو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسماعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع
البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان
آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب. وزاد غيره
أنا ابن عبد المطلب. قيل فما رؤي يومئذ أحد أشد منه. وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته. وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع
وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث. وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء. وقال
ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله

إلى

صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى إذا
اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا. وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه
منه وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول
لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول
من يضرب. ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت
إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي
صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل
بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو
بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة فصل وأما الحياء والإغضاء

فالحيا

فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه
خيرا من فعله، والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته، وكان النبي
صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله تعالى
إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية. حدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه
الله بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي
حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا
عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد
حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه، وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله. وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل
به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال
صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها. قالت عائشة رضي الله عنها
في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة
من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص. وروي عنه أنه كان من حيائه
صلى الله عليه وسلم لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكني عما اضطره الكلام
إليه مما يكره. وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط. فصل: وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم

مع أصناف الخلق بحيث تضافرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة
وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما
أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى
قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت
فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت وفي رواية أخرى اركب
أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا
ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق
سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي

صخاب

أحسن

أحسن إليه. وكان يجيب صلى الله عليه وسلم من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافئ عليها وقال أنس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته
لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني
إلا تبسم. وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين ويعود المرضى
في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس رضي الله عنه ما التقم
أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحي رأسه. وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له. وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة.
ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام.
وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته. وكان أكثر الناس تبسما
وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحرث
ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس رضي الله
عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة

التي
الأخذ

بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإنيه إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك **فصل** وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال الله فيه صلى الله عليه وسلم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم • وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين • قال بعضهم من
فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف
رحيم **وحكى** نحوه الإمام أبو بكر بن فورك **حدثنا** الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد
الخشني بقراءتي عليه حدثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي •
حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا إبرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج • حدثنا
أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب • قال غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان
ابن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب **حدثنا** سعيد بن المسيب
أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال
يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي **وروي** أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه
ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه
فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله فأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أ
أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد
أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا

بذلك

نفسي

نفورًا فناداهم صاحبها خلّوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم
فتوجّه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردّها حتى جاءت واستناخت وشدّ
عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من
أصحابي شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته
صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض
عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تعنت
أمته ورغبته لربه أن يجعل سبّه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال
أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلوة وطهورًا وقربة
تقربه بها إليك يوم القيمة ولما كذّبه قومه أتاه جبريل فقال له إن الله تعالى
قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت إن شئت أن أطبق
عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال
أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة
رضي الله عنها ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما
وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرًا وفيه صعوبة

خ إلى يوم القيامة

تحملك ترددُه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق **فصل**
وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم **حدثنا**
القاضي أبو عامر محمد بن إسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد حدثنا
أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس أخبرنا ابن الأعرابي أخبرنا أبو داود •
حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا إبرهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء بايعت النبي
صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى
لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك **وعن** أنس رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها
كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة **وعن** عائشة رضي الله عنها
قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان
ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها
ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت
تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان • ووصفه بعضهم فقال كان
يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم **وقال** صلى الله عليه وسلم
إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها • **وقد** صلى
عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها
وإذا قام حملها **وعن** أبي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد للنجاشي فقام
النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا
لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم • ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء

بسط

في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي
مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها. وقال
أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت
منه بسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته •
وعن عمرو بن السائب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه • وكان يبعث إلى ثويبة
مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل صلى الله عليه وسلم من بقي
من قرابتها فقيل لا أحد. وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله
عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. فصل وأما تواضعه صلى الله
عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته • فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا •
وحسبك أنه صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن
يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له
أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع. حدثنا أبو الوليد
ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة •
قال أخبرنا أبو علي الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا
أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس
عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما

ولده

مطلب

يقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا. وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد. وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه رضي الله عنهم
مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس. وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله. وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته
فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت
أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها
حتى فرغت من حاجتها قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
إكاف قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب قال
وحج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض صلى الله
عليه وسلم وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة. ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى.
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى. ولا تفضلوا
بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى. ونحن أحق بالشك من إبراهيم. ولو لبثت ما
لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي. وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك
إبراهيم. وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى. وعن
عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض
كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله

ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق. وعن أنس رضي الله عنه إن كانت الأمة
من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال
له هوّن عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد. وعن
أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها
ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صلى الله
عليه وسلم صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله. فصل وأما عدله صلى الله عليه
وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته. فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس
وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك
محادوه وعداه. وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال ابن إسحق كان يسمى الأمين
بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة. وقال تعالى مطاع ثم أمين. أكثر
المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم. ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء
الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد
رضينا به. وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء
أمين في الأرض. حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل
ابن خيرون حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد

ابن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معوية
ابن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان
ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك وروى لا يكذبونك وما انت فينا بمكذب
وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس
هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل
والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط • وسال هرقل عنه ابا سفين فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحرث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاكم بما جاكم به قلتم
ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط
لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلوة والسلام اصدق
الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج • قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم • يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون • ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلثة اجزا •
جزا لله تعالى وجزا لاهله وجزا لنفسه • ثم جزا جزاه بينه وبين الناس • وكان
صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة على العامة • ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع

الا لاعي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهمم بعد ذلك بسوء فصل
واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه حدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي
حدثنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله ابو بكر ح واخبرنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود
حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
محمد بن عبد العزيز بن عمر عن وهب قال سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله
عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن
سمرة رضي الله عنه انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان
صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان صلى الله عليه وسلم ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير

وأما أنه لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير، وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا
كأنما ينحط من صبب، وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته
أنه غير غرض ولا وكل، أي غير ضجر ولا كسلان، وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو
ترسيل، قال ابن أبي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع، على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر، قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه، وكان صلى الله عليه
وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول
صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في
الصلاة، ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة، فصل، وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار
أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها
وقد سيقت إليه صلى الله عليه وسلم بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن
توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا، حدثنا سفين بن العاصي والحسين بن محمد
الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس
الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا أبو الحسين بن الحجاج
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبرهيم عن الأسود،

عن عائشة

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام
تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وقالت عائشة رضي الله عنها
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقال صلى الله عليه وسلم اني عرض علي ان يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي
اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان
الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة رضي الله عنها وابي امامة
وابن عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان

توفي

عيشنا

ولا في شكوى جهد ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط. وعن عائشة رضي الله عنها
انما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف. وعن حفصة رضي الله عنها
قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له
فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي. وكان صلى الله عليه وسلم
ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه. وعن عائشة رضي الله
عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط. ولم يبث شكوى إلى
أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض
وثمارها ورغد عيشها. ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه
مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم. وما من شيء هو أحب
إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي. قالت فما أقام بعد إلا أشهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم

فصل

وأما خوفه ربه عز وجل وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه.
قال حدثنا أبو القاسم الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد
المروزي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا يحيى بن
بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه
كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا

ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني
أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات
تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد وروي هذا الكلام وددت أني شجرة
تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وروي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وروي وأنه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له
أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا
شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة
وأنس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته
مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل

قال ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة وقال عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله
واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه
الصفة لانها صفات الجمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم
صلوات الله وسلامه عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات
ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه
الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله
ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى فاذا
ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه احمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف
قال صلى الله عليه وسلم وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر
في صفة موسى كأحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه

صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في
ثروة اي كثرة ومنعة • وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث
قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا • وفي حديث هرقل وسالتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها •
وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب •
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا • وقال تعالى ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين • وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا الايتين •
وقال في نوح انه كان عبدا شكورا • وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح الايتين • وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الايتين • وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية • وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث • وقال تعالى
عنه فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين • وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين • وقال ان خير من استاجرت القوي الامين • وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل • وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا الى قوله فبهداهم اقتده • فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة • وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم • وقال تعالى
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى قوله امين • وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين • وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد
الايتين • وفي موسى انه كان مخلصا • وفي سليمن نعم العبد انه اواب • وقال
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب الى الاخيار • وفي داود انه اواب •

ثم قال وشددنا ملكه الآية . وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض الآية
وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا . وقال عن شعيب عليه السلام ستجدني
إن شاء الله من الصالحين . وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت الآية . وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية . وقال سفيان هو الحزن الدائم في آي
كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم . وجاء من ذلك
في الأحاديث كثير كقوله إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن إسحق بن إبرهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي . وفي حديث أنس رضي الله عنه
وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . وروي أن سليمان عليه السلام
كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى
وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير . وأوحي إليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين . وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح
فتقف فينظر في حاجتها ويمضي . وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وأنت
على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . وروى أبو هريرة عنه
عليه الصلوة والسلام خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه
فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده . قال الله تعالى وألنا
له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه أن يرزقه عملا
بيده يغنيه عن بيت مال الله . وقال عليه السلام أحب الصلوة إلى الله صلوة
داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد

الخطيئة ولا شاخصاً ببصره إلى السماء حياءً من ربه، ولم يزل باكياً حياته كلها.
وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه، وحتى اتخذت الدموع في خده أخدوداً.
وقيل كان يخرج متنكراً يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعاً.
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حماراً قال أنا أكرم على الله من أن يشغلني
بحمار، وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام، وكان
أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين. وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء
مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال. وقال عليه السلام لقد كان
الأنبياء من قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم.
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره
أن أعوّد لساني النطق بسوء. وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي
من خشية الله تعالى حتى اتخذ الدمع مجرى في خده، وكان يأكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس. وحكى الطبري عن وهب أن موسى كان يستظل بعريش
ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعاً
لله تعالى بما أكرمه به من كلامه. وأخبارهم في هذا كله مسطورة، وصفاتهم
في الكمال وجميل الأخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة، فلا نطول
بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا.

فصل قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة،
وخصال الكمال العديدة، وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار
ما فيه مقنع والأمر أوسع، فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الأدلاء، وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء، ولكنا أتينا فيه
بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات، واقتصرنا في ذلك بقل من كل

وَغَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ وَرَأَيْنَا أَنْ نَخْتِمَ هَذِهِ الفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الحَسَنِ عَنِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ
لِجَمْعِهِ مِنْ شَمَائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيرًا وَإِدْمَاجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيَرِهِ وَفَضَائِلِهِ
وَنَصِلُهُ بِتَنْبِيهٍ لَطِيفٍ عَلَى غَرِيبِهِ وَمُشْكِلِهِ حَدَّثَنَا القَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ حَدَّثَنَا الإِمَامُ أَبُو القَاسِمِ
عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ التَّمِيمِيُّ قَرَأْتُ عَلَيْهِ أَخْبَرَكُمُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
الحَسَنِ المَحْمُودِيُّ ثَنَا القَاضِي أَبُو يَعْلَى الحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ الوَخْشِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو
القَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الخُزَاعِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ
الشَّاشِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ الحَافِظُ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ
وَكِيعٍ حَدَّثَنَا جُمَيْعُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العِجْلِيُّ إِمْلَاءً مِنْ كِتَابِهِ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ
بَنِي تَمِيمٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ
عَنِ ابْنٍ لِأَبِي هَالَةَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ
ابْنَ أَبِي هَالَةَ قَالَ القَاضِي أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ وَقَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنِ الحَسَنِ
ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ خُدَادَاذَ الكَرَجِيِّ البَاقِلَّانِيِّ قَالَ وَأَجَازَ لَنَا الشَّيْخُ الأَجَلُّ أَبُو الفَضْلِ
أَحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ خَيْرُونَ قَالَا أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ
ابْنِ شَاذَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ مِهْرَانَ الفَارِسِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ فَأَقَرَّ بِهِ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ
الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ المَعْرُوفُ بِابْنِ أَخِي طَاهِرٍ العَلَوِيِّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرِ
ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ
ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ
عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ قَالَ قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَاللَّفْظُ لِهَذَا السَّنَدِ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي
هَالَةَ عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ وَصَّافًا وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ

أبي الحسين م

خالي خ

لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر • اطول من المربوع واقصر من المشذب • عظيم الهامة •
رجل الشعر • ان انفرقت عقيقته فرق • والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره •
ازهر اللون • واسع الجبين • ازج الحواجب سوابغ من غير قرن • بينهما عرق يدره
الغضب • اقنى العرنين • له نور يعلوه • يحسبه من لم يتامله اشم • كث اللحية • ادعج •
سهل الخدين • ضليع الفم • اشنب • مفلج الاسنان • دقيق المسربة • كان عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة • معتدل الخلق • بادنا متماسكا • سواء البطن والصدر •
مسيح الصدر • بعيد ما بين المنكبين • ضخم الكراديس • موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط • عاري الثديين ما سوى ذلك • انور المتجرد • اشعر الذراعين •
والمنكبين واعالي الصدر • طويل الزندين • رحب الراحة • شثن الكفين والقدمين •
سائل الاطراف • او قال سائن الاطراف وسائر الاطراف • سبط العصب • خمصان
الاخمصين • مسيح القدمين • ينبو عنهما الماء • اذا زال زال تقلعا • ويخطو تكفوا •
ويمشي هونا • ذريع المشية • اذا مشى كانما ينحط من صبب • واذا التفت التفت
جميعا • خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء • جل نظره الملاحظة •
يسوق اصحابه • ويبدا من لقيه بالسلام • صلى الله عليه وسلم قلت صف لي
منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان • دائم الفكرة •
ليست له راحة • ولا يتكلم في غير حاجة • طويل السكوت • يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه • ويتكلم بجوامع الكلم • فصلا لا فضول فيه ولا تقصير • دمثا ليس
بالجافي ولا المهين • يعظم النعمة وان دقت • لا يذم شيئا • لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه • ولا يقام لغضبه • اذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر له • ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها • اذا اشار اشار بكفه كلها • واذا تعجب قلبها • واذا تحدث

اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى • وإذا غضب أعرض وأشاح •
وإذا فرح غض طرفه • جل ضحكه التبسم • ويفتر عن مثل حب الغمام • قال الحسن
رضي الله عنه فكتمتها الحسين بن علي رضي الله عنهما زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا • قال الحسين رضي الله عنه سألت أبي عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك
فكان إذا أوى إلى منزله صلى الله عليه وسلم جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى
وجزءا لأهله • وجزءا لنفسه • ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس • فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا • فكان من سيرته صلى الله عليه وسلم في جزء الأمة
إيثار أهل الفضل بإذنه • وقسمه على قدر فضلهم في الدين • فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسألتهم عنه • وإخبارهم بالذي ينبغي لهم • ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب • وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة • لا يذكر عنده إلا ذلك •
ولا يقبل من أحد غيره • قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء • قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه • قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم
ويؤلفهم • ولا ينفرهم • ويكرم كريم كل قوم • ويوليه عليهم • ويحذر الناس • ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه • ويتفقد أصحابه • ويسأل الناس عما
في الناس • ويحسن الحسن ويقويه • ويقبح القبيح ويوهنه • معتدل الأمر غير
مختلف • لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا • لكل حال عنده عتاد • لا يقصر عن الحق •

ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم
نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا في الحق عنده سوا مجلسه
مجلس حلم وحيا وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
قد ترك نفسه من ثلث الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث
كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه
اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم
يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه

ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام . هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر .
وكان لا يغضبه شيء يستفزه . وجمع له في الحذر اربع . اخذه بالحسن ليقتدى
به . وتركه القبيح لينتهى عنه . واجتهاد الرأي بما اصلح امته . والقيام لهم بما
جمع لهم امر الدنيا والآخرة . انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير
غريب هذا الحديث ومشكله . قوله المشذب . أي البائن الطول في نحافة .
وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط . والشعر الرجل الذي كانه
مشط فتكسر قليلا . ليس بسبط ولا جعد . والعقيقة شعر الراس . اراد ان انفرقت
من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة . ويروى عقيصته . وازهر اللون
نيره . وقيل ازهر حسن . ومنه قوله تعالى زهرة الحيوة الدنيا . أي زينتها .
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم . والامهق
هو الناصع البياض . والآدم . الاسمر اللون . ومثله في الحديث الآخر ابيض
مشرب . أي فيه حمرة . والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر .
والاقنى . السائل الانف المرتفع وسطه . والاشم . الطويل قصبة الانف .
والقرن . اتصال شعر الحاجبين . وضده البلج . ووقع في حديث ام معبد وصفه
صلى الله عليه وسلم بالقرن . والادعج . الشديد سواد الحدقة . وفي الحديث الآخر
اشكل العين . واشجر العين . وهو الذي في بياضها حمرة . والضليع الواسع . والشنب
رونق الاسنان وماؤها . وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب .

مطلب سكوت النبي صلعم انما يكون على اربع

مطلب في تفسير غريب هذا الحديث

والفلج

والفلج فرق بين الثنايا . ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة .
بادن ذو لحم . ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا . مثل قوله في الحديث
الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم . اي ليس بمسترخي اللحم . والمكلثم القصير
الذقن . وسواء البطن والصدر . اي مستويهما . ومشيح الصدر . ان صحت هذه اللفظة
فيكون من الإقبال . وهو احد معاني اشاح . اي انه كان بادي الصدر . ولم
يكن في صدره قعس . وهو تطامن فيه . وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر .
اي ليس بمتقاعس الصدر . ولا مفاض البطن . ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم .
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد . والكراديس
رؤوس العظام . وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد . والمشاش
رؤوس المناكب . والكتد مجتمع الكتفين . وشثن الكفين والقدمين لحيمهما .
والزندان عظما الذراعين . وسائل الأطراف . اي طويل الأصابع . وذكر ابن
الأنباري انه روي سائل الأطراف . او قال سائن بالنون . قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية . واما على الرواية الأخرى . وسائر الأطراف
فاشارة الى فخامة جوارحه صلى الله عليه وسلم كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة . اي واسعها . وقيل كناية عن سعة العطاء والجود . خمصان
الأخمصين . اي متجافي اخمص القدم . وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط
القدم . ومسيح القدمين . اي املسهما . ولهذا قال ينبو عنهما الماء . وفي حديث
ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص . وهذا
يوافق معنى قوله مسيح القدمين . وبه قالوا سمي عيسى بن مريم المسيح اي لم يكن له
اخمص . وقيل مسيح لا لحم عليهما . وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين . والتقلع
رفع الرجل بقوة . والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده . والهون الرفق والوقار .

والذريع الواسع الخطو • أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه
خلاف مشية المختال • ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما
قال كأنما ينحط من صبب • وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه
والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم • وأشاح مال وانقبض • وحب الغمام
البرد • وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة • أي جعل من جزء نفسه ما يوصل
الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة • وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء
آخر بالعامة • ويدخلون روادا • أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده • ولا
يتفرقون إلا عن ذواق • قيل عن علم يتعلمونه • ويشبه أن يكون على ظاهره
أي في الغالب والأكثر • والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد • والموازرة المعاونة •
وقوله لا يوطن الأماكن • أي لا يتخذ للمصلاة موضعا معلوما • وقد ورد نهيه
عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث • وصابره • أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه •
ولا تؤبن فيه الحرم • أي لا يذكرن بسوء • ولا تنثى فلتاته • أي يتحدث بها • أي لم
تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت • ويرفدون يعينون • والسخاب
الكثير الصياح • وقوله ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه
وقيل إلا من مسلم • وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له • ويستفزه
يستخفه • وفي حديث آخر في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب أي قليل
لحمها • وأهدب الأشفار • أي طويل شعرها والله أعلم •

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم • لا خلاف أنه أكرم البشر
وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى
واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا • وقد اقتصرنا منها على صحيحها

مقابلة

ومنشورها، وحصرنا معاني ما وردنا منها في اثني عشر فصلا. **الفصل الأول**
فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب.
أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنا بلفظه قال حدثنا أبو
الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم
هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الأعمش عن
عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما وذلك قوله تعالى أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال فأنا من اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين
أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث
قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل
بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت الآية **وعن** أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد **وعن** واثلة
ابن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم
إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **ومن** حديث أنس أنا أكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر **وفي** حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنا أكرم الأولين
والآخرين ولا فخر **وعن** عائشة رضي الله عنها **عنه** عليه السلام أتاني جبريل

عليه السلام فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد
ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه
عليه السلام لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب
نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب
الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط
وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في قوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق
وردت نار الخليل مكتتما ... تجول فيها ولست تحترق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن
عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي
أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة
وأعطيت الشفاعة وفي رواية أخرى بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية
أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر
والأسود قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم
وقيل البيض والسود من الأمم وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه نصرت

وقيل الحمر الإنس والسود الجن

بالرعب

بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض
فوضعت في يدي وفي رواية عنه عليه السلام وختم بي النبيون وعن عقبة
ابن عامر رضي الله عنه أنه قال عليه الصلوة والسلام إني فرط لكم وأنا شهيد
عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض
وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف أن تنافسوا فيها
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا
محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة وعن رواية
ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل
رب اتخذت إبرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت
سليمن ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك
أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر
رواه حذيفة رضي الله عنه بشرني بغير ربه أول من يدخل الجنة معي من أمتي
سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا
تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصرة والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي
شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما

علیکم

لك

سؤال باب الشفاعة [?]

النصر [?]

كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء
عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته
وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وإنها لم تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن
سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عند الله
وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبراهيم وبشارة عيسى
ابن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الله تعالى فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل
السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية
وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله
على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه الآية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس الآية وعن خالد بن
معدان رضي الله عنه أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك
رضي الله عنهم فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور

أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام • واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا
مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض •
وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجًا فأخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى
أنقياه • قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئًا فإذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانًا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمرّ
الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبريل عليه السلام قال
قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال
أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
أمته فوزنني فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني
إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو
تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو
إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي
وغيرهما أن آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي
ويروى تقبل توبتي فقال له الله عز وجل من أين عرفت محمدًا قال رأيت في كل
موضع من الجنة مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله • ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له • وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الآجري فقال

ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احدا اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان
ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ويروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله
ملئكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله
عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمرا قال قال رسول الله صلى الله عليه و
لما اسري بي الى السما اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته
بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن
ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها
انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب
الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر
انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله
وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر
مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد
عن ابيه رضي الله عنهم اذا كان يوم القيمة نادى منادي الا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم
محمد الا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته
محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى

قلوب

قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه الصلوة والسلام فاصطفاه لنفسه
فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفصيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة
الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن
خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال تعالى والنجم اذا هوى
الى قوله من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه
السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد
نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير
الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو
بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد
بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة
التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل بإناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت

الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي
ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير •
ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله
عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا
الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا • ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر
مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل
يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه • ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا
ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا
يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين
موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك

خمسون

خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له
عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي رحمه الله جوّد ثابت رضي الله عنه هذا الحديث عن أنس ما شاء
ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا
سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت
عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث
الإسراء كما رواه الناس فجوّد في القصتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى
سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من هناك
فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه
قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها
تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات وحديث
ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها

كنا نفعله في عرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي
الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وعن أنس ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى تغشيها ألوان لا أدري ما هي قال
ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر
مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني في جماعة
من الأنبياء فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن
النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه
ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم
الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم • وهم
إبرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على
ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل
علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا
وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه
عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وانتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما

يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من
طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها
نور وغشيتها الملائكة فقال وهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له
الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول
النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك
فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات • وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى الاية راى جبريل في
صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في

وسدرة المنتهى شجرة في الجنة ينتهي اليها اعمال العباد او ينتهي اليها علم الخلائق من الملائكة والرسل وارباب ... والاعتبار ... على باب السادس

السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا
الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن ابي ابنه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبياء ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما
اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها
البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله
ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب
الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك
اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا
وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة
حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السما فيهم آدم
ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم راويه اكمل الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله
عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء كيف شاء ومتى
شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • وقوله في هذا الحديث
الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته •

وجبروته

وَجَبَرُوتِهِ • وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدِيثِ قَوْلُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمَلَكِ الَّذِي
خَرَجَ مِنْ وَرَائِهِ إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ فَدَلَّ أَنَّ
هَذَا الْحِجَابَ لَمْ يَخْتَصَّ بِالذَّاتِ • وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ كَعْبٍ فِي تَفْسِيرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى قَالَ
إِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ وَعِنْدَهَا يَجِدُونَ أَمْرَ اللهِ لَا يُجَاوِزُهَا عِلْمُهُمْ • وَأَمَّا قَوْلُهُ
الَّذِي يَلِي الرَّحْمَنَ فَيُحْمَلُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَيْ يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَنِ أَوْ أَمْرًا مَا مِنْ عَظِيمِ
آيَاتِهِ أَوْ مَبَادِئِ حَقَائِقِ مَعَارِفِهِ مِمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ أَيْ
أَهْلَهَا • وَقَوْلُهُ فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ سَمِعَ فِي
هَذَا الْمَوْطِنِ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وَلَكِنْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ
أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَيْ وَهُوَ لَا يَرَاهُ حُجِبَ بَصَرُهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ •
فَإِنْ صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْطِنِ
بَعْدَ هَذَا أَوْ قَبْلَهُ وَرُفِعَ الْحِجَابُ عَنْ بَصَرِهِ حَتَّى رَآهُ وَاللهُ أَعْلَمُ فَصْلٌ ثُمَّ اخْتَلَفَ
السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ هَلْ كَانَ إِسْرَاؤُهُ بِرُوحِهِ أَوْ جَسَدِهِ عَلَى ثَلَاثِ مَقَالَاتٍ • فَذَهَبَتْ
طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ رُؤْيَا مَنَامٍ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ
وَوَحْيٌ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ • وَحُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ خِلَافُهُ وَإِلَيْهِ أَشَارَ
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ •
وَمَا حَكَوْا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَا فَقَدْتُ جَسَدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَوْلُهُ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ وَقَوْلُ أَنَسٍ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ • وَذَكَرَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ
فِي آخِرِهَا فَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْمُسْلِمِينَ
إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَفِي الْيَقَظَةِ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ • وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُمَا وَجَابِرٍ وَأَنَسٍ وَحُذَيْفَةَ وَعُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَبِي حَبَّةَ الْبَدْرِيِّ
وَابْنِ مَسْعُودٍ وَالضَّحَّاكِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَابْنِ شِهَابٍ

وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عايشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين • وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين •
وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذى وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له
بالاسرا اليه • قال هولا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى
لذكره فيكون ابلغ في المدح • ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه • وانكر ذلك حذيفة بن
اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله
والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرا بالروح والجسد في القصة كلها •
وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده • وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى • ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال
يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبيا ببيت المقدس في رواية انس
او في السما على ما روى غيره • وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقايه الانبيا

فيها

فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي
إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن رضي الله عنه فيه بينا أنا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا فقال في
الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق
وعن أم هانئ رضي الله عنها ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبّنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة
كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم
الآن كما ترون وهذا بيّن في أنه بجسمه وعن أبي بكر رضي الله عنه من رواية شداد
ابن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل عليه السلام حملني إلى المسجد
الأقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة
أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلث
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
أبي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل
جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي
وعن أنس رضي الله عنه أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن

نائم

في

أبي هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن
أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه. ونحوه
عن جابر. وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الإسراء عنه
عليه السلام أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل

في إبطال حجج من قال إنها نوم. احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
إلا فتنة للناس فسماها رؤيا قوله قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه
لا يقال في النوم أسرى. وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص
إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه
من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا
في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس
الناس في ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما.
وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم
استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم
أو أول حمله والإسراء به وهو نائم صلى الله عليه وسلم وليس في الحديث أنه كان
نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام.
فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون أن استيقظت
وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات
والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام. ووجه ثالث
أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه. ولكنه أسري بجسده

فقلنا

من

وقلبه

وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض
أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له
في هذا الإسرا حالات وجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا على هيئة النائم عن
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم
وربما قال مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وفي رواية هدبة عنه صلى الله
عليه وسلم بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وذهب بعضهم إلى أن هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث
إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث
الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث
قبل أن يبعث والإسرا بالإجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع
في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم
لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث • وأما
قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة
لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الإسرا متى كان فإن الإسرا كان في أول الإسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله عنها في الهجرة
بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسرا لخمس قبل الهجرة • وقيل قبل الهجرة بعام •
والأشبه أنه لخمس • والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك

عايشة رضي الله عنها دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على
خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وأيضا
فليس حديث عايشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم
هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عايشة رضي الله عنها
ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسمه لإنكارها أن يكون رؤيا لربه رؤيا
عين ولو كانت عندها منامًا لم تنكره فإن قيل فقد قال الله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا
مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما
رأته عينه فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فأنكرته عايشة رضي الله عنها حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد
الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم
ابن ثابت عن أبيه عن جده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا
وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعايشة رضي الله عنها يا أم
المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك
بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار
الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة رضي الله عنها وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم إنما رأى جبريل واختلف

عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رآه بعينه وروى عطا عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهم يسأله هل رأى محمد ربه تعالى فقال نعم والاشهر عنه انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه عليهما السلام وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى وذكر الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه

والصحيح ان لله سبحانه مرتبة الالوهية ومرتبة الربوبية ومرتبة الالوهية لا يراها احد لا في الدنيا ولا في الآخرة واما مرتبة الربوبية فيجوز ان يراها بعض الانبياء عليهم السلام في الدنيا واما في الآخرة فيراها كل من دخل الجنة كذا ذكره بعض [illegible] [illegible] اجماع اهل السنة [illegible] رؤية الله تعالى [illegible] مرتبة الالوهية [illegible]

رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير
لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه
وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام • وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة
من أصحابه إنه رأى الله عز وجل ببصره وعيني رأسه • وقال كل آية أوتيها
نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي نبينا مثلها • وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية • ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امتراء
فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل
نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الله تعالى إلا جائزا
غير مستحيل • ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من
علمه الله • فقال له الله تعالى • لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي •
ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل • وكل
هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس
في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية إذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد

استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل لا تدركه الأبصار
وإنما يدركه المبصرون • وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية وقوله تبت
إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني
في الدنيا إنما هو تأويل • وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق
موسى عليه السلام وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع إليه سبيل • وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال
أبو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في
الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة
ركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت مثل هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في
الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة رزقوا أبصارا
باقية رأوا الباقي بالباقي • وهذا كلام حسن مليح • وليس فيه دليل على
الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك
ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن

لح
معناها

ح
ثابتة

الأثر ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى
ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله تعالى
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني • ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا • وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مزية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع
وأما وجوبه لنبينا عليه الصلوة والسلام والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه
قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال
لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث
معاذ محتمل للتأويل • وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي ذر الآخر
مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني
أراه • وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه
أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث
الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين •
وتلى ثم دنا فتدلى والله تعالى قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب

او لكن

أو كيف شاء لا إله غيره. فإن ورد حديث نص بيّن في هذا الباب اعتقد ووجب
المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يردّه والله الموفق. **فصل** وأما
ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فأوحى إلى عبده
ما أوحى. إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل
إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا الشذوذ منهم **فذكر** عن جعفر بن محمد الصادق رضي
الله عنهم قال أوحى الله إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض
المتكلمين أن محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الإسراء **وحكي** عن الأشعري **وحكوه**
عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون **وذكر** النقاش عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قصة الإسراء **عنه** عليه الصلوة والسلام في قوله تعالى ثم دنا فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي عز وجل وهو يقول
ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن **وفي** حديث أنس في الإسراء نحو منه **وقد** احتجوا
في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء. فقالوا هي ثلثة أقسام. من وراء حجاب كتكليم موسى
عليه السلام. وبإرسال الملئكة كحال جميع الأنبياء عليهم السلام وأكثر أحوال
نبينا صلى الله عليه وسلم. الثالث قوله تعالى وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
إلا المشافهة مع المشاهدة **وقد** قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله
عليه وسلم دون واسطة **وقد ذكر** أبو بكر البزار عن علي رضي الله عنه وحديث
الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية فذكر
فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر
أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك. ويجيء الكلام في مشكل هذا
الحديث في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول الفصل من الباب منه

وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه عليهم السلام جائز
غير ممتنع عقلاً • ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر حمل عليه
وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده
بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل
واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله تعالى
دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى • فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام او مختص باحدهما من
الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو
محمد عليه السلام دنا فتدلى من ربه • وقيل معنى دنا قرب • وتدلى زاد في
القرب • وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس
رضي الله عنهما • هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره
وحكمه وحكى النقاش عن الحسن • قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته • قال وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه • قال فارقني جبريل عليه
السلام وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس رضي الله عنه
في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة •

ورفع

وذكر حديث الإسرا وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه
فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه
كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما أودع قلبه من المعرفة
والإيمان فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه اعلم أن ما وقع من إضافة
الدنو والقرب هنا من الله أو الى الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله
عليه وسلم من ربه تعالى وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له
مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا تعالى
الى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان
قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله تعالى
قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا
كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب
وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول
في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة
قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول فصل

في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو
الفضل وابو الحسين حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن
الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية
ابن زحر عن الربيع بن انس عن انس في لفظ هذا الحديث فانا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا
شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربه ولا فخر ويطوف علي الف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن
ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم على يمين العرش
ليس لاحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول
من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر واول
شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء الحمد
يوم القيمة ولا فخر واول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من
يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس رضي الله عنه انا اول
الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم

أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين
والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه
عليه السلام قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة وفي
حديث آخر ما ترضون أن يكون إبرهيم وعيسى فيكم يوم القيامة
ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة أما إبرهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي
فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى
وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به • وقوله عليه
السلام أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة
ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون
غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه • والسيد هو الذي يلجأ
الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه
أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار • والملك لله تعالى في الدنيا والآخرة • لكن في الآخرة انقطع دعوى
المدعين لذلك في الدنيا • وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع
الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن
أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم
القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت
لا أفتح لأحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه
أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن
أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة

اللبن صح

وعن ثوبان مثله قال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن
عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر
وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو
برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء وجندب وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر
وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين
بحبيب الله أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت أحمد
حدثنا أبو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي أبو
الوليد حدثنا عبد بن أحمد حدثنا أبو الهيثم حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح حدثنا
أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر وإن
صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا
بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه
وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت

كلامكم

كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو
كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين
ولا فخر وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية أنت حبيب
الرحمن قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه اختلف في تفسير
الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله تعالى الذي ليس في
انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا
القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم
خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما
لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها ابرهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى في النار
فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة
المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك
تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا
والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال الله تعالى

ان بين ازواجكم واولادكم عدوا لكم • ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة •
فاذا اتسمهما ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عن من دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب
او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته • او لاستصفائه
لهما واستصفا قلوبهما عمن سواه حتى لم تخاللهما حب لغيره • ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عنده معنى قوله عليه السلام
لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف
العلما ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما
بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم
بالخلة ومحمدا بالمحبة عليهما السلام • وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق
المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها رضي الله عنهم واسامة وغيرهم واكثرهم
جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا عليه السلام ارفع
من درجة الخليل ابرهيم عليه السلام • واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح المنه الميل والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما
قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله

والانقطاع الى الله والإعراض عن غير الله وصفاء القلب بالله واخلاص
الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم خلقه
القرآن يرضاه يرضى ويسخطه يسخط ومن هذا عبّر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ۞ واذا ما سكت كنت الغليلا

وذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما
دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى
بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية حكى اهل التفسير ان هذه
الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على انفهم هذه الاية قل
اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته عز وجل
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين
وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن
نذكر منه طرفا يهتدي الى ما بعده وذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من
قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض • والحبيب يصل
لحبيبه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى • وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي •
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك الاية • والخليل قال ولا تخزني • والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال • والخليل قال في المحنة حسبي الله

والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله. والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال. والخليل قال واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام. والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت. وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من
تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا. **فصل** في تفضيله عليه السلام بالشفاعة والمقام المحمود. قال الله
تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا. أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني
فيما كتب لي بخطه. حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي
حدثنا أبو زيد المروزي وأبو أحمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد
إسمعيل قال حدثنا إسمعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت
ابن عمر رضي الله عنهما يقول إن الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل أمة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. وعن أبي هريرة
رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله تعالى عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقال صلى الله عليه وسلم هي الشفاعة. وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول
فذلك المقام المحمود الذي وعده. وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه السلام أنه
قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون.

المحمود

ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام المحمود الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابي موسى رضي الله عنه عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة تبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا ومجاهد ذكره علي بن الحسين رضي الله

عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت
بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام
محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس رضي الله عنه نحوه وقال
فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض وقال يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس
بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم
فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملئكته وعلمك اسما كل
شي اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني
عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن
فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية
انس ويذكر خطيئته التي اصاب سواله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد
كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل
الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فيذكر مثله

ويذكر

ويذكر ثلث كذبات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه
كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس نفسي نفسي
ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته
وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم بين
يدي ربي فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله وفي رواية يفتح الله
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال وفي رواية
أبي هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع
فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب
عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من
الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وقال مكانه ثم أخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول
يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة
من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الأول وقال من كان فيه مثقال حبة من خردل فأقول فأفعل ثم أرجع
وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل
فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع
وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك
إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال

يلهمنيها
أدنى

لا اله الا الله ومن رواية قتادة رضي الله عنه عنه قال فلا ادري في الثالثة
او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه
الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة رضي الله عنهم مثله
قال فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتاتي الامانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا صلى الله
عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرحال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه
فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام ثم
يوضع للانبياء عليهم السلام منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
في امتك من نقمة • ومن طريق زياد النميري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد
الناس يوم القيمة ولا فخر • ومعي لواء الحمد يوم القيمة • وانا اول من تفتح له الجنة
ولا فخر • فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم • ومن رواية انس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في
الارض من حجر وشجر • فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام

ومقامه

ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعوها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وسلم كثيرا

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا

يدعو بها خ

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي
عليه قالا حدثنا أبو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة
وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من
عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه الوسيلة أعلى درجة في الجنة •
وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في
الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا وعن
عائشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مثله • قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه أمتي • وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس •
وعن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه •
وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه وعن حذيفة
رضي الله عنه فيما ذكر عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى وأعطاني الكوثر نهر
في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى • قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم فصل فإن قلت

الأحاديث الواردة

إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل
الأنبياء فما معنى الحديث الوارد بنهيه عن التفضيل كقوله عليه السلام فيما
حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي أخبرنا الجلودي
أخبرنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
عن قتادة قال سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد
أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال يعني الله ما ينبغي لعبدي الحديث وفي حديث أبي هريرة رضي
الله عنه في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي
رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل
من يونس بن متى وعن أبي هريرة رضي الله عنه ومن قال أنا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن أحدكم
أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية
فقال ذاك إبرهيم فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات أحدها
أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل
إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله
لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه صلى الله عليه وسلم قاله على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث أن لا

تنقص صح

نفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى نقص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس
عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال الله تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك
المشحون . فظن أن لن نقدر عليه . فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء
فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد لا تتفاضل وإنما التفاضل في زيادة
الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف . وأما النبوة في
نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها . ولذلك منهم
رسل . ومنهم أولو عزم من الرسل . ومنهم من رفع مكانا عليا . ومنهم من أوتي
الحكم صبيا . وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات . ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات . قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية .
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض أهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال إما أن تكون آياته
ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل
وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه
من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من أوهام من يسبق
إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل نفسه أي لا يظن

أو المطايلة

إذ ذهب مغاضبا

أحد

أحد وإن بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل
ما حكى الله عنه فإن درجة النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه
عنها حبة خردل ولا أدنى. وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء
الله تعالى. فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض. فصل
في أسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا أبو عمران موسى بن
أبي تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا القاسم
ابن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن
محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء
أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب. وقد سماه الله في كتابه محمدا وأحمد.
فمن خصائصه تعالى له صلى الله عليه وسلم أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء
ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل
مبالغة من كثرة الحمد. فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد
وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم
القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته
في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد. ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو أن الله جل اسمه حمى أن
يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء
فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله

حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد
من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا
يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم
هو والله أعلم حيث يجعل رسالته • وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي •
ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري • ومحمد بن سفين بن مجاشع • ومحمد بن
حمران الجعفي • ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم • ويقال أول من سمي محمد بن
سفين • واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد • ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به
أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في
أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وأما قوله
عليه السلام وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه
ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات من
اتبعه وقوله عليه السلام وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي • أي
على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء • وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا ومعنى قوله عليه السلام لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة
في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي
عنه عليه السلام لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي • وقد قيل
في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر يا هادي • وفي يس يا سيد حكاه السلمي

عن

عن الواسطي وجعفر بن محمد • وذكر غيره ان عشرة اسما أ وذكر الخمسة التي في
الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة • ورسول الملاحم •
وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم • والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
اروه وارى ان صوابه قثم بالثا كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير •
وقد وقع ايضا في كتب الانبيا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه
عليه السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه • والمدثر •
والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان
عليه السلام يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفى • والحاشر •
ونبي التوبة • ونبي الملحمة • ويروى المرحمة والرحمة • وكل صحيح ان شا الله
تعالى • ومعنى المقفى معنى العاقب • واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
والراحة • فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما
وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة • ويهديهم الى صراط
مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال عليه السلام في صفة امته •
انها امة مرحومة • وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة •
اي يرحم بعضهم بعضا • فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته •
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم • وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحما • وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من
في السما واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة رضي الله عنه مثل حديث

إلى موسى. وفيه ونبي الرحمة. ونبي التوبة. ونبي الملاحم. وروى الحربي
في حديثه عليه السلام أنه قال أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع
قال والقثوم الجامع للخير. وهذا اسم هو في أهل بيته عليه السلام معلوم
وقد جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى
ما ذكرناه. كالنور. والسراج المنير. والمنذر. والنذير. والمبشر. والبشير
والشاهد. والشهيد. والحق المبين. وخاتم النبيين. والرؤوف الرحيم. والأمين
وقدم الصدق. ورحمة للعالمين. ونعمة الله. والعروة الوثقى. والصراط
المستقيم. والنجم الثاقب. والكريم. والنبي الأمي. وداعي الله. في أوصاف
كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه
وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته. بالمصطفى.
والمجتبى. وأبي القاسم. والحبيب. ورسول رب العالمين. والشفيع المشفع.
والمتقي. والمصلح. والطاهر. والمهيمن. والصادق. والمصدق. والهادي.
وسيد ولد آدم. وسيد المرسلين. وإمام المتقين. وقائد الغر المحجلين. وحبيب الله
وخليل الرحمن. وصاحب الحوض المورود. والشفاعة. والمقام المحمود.
وصاحب الوسيلة. والفضيلة. والدرجة الرفيعة. وصاحب التاج.
والمعراج. واللواء. والقضيب. وراكب البراق. والناقة. والنجيب. وصاحب
الحجة. والسلطان. والخاتم. والعلامة. والبرهان. وصاحب الهراوة.
والنعلين. ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب. المتوكل. والمختار. ومقيم
السنة. والمقدس. وروح الحق. وهو معنى البارقليط في الإنجيل.
وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل. ومن أسمائه
صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ. ومعناه طيب طيب.

والمصدوق

وحمطايا

وَخِمِطَايَا. وَالخَاتِمُ وَالخَاتَمُ حَكَاهُ كَعْبُ الأَحْبَارِ. قَالَ ثَعْلَبٌ فَالخَاتِمُ الَّذِي خَتَمَ الأَنْبِيَاءَ وَالخَاتَمُ أَحْسَنُ الأَنْبِيَاءِ خَلْقًا وَخُلُقًا. وَيُسَمَّى بِالسُّرْيَانِيَّةِ مُشَفَّحٌ وَالمُنْحَمَنَّا وَاسْمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا فِي التَّوْرَاةِ أَحِيدُ رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ. وَمَعْنَى صَاحِبِ القَضِيبِ أَيِ السَّيْفِ وَقَعَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا فِي الإِنْجِيلِ. قَالَ مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ. وَقَدْ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ القَضِيبُ المَمْشُوقُ الَّذِي كَانَ يُمْسِكُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الآنَ عِنْدَ الخُلَفَاءِ وَأَمَّا الهِرَاوَةُ الَّتِي وُصِفَ بِهَا فَهِيَ فِي اللُّغَةِ العَصَا. وَأُرَاهَا وَاللهُ أَعْلَمُ العَصَا المَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الحَوْضِ أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ بِعَصَايَ لِأَهْلِ اليَمَنِ. وَأَمَّا التَّاجُ فَالمُرَادُ بِهِ العِمَامَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ إِلَّا لِلْعَرَبِ وَالعَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ وَأَلْقَابُهُ وَأَوْصَافُهُ وَالقَابُهُ وَسِمَاتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الكُتُبِ كَثِيرَةٌ. وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا مَقْنَعٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَصْلٌ فِي تَشْرِيفِ اللهِ تَعَالَى لَهُ بِمَا سَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ العُلَى قَالَ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ رَحِمَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ مَا أَحْرَى هَذَا الفَصْلَ بِفُصُولِ البَابِ الأَوَّلِ لِانْخِرَاطِهِ فِي سِلْكِ مَضْمُونِهَا وَامْتِزَاجِهِ بِعَذْبِ مَعِينِهَا لَكِنْ لَمْ يَشْرَحِ اللهُ الصَّدْرَ لِلْهِدَايَةِ إِلَى اسْتِنْبَاطِهِ وَلَا أَنَارَ الفِكْرَ لِاسْتِخْرَاجِ جَوْهَرِهِ وَالتِقَاطِهِ إِلَّا عِنْدَ الخَوْضِ فِي الفَصْلِ الَّذِي قَبْلَهُ فَرَأَيْنَا أَنْ نُضِيفَهُ إِلَيْهِ وَنَجْمَعَ بِهِ شَمْلَهُ فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ كَثِيرًا مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِكَرَامَةٍ خَلَعَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْمَائِهِ كَتَسْمِيَتِهِ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ بِعَلِيمٍ وَحَلِيمٍ. وَإِبْرَاهِيمَ بِحَلِيمٍ. وَنُوحًا بِشَكُورٍ وَعِيسَى وَيَحْيَى بِبَرٍّ وَمُوسَى بِكَرِيمٍ وَقَوِيٍّ وَيُوسُفَ بِحَفِيظٍ عَلِيمٍ. وَأَيُّوبَ بِصَابِرٍ. وَإِسْمَاعِيلَ بِصَادِقِ الوَعْدِ كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الكِتَابُ العَزِيزُ مِنْ مَوَاضِعِ ذِكْرِهِمْ وَفَضَّلَ مُحَمَّدًا نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ حَلَّاهُ مِنْهَا فِي الكِتَابِ العَزِيزِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ

وفي كتاب الشمائل ... انه لما ولد له ابرهيم جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابرهيم

منها

أسمائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر واختصار الذكر
إذ لم نجد من جمع فوق اثنين ولا من تفرغ فيها إلا لبعض فصلين. وحررنا
منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما. ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها
وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه. فمن أسمائه
تعالى الحميد. ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا
بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات. وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا
وأحمد. فمحمد بمعنى محمود. وكذا وقع اسمه في زبور داود. وأحمد بمعنى أكبر
من حمد وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله.
وشق له من اسمه ليجله. فذو العرش محمود وهذا محمد ومن أسمائه تعالى
الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب. وسماه في كتابه بذلك فقال تعالى
بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين. ومعنى الحق الموجود المحقق
أمره وكذلك المبين. أي البين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه. فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين. وقال تعالى وقل إني أنا النذير
المبين. وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم. وقال تعالى فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم. قيل محمد عليه السلام. وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل.
والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول. والمبين البين أمره ورسالته أو
المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال عز وعلا لتبين للناس ما نزل إليهم
ومن أسمائه تعالى النور. ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض
بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه صلى الله عليه وسلم نورا.
فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. قيل محمد وقيل القرآن.

وقال

وقال تعالى فيه وسراجا منيرا. سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه
صلى الله عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا وقال
تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول ومن أسمائه تعالى الكريم
ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث
المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه كريما صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى إنه
لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم
ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك
لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التورية عن إسمعيل وسيلد عظيما
لأمة عظيمة وهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه
المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي
صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد أيها الجبار
سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره
أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظم خطره ونفى عنه في القرآن جبرية
التكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى
الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي
صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره

بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله عز وجل. قال النبي صلى الله عليه وسلم
خبير بالوجهين المذكورين من قبل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله
تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به
ومن أسمائه تعالى الفتاح. ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق
والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر. وسمى
الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من
رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح
لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية
الأمة أو المبتدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت أول
الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث. ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور.
ومعناه المثيب على العمل القليل. وقيل المثني على المطيعين. ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه السلام فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك نفسه أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن
شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك

ما لم

مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا • وَقَالَ تَعَالَى وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ
لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ
فِي الْبَعْثِ • وَفُسِّرَ بِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى • وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ تَقَدَّمَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ مِنْهُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ • وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ •
وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ • وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ •
وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُ الرُّسُلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْقَوِيُّ وَذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ • وَمَعْنَاهُ الْقَادِرُ وَقَدْ وَصَفَهُ
اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ قِيلَ مُحَمَّدٌ وَقِيلَ جِبْرِيلُ •
وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا اسْمُهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى وَمَعْنَاهُمَا
النَّاصِرُ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْعَفُوُّ وَمَعْنَاهُ الصَّفُوحُ وَقَدْ
وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ • وَأَمَرَهُ
بِالْعَفْوِ فَقَالَ خُذِ الْعَفْوَ • وَقَالَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ • وَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ سَأَلَهُ
عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى خُذِ الْعَفْوَ فَقَالَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ • وَقَالَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَكِنْ
يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْهَادِي • وَهُوَ بِمَعْنَى تَوْفِيقِ اللهِ لِمَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ

وبمعنى الدلالة والدعاء. قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم. واصل الحجيم من الميل. وقيل من التقديم. وقيل في
تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم. وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا. فالله تعالى مختص بالمعنى الاول. قال تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء. وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه
تعالى المؤمن المهيمن. وقيل هما بمعنى واحد. فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل الموحد نفسه. وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في
الاخرة من عذابه. وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين. انه اسم من اسماء الله تعالى. ومعناه معنى
المؤمن. وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ. والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن. وقد سماه الله تعالى امينا. فقال تعالى مطاع ثم
امين. وكان عليه السلام يعرف بالامين. وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس عمه رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله.
ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق. قيل المراد يا ايها
المهيمن. قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري. وقال تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين. اي يصدق. وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن. ومن اسمائه تعالى القدوس. ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث. وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس. وروح القدس. ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام

سبوح

في أسمائه عليه السلام المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أو الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من
الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهر من الأخلاق الذميمة
والأوصاف الدنية ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته
ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه
ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه وها أنا أذكر
نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما
تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه
عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه
وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه
به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته
تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم
لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل
بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من

إثبات التوحيد

قال من العلماء العارفين المحققين • التوحيد إثبات ذات غير مشبهة بالذوات
ولا معطلة من الصفات • وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي
مقصودنا • تعالى الحق ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ • وجلت الذات القديمة أن تكون لها
صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة • وهذا
كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو
القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا لتزيد بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص
حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا
يخرج عن هذه الوجوه • وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم
أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني
من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض
فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد أن تعلم
أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج • وصنعه لها بلا امتزاج • وعلة كل شيء صنعه
ولا علة لصنعه • وما تصور في وهمك فالله عز وعلا بخلافه • وهذا كلام عجيب
نفيس محقق والفصل الأخير تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير
لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • والثالث تفسير لقوله تعالى إنما
قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون • ثبتنا الله وإياك على التوحيد
والإثبات والتنزيه • وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل

والتشبيه

والتشبيه بمنه ورحمته **الباب الرابع** فيما أظهره الله تعالى على يديه
من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات **قال القاضي**
أبو الفضل رحمه الله حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين
لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم
وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته
ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح
الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الأئمة وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد
سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
صلى الله عليه وسلم وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به **فروينا**
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما
استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب **حدثنا** أبو القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن
سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام

الحديث وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته
فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره أن ضمادا
لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر
فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو
ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر
ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى
تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندي والله لقد دلني على
هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا
كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود وأشهد أنه نبي صلى الله عليه وسلم وقال نفطويه في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال
ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد
آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن

وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على
خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتدا ودون واسطة لو شا كما حكي عن سنته في بعض
الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا وجايز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون
تلك الواسطة اما من غير البشر كالملايكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا
مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت
الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا
به لان المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله عز
وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا
كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى
في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو
الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه
على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول
او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبيا بما اطلعه الله عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه
ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في
حقه موتلفان صلى الله عليه وسلم واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول
بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله تعالى له بالابلاغ الى من
ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا
تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزم الامة اتباعه واختلف

[Margin note:] [illegible] مطابقة المستخلف والمستخلف عليه [illegible] علم آدم [illegible] علم ضروري في الاسماء كلها اي الالفاظ الدالة على الحقايق [illegible]

العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء
وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا
وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن
تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس
بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن
لم يأت به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه
الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليهم وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه و[سلم]
ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند
المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتلقى ما يأتيه من ربه تعالى بعجل سمي وحيا وسميت انواعات الالهامات وحيا
تشبيها بالوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد
كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا
اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه

قوله

قوله تعالى وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أي ألقى في قلبها • وقد قيل ذلك في قوله تعالى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا • أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله تعالى دل على صدق نبيه عليه السلام كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية • وإخراج ناقة من صخرة • وكلام شجرة • ونبع الماء من الأصابع • وانشقاق القمر • مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته • وبراهين صدقه • من هذين النوعين معا • وهو صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزة • وأبهرهم آية • وأظهرهم برهانا • كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة • ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات • ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين فقسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند

جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا. وإنما جاء اعتراض
الجاحد من الحجة به فهو في نفسه. وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه. قال بعض أئمتنا ويجري
هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق
عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في
جريان معانيها على يديه. ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه
صلى الله عليه وسلم عجائب. وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى
وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة قوله صدقت. فقد
علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها
كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته. والقسم الثاني ما لم
يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين. نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء
من بين الأصابع وتكثير الطعام. ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا
في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا. قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله ورضي عنه وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات
المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع. أما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل. وجاء برفع
احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل

عُرَى الدِّينِ ولا يلتفت إلى مخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعرا سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام
رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها
من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وهو غير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو
معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما بيناه
وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور
الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام
نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور
الأزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على
توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا
وللطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه
بما يكون وكان معلوم من آياته صلى الله عليه وسلم على الجملة بالضرورة وهذا

حتى لا يغطا عليه. وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهما الله. وما عندي أوجب قول القايل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف، وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه. ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر، فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة. وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها. وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك رحمه الله بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلوة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه، وأن الشافعي رضي الله عنه يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس. وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح، وأن أبا حنيفة رضي الله عنه يخالفهما في هذه المسايل. وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواهم. وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى.

فصل في إعجاز القرآن. اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه. أولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة

عمن سواه صح

اللسان

اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل
الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوصلون ويتوسلون ويرفعون ويضعون ويطوقون من أوصافهم
أجمل من سمط اللآلي يخدعون الألباب فيأتون من ذلك بالسحر الحلال
ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع
الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير
والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فراعهم الرسول بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق

على كثرة فوائده ومختار لفظه • وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالاً • وأشهر في الخطابة رجالاً • وأكثر في
السجع والشعر سجالاً • وأوسع في الغريب واللغة مقالاً • بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون • صارخاً بهم في كل حين • ومقرعاً لهم بضعاً
وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين • أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين • وإن كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا • وقل لئن
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية •
وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات • وذلك أن المفترى أسهل • ووضع
الباطل والمختلق على الاختيار أقرب • واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان
أصعب • ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد • وللأول
على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد • فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
أشد التقريع • ويوبخهم غاية التوبيخ • ويسفه أحلامهم • ويحط أعلامهم •
ويشتت نظامهم • ويذم آلهتهم وآباءهم • ويستبيح أرضهم • وديارهم وأموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته • محجمون عن مماثلته • يخادعون أنفسهم
بالتشغيب بالتكذيب • والإغراء بالافتراء • وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر •
وسحر مستمر • وإفك افتراه • وأساطير الأولين • والمباهتة • والرضا بالدنية •
كقولهم قلوبنا غلف • وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب • ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون • والادعاء
مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا • وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا • ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره
لجميعهم • وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم • وإلا فلم يخف على أهل الميز

منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم • ولا جنس بلاغتهم • بل ولّوا عنه مدبرين •
وأتوا مذعنين • من بين مهتدٍ ومن بين مفتونٍ • ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية • قال والله
إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة • وإن أسفله لمغدق • وإن أعلاه لمثمر •
ما يقول هذا بشر • وذكر أبو عبيد أن أعرابيًا سمع رجلًا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدتُ لفصاحته • وسمع آخر رجلًا يقرأ فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيًا • فقال أشهد أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام • وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يومًا نائمًا في المسجد فإذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلًا من أسرى المسلمين يقرأ آية من
كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال
الدنيا والآخرة • وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية •
وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية • فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت
أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه
الآية • فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين •
فهذا نوع من إعجازه • منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق • والصحيح
من القولين • وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم
ضرورة • وكونه عليه السلام متحديًا به معلوم ضرورة • وعجز العرب عن
الإتيان به معلوم ضرورة • وكونه في فصاحته خارقًا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة • وسبيل من ليس من أهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته • واعتراف المقرين بإعجاز

ج بطارقة وهو الأمير دون القائد ومقدم الجيوش وأميرها

بلاغته • وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة • وقوله
تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب • وقوله تعالى
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم •
وقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية • وقوله تعالى
فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية • وأشباهها
من الآي • بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها • وكثرة
معانيها • وديباجة عبارتها • وحسن تأليف حروفها • وتلاؤم كلمها
وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة • وفصولا جمة • وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها • وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها • ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف • التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام • ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط
الكلام بعضه ببعض • والتئام سرده • وتناصف وجوهه • كقصة يوسف
عليه السلام على طولها • ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها •
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها • وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها • ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها •
فصل الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب • والأسلوب
الغريب • المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء
عليه • ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه • ولم يوجد قبله
ولا بعده نظير له • ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه • بل حارت فيه عقولهم •
وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر
أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر • ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد

ابن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما
منكم احد اعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا •
وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال إن وفود
العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون
قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيا إلا وأنا أعرف أنه باطل
وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وأبيه وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجه • والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس • فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا
الآيات • وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم
أترك شيا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما
سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة • وقال النضر بن
الحرث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه ووصفه أخاه أنيسا
فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في
الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله
عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقرا الشعر فلم
يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم

لكادوا يؤمنون. والأخبار في هذا كثيرة. والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها. وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه. والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا. ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه. فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة. وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا

وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع
بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام
وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام • وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد
ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره • فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم • ولا أتوا بنطفة من معين مياههم • مع طول الأمد • وكثرة العدد •
وتظاهر الوالد وما ولد • بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا • فهذان
نوعان من إعجازه **فصل** الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من
الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين • وقوله تعالى وهم من
بعد غلبهم سيغلبون • وقوله تعالى ليظهره على الدين كله • وقوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية • وقوله
تعالى إذا جاء نصر الله إلى آخرها • فكان جميع هذا كما قال • فغلبت الروم فارس
في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا • فما مات عليه السلام
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام • واستخلف المؤمنين في
الأرض • ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى
المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها • وقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون • فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير
كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه • والحمد لله تعالى •

بنطفة

ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر • وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بأيديكم الآية • وقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية •
وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار الآية •
فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم
وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول • وقوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
الآية • وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم
آخرين الآية • وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
إلى قوله وطعنا في الدين • وقد قال مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده
المؤمنون يوم بدر • وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون
أن غير ذات الشوكة تكون لكم • ومنه قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين •
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه رضي الله عنهم
بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا • وقوله تعالى والله يعصمك من الناس • فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله • والأخبار بذلك معروفة صحيحة •

فصل الوجه الرابع ما أنبأه به من أخبار القرون السالفة والأمم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ
من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله
عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته
وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم • وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم
أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم

ولا جهلها جاهل انه اخذ منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه عن هذا
فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبيا مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين
ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبا وبدء الخلق وما فى التورية والانجيل
والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن
شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على
شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه السلام وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذى القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما
حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم
وقوله تعالى ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل وغير ذلك من امورهم
التى نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر
ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وصدق مقالته
واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابنى اخطب
وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك
لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار
ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده

ولم يتمنَّ واحدًا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدا صحيحًا ولا سقيمًا من صحفه • قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الآية • فصل هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيّنة لا نزاع فيها ولا مرية • ومن الوجوه البيّنة في إعجازه من غير هذه الوجوه آيٌ وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة الآية • قال أبو إسحق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدًا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غصّ بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزّعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحى إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته • قال أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب إليه • وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم • وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قومًا نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم • ومثله قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا • فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان

عند الله

وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في
التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره
وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً كما
قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له • ولهذا قال عليه السلام إن القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم • وأما المؤمن فلا تزال روعته به
وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه
به • قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله • وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية • ويدل
على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجاء
والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم
من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر **وحكي** في الصحيح
عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخالقون • إلى قوله المسيطرون • كاد قلبي أن يطير **وفي رواية** وذلك
أول ما وقر الإيمان في قلبي **وعن** عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله
عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه • فتلى عليهم حم فصلت إلى
قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في
النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف **وفي رواية** فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ له ملق يديه خلف ظهره

معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه
حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له • وقد حكي عن غير واحد ممن
رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي
ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع ومحا ما عمل • وقال اشهد ان
هذا لا يعارض • وما هو من كلام البشر • وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه
رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها • وينسج
بزعمه على منوالها • قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة
فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه • وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها • والقرآن العزيز الباهرة
اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة سنة (عام)
وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة •
ومعارضته ممتنعة • والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة
علم اللسان • وائمة البلاغة • وفرسان الكلام • وجهابذة البراعة •
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد • فما منهم من اتى بشيء

يؤثر في معارضته • ولا ألف كلمتين في مناقضته • ولا قدر فيه على مطعن
صحيح • ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح • بل المأثور عن كل
من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه • والنكوص على عقبيه • فصل
وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة • منها
أن قارئه لا يمله • وسامعه لا يمجه • بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة •
وترديده يوجب له محبة • لا يزال غضا طريا • وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد • ويعادى إذا أعيد • وكتابنا
يستلذ به في الخلوات • ويؤنس بتلاوته في الأزمات • وسواه من الكتب لا
يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها • ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد • ولا تنقضي عبره • ولا تفنى عجائبه • هو
الفصل ليس بالهزل • لا يشبع منه العلماء • ولا تزيغ به الأهواء • ولا تلتبس
به الألسنة • هو الذي لم تنته الجن حين سمعته إلى أن قالوا إنا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد • ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام
بها • ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم • فجمع
فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم
ببراهين قوية وأدلة بينة • سهلة الألفاظ موجزة المقاصد • رام المتحذلقون
بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها • كقوله تعالى أوليس الذي خلق
السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم • وقال تعالى قل يحييها الذي
أنشأها أول مرة • وقال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا • إلى ما حواه

من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة
ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل هذا القرآن آمرا
وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم
به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى
صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد
ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان
فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب
رضي الله عنه عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى
هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع
كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها
جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن

ولا يتشانا

وصفه

وصفه
رصفه وإيجازه وبلاغته • وأن أتاهم في البلاغة أمره ونهيه • ووعده ووعيده •
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معًا من كلام واحد وسورة
منفردة • ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهدوه • ولم يكن في حيز
المنثور • لأن المنظوم أسهل على النفوس • وأوعى للقلوب • وأسمع في الآذان •
وأحلى على الأفهام • فالناس إليه أميل • والأهواء إليها أسرع • ومنها تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه • وتقريبه على متحفظيه • قال الله تعالى ولقد يسرنا
القرآن للذكر • وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماعة على مرور
السنين عليهم • والقرآن متيسر حفظه للغلمان في أقرب مدة • ومنها
مشاكلة بعض أجزائه بعضًا • وحسن ائتلاف أنواعها • والتئام أقسامها • وحسن
التخلص من قصة إلى أخرى • والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه
وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي • وخبر • واستخبار • ووعد • ووعيد •
وإثبات نبوة • وتوحيد • وتفريد • وترغيب • وترهيب • إلى غير ذلك من فوائد
دون خلل يتخلل فصوله • والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته • وقل رونقه • وتقلقلت ألفاظه • فتأمل أول ص وما جمع
فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم
وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به • والخبر عن اجتماع
ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم • وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والآخرة • وتكذيب الأمم قبلهم • وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم • وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما
تقدم ذكره • ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام •
وأحسن نظام • ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة •

وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الأيمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة • وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضايله لا اعجازه • وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرناها • فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجايبه التي لا تنقضي • والله ولي التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس • قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر • اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته • واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه • اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابي • حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم • وفي بعض طرق الاعمش بمنى • ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود • وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر • ورواه عنه مسروق انه كان بمكة • وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسئلوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك • وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار

هذا

هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم أجمعين قال
علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن أنس رضي الله عنه سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن
يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حرا بينهما ورواه عن
أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد
وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما مجاهد ورواه عن حذيفة أبو
عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم
يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض
أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل
الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما
هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال
ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها
كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم
وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس الهدو والسكون وإيجاف الأبواب وقطع
التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به

فرقتين

بالليل

وَلِذَلِكَ مَا يَكُونُ الكُسُوفُ القَمَرِيُّ كَثِيرًا فِي البِلَادِ وَأَكْثَرُهُم لَا يَعْلَمُ بِهِ حَتَّى يُخْبَر
وَكَثِيرًا مَا يُحَدِّثُ الثِّقَاتُ بِعَجَائِبَ يُشَاهِدُونَهَا مِن أَنْوَارٍ وَنُجُومٍ طَوَالِعَ عِظَامٍ
تَظْهَرُ فِي الأَحْيَانِ بِاللَّيْلِ فِي السَّمَاءِ وَلَا عِلْمَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهَا وَخَرَّجَ الطَّحَاوِيُّ
فِي مُشْكِلِ الحَدِيثِ عَن أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ مِن طَرِيقَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم
كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يُصَلِّ العَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيُّ قَالَ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ
الشَّمْسَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ وَوَقَعَتْ
عَلَى الجِبَالِ وَالأَرْضِ وَذَلِكَ بِالصَّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ قَالَ وَهَذَانِ الحَدِيثَانِ
ثَابِتَانِ وَرُوَاتُهُمَا ثِقَاتٌ وَحَكَى الطَّحَاوِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ كَانَ يَقُولُ لَا يَنْبَغِي
لِمَن سَبِيلُهُ العِلْمُ التَّخَلُّفُ عَن حِفْظِ حَدِيثِ أَسْمَاءَ لِأَنَّهُ مِن عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ وَرَوَى
يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ فِي زِيَادَةِ المَغَازِي رِوَايَتَهُ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ وَالعَلَامَةِ الَّتِي فِي العِيرِ قَالُوا مَتَى تَجِيءُ
قَالَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ اليَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ وَقَدْ وَلَّى
النَّهَارُ وَلَمْ تَجِئْ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةٌ
وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَصْلٌ فِي نَبْعِ المَاءِ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِهِ بِبَرَكَتِهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا الأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا رَوَى حَدِيثَ
نَبْعِ المَاءِ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم
مِنْهُم أَنَسٌ وَجَابِرٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ الفَقِيهُ
رَحِمَهُ اللهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ • حَدَّثَنَا القَاضِي عِيسَى بْنُ سَهْلٍ • حَدَّثَنَا أَبُو القَاسِمِ حَاتِمُ
ابْنُ مُحَمَّدٍ • حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ ابْنُ الفَخَّارِ • حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى • حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ • حَدَّثَنَا يَحْيَى •

إنه

ووقفت

حدثنا

حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا منه قال فرايت الماء
ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زهاء الثلثماية وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا
حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضي الله عنه
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية.
وروي مثله عن انس عن جابر. وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد
ابن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله. وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم

فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو • وقال صلى الله عليه وسلم نادِ بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه • وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امره قال
فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى • وعن الشعبي
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما
معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة كانت معه ووضع اصبعه وسطها
وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين • ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة
لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما
جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من
الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم لهم • فصل • ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك رضي الله عنه في
الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم قد وردوا
العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى
اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس • قال في حديث ابن اسحق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق • ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة

ان نرى ما هاهنا قد بلي جباناً وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديث
انهم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فاما دعا واما
بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين
في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج صلى الله عليه وسلم
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا
بعطن وعن ابي قتادة رضي الله عنه وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا
كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما
ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممداً لاهل مؤتة عند
ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثاً طويلاً فيه ايات ومعجزات للنبي صلى الله
عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة
قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علينا
ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين
حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم
فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير
عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في

المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملؤه قال عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء ثم امر
فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأوا ثوبها وقال صلى الله عليه وسلم اذهبي فانا
لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن
الاكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل
باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة
اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر
ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه
وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب. والحديث في هذا
الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل**
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن
ابن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل
منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
صلى الله عليه وسلم لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث

ابي طلحة

في طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من
أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها
ما شاء الله أن يقول وحديث جابر رضي الله عنه في إطعامه يوم الخندق
ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فأقسم بالله
لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه
عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار
وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي بعدما شبعوا مثل
ما كان في الإناء وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما
خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع. قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة
وثمانون رجلاً وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أتي النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد
آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من
طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون

وَنَصَّابِي الْقَصْعَتَيْنِ تَحَمَّلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ • وَمِثْلُهُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً أَصَابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثْيَةِ مِنَ
الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ وَأَعْلَاهُمُ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ فَجَمَعَهُ عَلَى
نِطَعٍ قَالَ سَلَمَةُ فَحَزَرْتُهُ كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ فَمَا بَقِيَ فِي
الْجَيْشِ وِعَاءٌ إِلَّا مَلَؤُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمَرَنِي النَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَتَبَّعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ فَوُضِعَتْ
بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ إِلَّا أَنَّ
فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذَعَةَ
وَيَشْرَبُونَ الْفَرَقَ فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ
ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ وَقَالَ أَنَسٌ إِنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ ابْتَنَى بِزَيْنَبَ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ قَوْمًا سَمَّاهُمْ
وَكُلَّ مَنْ لَقِيتُ حَتَّى امْتَلَأَ الْبَيْتُ وَالْحُجْرَةُ وَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ تَوْرًا فِيهِ قَدْرُ مُدٍّ
مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْسًا فَوَضَعَهُ قُدَّامَهُ وَغَمَسَ ثَلَاثَ أَصَابِعِهِ وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَغَدَّوْنَ
وَيَخْرُجُونَ وَبَقِيَ التَّوْرُ نَحْوًا مِمَّا كَانَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحَدًا أَوِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَفِي
رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ مِثْلِهَا أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا
حَتَّى شَبِعُوا وَقَالَ لِي ارْفَعْ فَلَا أَدْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ
وَفِي حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّ فَاطِمَةَ
رَضِيَ اللهُ عَنْهَا طَبَخَتْ قِدْرًا لِغَدَائِهَا وَوَجَّهَتْ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم ليسعدا معها فأمرها فغرفت منها الجميع بسم الله صحفة صحفة
ثم غرفت له عليه السلام ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت البقية وانها
لتفيض قال فأكلنا منها ما شاء الله • وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال
اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي
بحاله • من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
ابن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها
ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون في كل
سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم • قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك
وقال أبو هريرة رضي الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت شيء من التمر في المزود قال فأتني به
فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لي عشرة
فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال
خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر
مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة

ومنها ما حدث ابو هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه فامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم لي ان اسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبدو عيالة عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكره حبرة الدولابي ومن حديثها الاخرى في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه رضي الله عنهن وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا الصفة

عظماء

ويوم النحر عيد الاضحى ... ايام التشريق ... وجزر الجزور نحرها ... الجزور من الابل ...

قال الجزرة ... القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها نعجة او كبشا او عنزا ولا يكون الجزرة الا من الغنم والابل الجزور ...

الحيس تمر وسمن واقط ...

والجرة

والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن
يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت
كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في
الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
رضي الله عنهم رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم
وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر فصل في كلام الشجرة وشهادتها له
بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن
أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال صلى الله عليه
وسلم يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال
تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من
يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها
فإنها تجيبك فدعاها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة رضي الله عنه
سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي

الشجر

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال
الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها واستوت
فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي ان اقبل يديك ورجليك
فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما
فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل
ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله تعالى
فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما
ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا
وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يامركن
ان تاتين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن

[Margin: فقال — لها — البعير الذي يجعل في انفه خشاش وهو عود ... — واما المنصف بكسر الميم ... — احضر: العدو — تبرز]

فوالذي

فو الذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فو الذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال
يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فأطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود رضي الله عنهما في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه
فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد
وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد
اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه
صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام

الودية الصغيرة من الفسيل وجمعها ودي ... والفسيل صغار النخل

قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن رضي الله عنه أنه عليه السلام شكا إلى ربه من قومه أنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى الله تعالى إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة

[margin:] المنبر الشريف [illegible] النبيين والانبياء [illegible] بالكسر [illegible] بالضم [illegible] وبالفارسية [illegible]

والمطلب

والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم
إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره وفي
رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع
وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد
غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد
غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحق
عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل
في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض
وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى
إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث
بريدة رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك
إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد
لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك
ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه

من نبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن رضي الله عنه اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة
تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فانتم احق
ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله
ابن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب
وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة
ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي
سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما وابو حازم وعباس
ابن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله
ابن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله ورضي عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من
الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن
دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب
ابو القاسم حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا
اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال
لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
رضي الله عنه كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا

ن حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى
مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي رضي الله عنه
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما
استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
ابن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه
الحجر الأسود وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام
بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر
بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس رضي الله عنه إذ اشتمل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهم مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه
جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن أنس رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة
والزبير رضي الله عنهم وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر
في حراء أيضا عن عثمان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم
وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد
أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم

حين طلبته قريش فقال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إليّ يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت
ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار لوجه صنم إلا وقع لقفاه
ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب في ابتداء أمره إذ
خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل يتخللهم
حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر
ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل
صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه
إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه فصل في الآيات في ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ حدثنا أبي حدثنا
القاضي يونس حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن
أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا

داجن

ذلك فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في
محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبًا فقال من هذا قالوا نبي الله
قال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعًا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة
قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين
وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه بينا راع يرعى غنمًا له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه
فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد
سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول
وروي حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق
عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفًا على غنمك وتركت نبيًا لم يبعث
الله نبيًا قط أعظم منه عنده قدرًا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف
أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب

فسمعه يا رسول الله

تكلم

فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع
فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي
صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس
أنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو
ابن الأكوع أنه كان صاحب هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل
حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفين
ابن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي
الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفين
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم
فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب
إسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال
يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك
ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس
رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر
ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله عنه

نحن

نحن أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في
الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر
قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه
وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن
والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن
النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي
رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية أنه شكى إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل
من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه
وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها ونداءهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت
ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة
ابن شعبة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم
الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له
ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن

النبي صلى الله عليه وسلم

الله

إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما
وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه
الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت
به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم
بأذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبرهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات
تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند
النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز
التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا
على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى

الخندم فقال لرابع أمسكها وما أراك تربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره. وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي
جاء بها هو الذي ذهب بها. وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة
في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى عليه السلام. والحديث في هذا الباب كثير
وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الأئمة ويلتحق
بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذي بعثه إليهم والله الموفق. فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام
الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا أبو الوليد هشام بن
أحمد الفقيه بقراءتي عليه. والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد. والقاضي أبو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا حدثنا أبو علي
الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا
أحمد بن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا وهب بن بقية.
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها
مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت
إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك
قال فأمر بها فقتلت. وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا أنقتلها قال لا. وكذلك

روى عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر
ابن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية
الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت
اني مسمومة قال ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز
عنها وفي الحديث الآخر عن انس رضي الله عنه انه قال فما زلت اعرفها
في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة
خيبر تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما
انه دفعها لاولياء بشر بن البرآء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله
الذي سحره وقال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي انه قتله
وحكى ابن سحنون ان المسلمين كانوا يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد
ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله عنهم
وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة
اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل
النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة
الميتة او الحجر او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن

والقاضي

والقاضي أبي بكر رحمهما الله. وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولاً ثم
الكلام بعده وحُكي هذا أيضاً عن شيخنا أبي الحسن وكلٌّ محتمل والله أعلم إذ لم
نجعل الحياة شرطاً لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط
الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافاً للجبائي من بين سائر
متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من
حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك
في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فماً ولساناً
وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم
بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئاً من ذلك
فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله. وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بصبي قد شبّ لم يتكلم
قط فقال من أنا فقال رسول الله. وروى عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه. وفيه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شبّ
فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع. وعن
الحسن رضي الله عنه أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي
بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد
أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله

أو كذا

حتى إلى منهما وعن أنس رضي الله عنه أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز
عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم
أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة
فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد
عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول
ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان. ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل
في إبراء المرضى وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه
وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحق الحبال قال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق
حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد
بطولها قال وقالوا قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيبت
يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة

قتادة

قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها
أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم
ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف
أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله لي أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي
الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في
قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه
استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض
فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه
بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال
فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين
ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني
علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها
السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله
فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت . رواه ابن وهب

ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها أن تسقيه وتمسه
به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل
الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف الجعفي سلعة
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم
فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاما
وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد
من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه
فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد
حياء منها فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب
واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا
أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا
حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قالت أمي أم سليم

ثع ثعا

شرحبيل

رسول الله

يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما أعطيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي
وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا
أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
ابن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت
فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا
وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وبأحلاسها ودعا
صلى الله عليه وسلم لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا
صلى الله عليه وسلم بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه أو بأبي جهل فاستجيب
له في عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة
منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسأله عمر الدعاء فدعا صلى الله عليه وسلم فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا
وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين

[illegible]

ومائة سنة. وقيل أكثر من هذا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي
الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا صلى الله عليه وسلم للمقداد رضي الله عنه
بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله
لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح
أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح
فيه وقال صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك
له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة
وروي مثل هذا لغرقد أيضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة فأسلمت
ودعا صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر
فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها أن الله
أن لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله صلى الله عليه وسلم الطفيل
ابن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال
يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في
الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فأقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا صلى الله عليه وسلم
على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا
بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا صلى الله عليه وسلم على صبي

قطع

فقطع عليه الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة
اكلك الاسد فاكلها وقال صلى الله عليه وسلم لرجل ياكل بشماله كل
بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال
صلى الله عليه وسلم لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود وفي
دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر
ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم اى لا تراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
صلى الله عليه وسلم على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري
فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة . الصدان جانب
الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة
وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب
الاعيان له فيما باشره او لمسه صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد .
حدثنا ابو ذر الهروي اجازة . وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو
ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي

سقط من اصل الشفا عبد الاعلى بن حماد شيخ البخاري وهو ثابت في اصل البخاري ولا بد منه ليتصل الاسناد اهـ

طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال لعرة بيطا فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا وكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع صلى الله عليه وسلم مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها
بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر
ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت
شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها
قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم
ابن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فأخذته
فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء
فما نزفت بعد وبزق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار أنس فلم يكن
بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح
فقال صلى الله عليه وسلم بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتى صلى الله عليه وسلم
بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما
لسانه صلى الله عليه وسلم فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم
مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها
يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم

أدمها

أدمها حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في أفواه الصبيان المراضع
فيجزئهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه
وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها
لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها
له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي
صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه
إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها
وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من الذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن
منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن
عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت
آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا
ظمئت وأعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة
مظلمة مطيرة عرجونا وقال عليه السلام انطلق به فإنه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل الحطب
وقال صلى الله عليه وسلم اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده
يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب
النخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه

الحوامل ح

الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم سقاما بعد أن وكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فإذا هو لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عمير بن سعد وبارك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس ابن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله عليه وسلم على رأس حنظلة ابن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرئوا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت

وبرك ح

في ح

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ به سنن نصك في صفته الأذهب. المتن
الحتوف ومجّ صلى الله عليه وسلم في دلو من بئر ثم صبت فيها ففاح منها ريح
المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه
أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل
فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن
عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب
وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو
صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل
ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون. والأحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة صلى الله عليه وسلم على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد
ابن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري.
حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان
ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في
مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من
نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. ثم قال
حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله

القذا مقصور وهو ما يسقط في العين وكذا ما يسقط في الشراب صح

طالع وعلامه صح

صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء
الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
مما وعدهم به من الظهور على اعدائه. وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا
تخاف الا الله. وان المدينة ستغزى. وتفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه. وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر. وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء.
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة. وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى. ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى. ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة. ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ.
وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم. وقتالهم الترك والخزر والروم
وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض
فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان
امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة

حتى لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب
ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب
لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر صلى الله
عليه وسلم بملك بني امية وولاية معوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا
وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج
المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه
وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم
النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة
وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال صلى الله عليه وسلم
يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم
يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن
لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على
بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت
على عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله اصحاب معوية وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير ويل للناس
منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم في قزمان وقد ابلى مع
المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه وسلم في جماعة فيهم

أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش
ما أقاموا الدين وقال صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير
فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا
به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة
الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأمر بدأ نبوة
ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة
وفسادا في الأمة وأخبر صلى الله عليه وسلم بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون
الصلوة عن وقتها وسيكون في أمته ثلثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي
حديث آخر ثلثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكثر فيكم العجم
يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال صلى الله عليه وسلم لا يأتي زمان
إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال
أبو هريرة رضي الله عنه راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة
أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى
لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر صلى الله عليه وسلم بشأن

وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدوا رأسه يقطر ماء صح

وخيرة

آخرهم

ويظهر فيهم السمن

خوارج

بالخوارج ووصفهم والمخدج الذي فيهم • وأن سيماهم التحليق • وترى رعاء
الغنم رؤوس الناس • والعراة الحفاة يتبارون في البنيان • وأن تلد الأمة
ربتها • وأن قريشاً والأحزاب لا يغزونه أبداً • وأنه هو يغزوهم • وأخبر
صلى الله عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس • وما وعد من
سكنى البصرة • وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة • وأن الدين لو كان
منوطاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس • وهاجت ريح في غزاته فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك • وقال صلى الله
عليه وسلم لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد • قال
أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتداً يوم اليمامة •
وأعلم بالذي غل خرزاً من خرز يهود فوجدت في رحله • وبالذي غل الشملة
وحيث هي • وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها • وبشأن كتاب
حاطب إلى أهل مكة • وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل
النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً لقتله وأطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم • وأخبر صلى الله عليه وسلم
بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فأسلم • وأعلم صلى الله عليه وسلم بأنه سيقتل أبي بن خلف • وفي عتبة
ابن أبي لهب أنه يأكله كلب الله • وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال • وقال
صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين
فئتين • ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون •
وأخبر صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه • وأخبر صلى الله عليه وسلم فيروز إذ

صوابه عتيبة بالتصغير

وَرَدَ عَلَيْهِ رَسُولٌ مِنْ كِسْرَى بِمَوْتِ كِسْرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا حَقَّقَ فَيْرُوزُ الْقِصَّةَ
أَسْلَمَ وَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا ذَرٍّ بِتَطْرِيدِهِ كَمَا كَانَ وَوَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ
نَائِمًا فَقَالَ لَهُ كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ قَالَ أَسْكُنُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ قَالَ فَإِذَا أُخْرِجْتَ
مِنْهُ الْحَدِيثَ وَبِعَيْشِهِ وَحْدَهُ وَمَوْتِهِ وَحْدَهُ وَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ
أَسْرَعَ أَزْوَاجِهِ لُحُوقًا أَطْوَلُهُنَّ يَدًا فَكَانَتْ زَيْنَبُ لِطُولِ يَدِهَا بِالصَّدَقَةِ وَأَخْبَرَ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالطَّفِّ وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً وَقَالَ
فِيهَا مَضْجَعُهُ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ يَسْبِقُهُ مِنْهُ عُضْوٌ
إِلَى الْجَنَّةِ فَقُطِعَتْ يَدُهُ فِي الْجِهَادِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ
عَلَى حِرَاءٍ اثْبُتْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ فَقُتِلَ عَلِيٌّ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ
وَالزُّبَيْرُ وَطُعِنَ سَعْدٌ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُرَاقَةَ كَيْفَ بِكَ إِذَا أُلْبِسْتَ سِوَارَيْ
كِسْرَى فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُبْنَى مَدِينَةٌ بَيْنَ دِجْلَةَ
وَدُجَيْلٍ وَقُطْرُبُّلَ وَالصَّرَاةِ تُجْبَى إِلَيْهَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِهَا يَعْنِي بَغْدَادَ   والصراة
وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ هُوَ شَرٌّ
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ
فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو
عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا يَسُرُّكَ يَا عُمَرُ فَكَانَ كَذَلِكَ قَامَ بِمَكَّةَ مَقَامَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
يَوْمَ بَلَغَهُمْ مَوْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَطَبَ بِنَحْوِ خُطْبَتِهِ وَثَبَّتَهُمْ وَقَوَّى
بَصَائِرَهُمْ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالِدٍ حِينَ وَجَّهَهُ لِأُكَيْدِرَ إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ
الْبَقَرَ فَحَدَثَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَمَا قَالَ إِلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ جُلَسَاءَهُ مِنْ أَسْرَارِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء
وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك
الصفة وإعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي
تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله
فوجدوها كما قال ووصفه صلى الله عليه وسلم لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي
مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال صلى الله عليه وسلم
إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها
كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات
حلولها وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده
وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند
الأئمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين وقيل غير
هذا وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا
الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ
أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفي قال حدثنا

أبو علي البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا أبو العباس المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت وقيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحرث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه

وقد تر سنعه من بدء الرحلة وجمع الظهر وقيل في نصبه غير هذا وذكر أن
فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى
ثم قال من شا فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع
العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها
كثيبا اهيلا وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه في الصلوة سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي من تهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاء الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه
وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل
ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر فقال انج وفرا هاربين فكانت
من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة
عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج

فقسمعنا

عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من
نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد صلى الله عليه وسلم ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام **وقصته**
صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش
فيه وفي أبي بكر رضي الله عنه الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها
واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال
لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا
وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم **وفي خبر** آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم
قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له
حتى رجع إلى موضعه **وجاءه** فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه
وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه
عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لأخذه **وذكر** السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين
القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره
ابن اسحق في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقيل إن قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن
أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما
سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله
فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل
المدينة وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد
قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل
فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه
أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق
أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر
السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع
سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق
فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو

أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به
دونه وعن فضالة بن عمير أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث
به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن
قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم
يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا
به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله
حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال عليه
السلام فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح
أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمدد
أعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة
من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم
بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها

بأمور

والإحاطة

فصاحاتها

والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني
أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي
لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه
دون طلب إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار آجلا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ أهل هذه
المعارف كلامه فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لأول عابر
وهي على رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث
بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم إذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم أصل كل داء البردة
وما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله عليه السلام
المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه
وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط
واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن
آدم وعاء شرا من بطن إلى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن سبإ أرجل هو أم امرأة أو أرض فقال

رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرب العرب على شغلها
بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم حمير رأس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والأرض وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض زواياه سواء وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
صلى الله عليه وسلم لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله صلى الله عليه
وسلم لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه فقال له ألق الدواة وحرف
القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراءة وأما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها
فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات
الأمم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية ●
وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث

أبي هريرة رضي الله عنه اشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا
يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
أهلها عمره وهو رجل كما قال الله عز وجل أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة
من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف
هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الآية • إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر
والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة أهله عنه • وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا
قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله عز وجل
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين • ثم ما قالوه مكابرة العيان
فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد
الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات • وأما الرومي
فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء
اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن • نعم وقد كان سلمان
أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم
يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد
صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ

عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن
الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته الى بلاد أهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم
الا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة
ومجليا لكل أمر

فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر
آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله تعالى له بالملائكة وطاعة الجن له
ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه
وجبريل الآية وقال تعالى إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة
الآيتين وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا
سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه حدثنا أبو الليث السمرقندي حدثنا عبد
الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر
ابن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من
الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد
رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام

الكتب

الحمد لله
ثم الحمد لله

في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده
جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو
سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها
شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم
حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن
وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل
يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن
من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في
حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى وقال عليه السلام إن
شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت
أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة
أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد الآية فرده الله خاسئا وهذا
باب واسع جدا فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت
به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه

وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وما وجد في ذلك من
أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان
ابن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة
والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن
سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود
وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من
علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب
وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد
والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع
يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه صلى الله عليه وسلم
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه
وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر
عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله صلى الله
عليه وسلم لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما
أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بنت كريز وفاطمة

بنت النعمان ومن لا يُعَدّ كثرةً إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته صلى الله عليه
وسلم وحلول وقت رسالته وسُمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب
وأجواف الصور وما وُجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبًا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور. **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما
حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعًا رأسه عندما وضعته شاخصًا
ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر إلا النور **وقول** الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه
السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم. وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان
إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا وإذا غاب فأكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته عليه السلام
شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا **ومن ذلك** حراسة السماء بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة
عن أمور الجاهلية وما خصه الله تعالى به من ذلك وحماه حتى في ستره في
الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه

5

[illegible marginal note]

الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك
قال انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى رواية
ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة
رأت غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة
يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هى فاشرقت وتدلت عليه اغصانها
بمحضر من رآه وميل فىء الشجرة اليه فى الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من
انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم
اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره فى المدينة وفى بيته وان بين بيته
وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه
فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله ونداؤهم
الذى سمعوه الا تنزعوا القميص عنه عند غسله صلى الله عليه وسلم وما روى
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه رضى
الله عنهم من كراماته وبركته فى حياته وموته كاستسقاء عمر وتبرك غير
واحد بذريته فصل قال القاضى ابو الفضل قد اتينا فى هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة فى واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر

مطلب

بعترته ...

الا ما

الأيسر من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديوانا جامعا
مشتملا على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر
معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند
نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء صلوات
الله عليهم تقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله
معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك
الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة
وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين
والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم به
مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك
الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما
تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار
بعلوم الغيب فقد تكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من
الغيب كل خبر منها معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه

[illegible]

عليه السلام في هذه الأبواب وعمّا دلّ على أمره مما أشرنا إلى جملة تبلغ نحواً
من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإنّ معجزات
الرسل صلوات الله عليهم كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي
سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث
إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدّعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما
كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما
لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب
وهكذا سائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم ثم إنّ الله تعالى بعث محمداً
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر
والخبر والكهانة فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة
والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان
منهجه ومن الإخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان
أعدى العدو وأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها
من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة
وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم
عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة
بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه

إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل • فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه
صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان • ويتظاهر البرهان • وليس
الخبر كالعيان • وللمشاهدة زيادة في اليقين • والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين •
منها إلى علم اليقين • وإن كان كل عندها حقا • وسائر معجزات الرسل صلوات
الله عليهم انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها • ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع • وآياته تتجدد ولا تضمحل • ولهذا أشار عليه السلام
بقوله فيما أخبرنا القاضي الشهيد • حدثنا القاضي أبو الوليد • حدثنا أبو ذر •
حدثنا أبو محمد • وأبو إسحق • وأبو الهيثم • قالوا حدثنا الفربري • حدثنا البخاري •
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله • حدثنا الليث • عن سعيد • عن أبيه • عن أبي هريرة •
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو
أني أكثرهم تابعا يوم القيمة • هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه • ولا التحيل عليه والتشبيه • فإن غيرها من معجزات الرسل قد
رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم
وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه • والقرآن كلام ليس للحيلة
ولا للسحر في التخييل فيه عمل • فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من
المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل
والتمويه • والتأويل الأول أخلص وأرضى • وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الخفر
عليه ويغضي • ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في

مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا ترك
العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء
والجلاء والسباء والإذلال وتغير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول
عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام
أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة
في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن
ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى
أن يرد ذلك صحيح النظر **وأما** التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من
جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله
عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق **وقد غاب**
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء عليهم السلام حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم
أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من
القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن

(هامش: عجزهم)

(هامش: مطلب)

شبه

شبهتهم فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم
بما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا
على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير • والعرب على
جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإن كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى •
ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء
لبه • ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا
بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته صلى الله عليه وسلم وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم
وأبناءهم في نصرته • وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق • ويعجب منه زبرج لو
احتيج إليه وحقق • لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها • وبالله أستعين •

نصف الكتاب

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه
والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم • إذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى
به صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا •
وقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله •
وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية • فالإيمان بالنبي محمد عليه السلام

واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه. قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا. حدثنا أبو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه. حدثنا الإمام أبو علي الطبري. حدثنا عبد الغافر
الفارسي. حدثنا ابن عمرويه. حدثنا ابن سفيان. حدثنا أبو الحسين. حدثنا
أمية بن بسطام. حدثنا يزيد بن زريع. حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن
ابن يعقوب. عن أبيه. عن أبي هريرة رضي الله عنه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله تعالى. قال القاضي أبو الفضل والإيمان به عليه السلام هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في الحديث نفسه من رواية عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله. وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال
أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله. وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث. فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد
بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة
وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك

إيمان · إسلام

نبوته

هذا

المحمودة

قوله والإسلام منصوب عطف على الإيمان الذي [illegible] اسم أن [illegible]

لرسوله

لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون • أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقاد وتصديق وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدقوا بذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا من اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عنها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه • وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل عليه السلام الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان • وتبقى حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه • فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان • فلم يذكر سوى ما في القلب • وهذا مؤمن بقلبه غير عاص إذ لم يفرط بترك غيره • وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد • وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادته إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا يقتضي إلى ما تشعب من الكلام في الإسلام والإيمان وأنواعهما في الزيادة فيهما والنقصان • وهل التحري ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه

عليها

والفرق

شهادته

لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى

فصل

وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم
فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال تعالى
قل أطيعوا الله والرسول وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى
وإن تطيعوه تهتدوا وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين الآية وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله
فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل
الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه
قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به
وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا ومن
يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه
والرسول في سننه وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال
أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف
حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان حدثنا
عبد الله حدثنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة
رضي الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله

ورسوله صح

مطلب

[illegible] عبد السلام [illegible] تعالى تغمده [illegible] بالعفو [illegible] سنة ١٣٣١ [illegible]

٤٦

ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد
عصاني فطاعة الرسول لمن طاعة الله إذ الله أمر بطاعته • فطاعته امتثال
لما أمر الله تعالى به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا.
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة رضي الله
عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من
أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه
السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش
بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجا فالنجا فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني
وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس **فصل** وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

المأدبة [illegible] الدار [illegible] والمأدبة [illegible] طعام [illegible] لدعوة أو عرس [illegible]

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا • أي ينقادون لحكمك يقال سَلَّمَ واستسلم وأسلم إذا انقاد

وَقَالَ تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله الآية •

قال محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به والاتباع

لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل وَقَالَ غير واحد من المفسرين معناه وَقِيلَ

هو عتاب للمتخلفين عنه وَقَالَ سهل في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم

قال بمتابعة السنة • فأمرهم الله بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله تعالى

أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط

مستقيم • ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه

على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم

بحكمه وترك الاعتراض عليه وَرُوِيَ عن الحسن رضي الله عنه أن أقوامًا قالوا

يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية

وَرُوِيَ أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه

ونحن أشد حبًا لله فأنزل الله تعالى الآية وَقَالَ الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله

أن تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته

لهما ورضاه بما أمرا • ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وَقِيلَ

الحب من الله عصمة وتوفيق • ومن العباد طاعة كَمَا قَالَ القَائِلُ

تعصي الإله وأنت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته • إن المحب لمن يحب مطيع

وَقِيلَ محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه • ومحبة الله تعالى له رحمته

له وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قَالَ القشيري رحمه الله

فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد

في محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا أبو إسحق إبرهيم بن جعفر الفقيه
قال حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه
بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو حفص الجهني حدثنا أبو بكر
الآجري حدثنا إبرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد
ابن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الأسلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية وحديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال نعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
زاد في حديث جابر معناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع عنه
صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر مما
أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي
حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون
عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية وروي عنه
عليه السلام أنه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور

تحدثنا بها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة • أو سنة قائمة • أو فريضة عادلة •
وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد وقال عليه السلام إن بني إسرائيل
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في
النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي
وعن أنس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحياني
ومن أحياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال
ابن الحارث من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل
بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله
ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا
فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته صلى الله عليه وسلم حدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد
الفقيه سماعا عليه • قال حدثنا أبو عمر الحافظ • حدثنا سعيد بن نصر • حدثنا
قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة • قالا حدثنا محمد بن وضاح • حدثنا يحيى • حدثنا
مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن
ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله تعالى بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله

مطلب العلم ثلاثة

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى
واستعمال لطاعة الله عز وجل وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن رضي الله عنه عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن أي اللغة
وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن
أعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال
له عثمان رضي الله عنه ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن لأدع سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ألا إني لست بنبي ولا
يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن
كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا كان
مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون عملكم

ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم عليهم
السلام وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر رضي الله عنه بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه
السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم
الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
الشافعي رضي الله عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا ادري الا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري
من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية
في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر
فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من
انت قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم
ضلال وبدعة متوعد عليه من الله بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر

مطلب الحيري

مطلب اصول مذهبنا ثلثة

مطلب في فضائل احمد بن حنبل

الذين

فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي
جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد
ابن أبي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم
قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم
من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر
من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه وزاد في حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام جيء بكتاب في كتف فقال كفى بقوم حمقا
أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم
فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام
هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره
أن أزيغ

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على
إلزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه
لها إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله
وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم
أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو
مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو
محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسمعيل حدثنا يعقوب بن إبرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
ابن صهيب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن أبي هريرة
نحوه وعن أنس عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن
يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن
يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين
جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه السلام عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا

حدثنا محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن
سالم بن ابي الجعد عن انس رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير
صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال
المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما
اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي
اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله
الاية وفي حديث انس رضي الله عنه من احبني كان معي في الجنة فصل
فيما روي عن السلف والايمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا

عند ما يطرف البصر اي تحرك [illegible]

القاضي الشهيد. حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي.
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله
ومثله عن أبي ذر وقد تقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لأنت أحب إلي من نفسي. وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان
قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن
قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر
رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام
أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي
طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للعباس أن تسلم
أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد
على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا
في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون

الأخبار. قد كنت قواماً بكاً بالأسحار. يا ليت شعري والمنايا أطوار. هل تجمعني
وحبيبي الدار. تعني النبي صلى الله عليه وسلم. فجلس عمر رضي الله عنه يبكي. وفي
الحكاية طول. وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله فقيل له
اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت. ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحرباه. فقال واطرباه. غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.
ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت. ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً
الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب
أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو
سفيان ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم أحلفها
بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حباً
لله ورسوله. ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله
ما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله. فصل في علامة محبته عليه السلام.
اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه. وأولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب
نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. وإيثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته. قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار

والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة • وإسخاط العباد في رضا الله تعالى
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله • حدثنا أبو الحسين الصيرفي • وأبو الفضل
ابن خيرون • قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي • حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن
محبوب • حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري •
عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد
فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي • ومن أحيا سنتي فقد أحبني • ومن أحبني كان
معي في الجنة • فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها • ودليله قوله عليه
السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله • ومن علامات محبته النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر من ذكره • ومنها كثرة شوقه إلى لقائه صلى الله عليه وسلم
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه • وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم
كانوا يرتجزون • غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه • وتقدم قول بلال • ومثله
قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان • ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له صلى الله عليه وسلم وتوقيره عند ذكره • وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه • قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكو وكذلك كثير من التابعين • منهم من يفعل ذلك
محبة له وشوقا إليه • ومنهم من يفعل ذلك تهيبا وتوقيرا • ومنها محبته لمن أحب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار

وعداوة

وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسببه فمن احب شيا احب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال عليه السلام من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال عليه السلام اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم الانصار وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم • فبالحقيقة من احب شيا احب كل شي يحبه • وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس رضي الله عنه حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي القصعة فما زلت احب الدبا من يوميذ • وهذا الحسن بن علي • وعبد الله بن عباس • وابن جعفر رضي الله عنهم اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض ما ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته • قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهولا اصحابه

عليه السلام فقد قتلوا احبّاءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني اباه
ومنها ان يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن
تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله
وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض
الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الآخرة
وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان
يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله • ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما
كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما • ومن علامة تمام محبته • زهد
مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى
الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني
احبك ثلث مرات قال عليه السلام ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا • ثم
ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال •

مطلب

مطلب أصناف الناس في ... الفقر

ولكنها أخيلات لخوالٍ فقال بعضهم المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها ● وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان فتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الانسان مائل الى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه ● فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها ● فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة ● اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة ● واما احسانه وانعامه على امته صلى الله عليه وسلم فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم

قال الشغف ... الحب اي بلغ شغافه ... جلدة دون ... القلب

رحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • ويتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم •
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين • واي
افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين • اذ كان ذريعتهم
الى الهداية • ومنقذهم من العماية • وداعيهم الى الفلاح والكرامة • ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد • وقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار • وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال • فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين
معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع • فمن
منحه ما لا يبيد من النعيم • ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب • واذا
كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او
قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته • فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل • وقد قال علي رضي الله عنه في
صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه • ومن خالطه معرفة احبه • وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم •

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام

• قال الله تعالى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم • قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية • حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه • حدثنا الحسين
بن محمد • حدثنا يوسف بن عبد الله • حدثنا ابن عبد المؤمن • حدثنا ابو بكر التمار •

حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي
صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ابن بشار رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان
البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم
نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر ابن اسحق الخفاف النصح فعل
الشي الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له
بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في
محابه والتبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان
به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله
عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان
وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق
التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جا به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها
والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفترضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في

حياته ونصحا بعد مماته. ففي حياته نصح أصحابه له بالنصرة والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية. وقال تعالى وينصرون الله ورسوله
الآية. وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فالتزام التوقير
والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على
ذلك. فعلى ما ذكرته تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه. وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي
فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت على جنودي فأعجبني كثرتهم
فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي
ذلك وغفر لي. وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم
به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور
المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم. والنصيحة
لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم.

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا.
وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله. ويا أيها الذين آمنوا

مطلب

لا ترفعوا

لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه
وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء من ذلك
من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن
ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك
فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي يعني اتقوه في التقدم وقال
السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض
ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن
عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله تعالى في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى
بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية

الأولى في مجاورة كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
واختلافٍ جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع
صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر
بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى
أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن
أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك
بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر رضي الله عنه كان إذا حدثه حدثه كأخي
السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات في عنبر بني تميم نادوه باسمه صلى الله عليه وسلم وروى صفوان
ابن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري
أيا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الأنصار نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا لأن معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم
بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة ومنعًا للتشبه بهم في قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره

وإجلاله

وإجلاله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي
بسماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا
محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وأبو
معن الرقاشي وإسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة
ابن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا
له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من
المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره
إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم
إليهما وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله
كأنما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة
إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا
ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده
وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني
جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا

قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه أبدا وعن أنس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل
ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه
النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أرعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد
أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته •

فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته رضي الله
عنهم قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به
نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري •
وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه • قالوا أخبرنا أبو العباس

يريدون

أحمد

أحمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر
محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب
ابن إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الآية. ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم الآية
وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية. وإن حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة
وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا
أنفسهم جاءوك الآية. وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم
عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير
أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت
وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه. وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه
فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون. لقد كنت
أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي
حتى نرحمه. ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصليا

مطلب
أن حرمته ميتا كحرمته حيا

وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل • ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم • ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع • ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته • ولقد كنت آتي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه • وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع
الحديث أخذه العويل والزويل • ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
وحرمته حياً وميتاً سواء • وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع • وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب
له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ • حدثنا أبو الفضل بن خيرون • حدثنا أبو بكر البرقاني
وغيره • حدثنا أبو الحسن الدارقطني • حدثنا علي بن مبشر • حدثنا أحمد بن سنان القطان •
حدثنا يزيد بن هارون • حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون •
قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
أنه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى
رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قرب

نزف

من ذاك وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه •
وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس رحمه الله
على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن
آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم • وقال مالك جاء رجل إلى ابن
المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع • وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس رحمه الله لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له • وحكى مالك ذلك عن
جعفر بن محمد • وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك
فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال مطرف كان إذا أتى الناس
مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل
فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان
يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته

عقرت ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا أبا عبد الله
لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم. قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن
حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي. وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض قال القاضي أحق من أدب. **وذكر**
أن هشام بن الغاز سأل مالكا وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا.
قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران.
وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا
يحدث إلا على طهارة. وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين
أزواجه رضي الله عنهم أجمعين كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح
رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية
وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم **أخبرنا** الشيخ أبو أحمد بن محمد العدل من كتابه
وكتبت من أصله. حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني أم القاسم بنت الشيخ
أبي بكر الخفاف. حدثني أبي. حدثنا حاتم هو ابن عقيل. حدثنا يحيى هو ابن إسماعيل.
حدثنا يحيى هو الحماني. حدثنا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله أهل بيتي ثلاثا
قلنا لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضوان الله

عليهم أجمعين • وقال عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما • وقال عليه السلام معرفة آل محمد
براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب •
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن أبي
سلمة لما نزلت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية
وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فجللهم بكساء
وعلي رضي الله عنه خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا • وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم
هؤلاء أهلي • وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه • وقال صلى الله عليه وسلم فيه لا يحبك
إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله • ومن
آذى عمي فقد آذاني • وإنما عم الرجل صنو أبيه • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته • وقال صلى الله عليه وسلم هذا
عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين • وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم إني أحبهما فأحبهما • وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
في أهل بيته رضي الله عنهم • وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي • وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله

أي العتبة

من احب حسنا وحسينا. وقال صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين
واشار الى حسن وحسين وأباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة. وقال
صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله. وقال صلى الله عليه وسلم قدموا
قريشا ولا تقدموها. وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عايشة وعن
عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن قال
اتيت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى
زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم
ورأى ابن عمر رضي الله عنهما محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه. وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها. ولما
فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلثة الاف ولاسامة بن
زيد في ثلثة الاف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك
واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي.

مطلب

وبلغ معونة أن عابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبّل بين عينيه وأقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أن مالكا رحمه الله لما ضربه
جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال
أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى
النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي • وقيل
إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط
عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم •
وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي
قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السما إلى الأرض أحب
إلي من أن أقدمه عليهما • وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن توقيره وبره عليه السلام توقير أصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتدا بهم وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم والإمساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من
مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويصوب لهم أصوب المخارج
إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما ورا ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر
أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشدا على الكفار رحما

بينهم الى اخر السورة • وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار
الاية • وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة • وقال
تعالى من المؤمنين رجال صدقوا الاية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الحسين
وابو الفضل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر وقال صلى الله
عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا به • وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم • ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه • وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه • وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وقال صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر اصحابي فامسكوا • وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير • وقال صلى الله
عليه وسلم من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني • قال مالك بن انس
وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر
والذين جاؤوا من بعدهم الاية • وقال رحمه الله من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

فهو

فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار • وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا • الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • قال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل •
ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله • ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى •
ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق • ومن
انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة وللسلف الصالح واخاف ان لا
يصعد له عمل الى السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما • وفي حديث خالد
ابن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا
له ذلك • ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك • ايها الناس ان الله
غفر لاهل بدر والحديبية • ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا • وقال
رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معوية فغضب وقال لا يقاس
باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معوية معوية صاحبه وصهره وكاتبه
وامينه على وحي الله عز وجل • واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله • وقال عليه السلام في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم • وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام اللهم من
حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني
في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني

مطلب

إلا من بعيد. قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر كالمودع لهم. وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
إلا له شفاعة يوم القيمة. وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيمة.
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه
ولم يعز أوامره. فصل ومن إعظامه وإكباره صلى الله عليه وسلم إعظام
جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه
عليه السلام أو عرف به. وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة
قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها
فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده. وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه الصلوة
والسلام لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين. ورؤي ابن عمر رضي الله عنهما
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. ولهذا
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله عز وجل
أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة. وروي أنه وهب للشافعي
رضي الله عنه كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه
بمثل هذا الجواب. وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده. وقد أفتى مالك رحمه الله فيمن قال

أن

١٢٨

ان تربة المدينة ردية ان يضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر

وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها

غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا

او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا

ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد

عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة

في ركبته فقطعها ومات قبل الحول • وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا

فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا

وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا •

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا •

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا •

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه

وسلم انشأ يقول متمثلا • رفع الحجاب لنا فلاح لناظري • قمر تقطع دونه الاوهام •

واذا المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرحال حرام • قربننا من خير من وطئ الثرى •

فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك

فقال العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت

على قدمي قال القاضي رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل • وتردد

بها جبريل وميكائيل • وعرجت منها الملائكة والروح • وضجت عرصاتها بالتقديس

والتسبيح • واشتملت تربتها على جسد سيد البشر • وانتشر عنها من دين الله وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات • ومساجد صلوات • ومشاهد

الفضائل والخيرات • ومعاهد البراهين والمعجزات • ومناسك الدين • ومشاعر

٥

المسلمين • ومواقف سيد المرسلين • ومتبوأ خاتم النبيين • حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها • ومواطن مهبط الرسالة • وأول أرض مس جلد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ترابها • أن تعظم عرصاتها • وتتنسم نفحاتها • وتقبل ربوعها وجدرانها •

يا دار خير المرسلين ومن به • هدي الأنام وخص بالآيات •
عندي لأجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات •
وعلي عهد إن ملأت محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات •
لأعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات •
لولا العوادي والأعادي زرتها • أبدا ولو سحبا على الوجنات •
لكن سأهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات •
أذكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالآصال والبكرات •
وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات •

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته • قال الله تعالى إن الله وملئكته يصلون على النبي الآية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أن الله وملئكته يباركون على النبي عليه السلام • وقيل إن الله تعالى يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم وملئكته يدعون له • وقال المبرد وأصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعا للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا • وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة • وقال أبو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملئكة

وصلاة

وصلاة الملائكة دعاء قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل أنهما
بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت
هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى عباده أن يسلموا عليه وكذلك
من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند
ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك وتكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك
متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث أن السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل
اعلم أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة غير محدد بوقت لأمر الله
بالصلوة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر
الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة
صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله
قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة
على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال
القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي أبو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال
القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم رحمهم الله

أصحابه بعده

أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلوة
وأن من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه قال أصحاب الشافعي رضي الله
عنهم الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة وقالوا وأما
في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلوة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي رضي الله عنه في ذلك
فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته
فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه • ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها •
وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه
الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب
أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك
تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفين الثوري وأهل الكوفة
من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم • وحكي عن مالك وسفين أنها في
التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي رضي الله عنه
فأوجب على تاركها في الصلوة الإعادة • وأوجب إسحق الإعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فريضة • قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن الحكم وغيره وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
رضي الله عنه وحكى أبو يعلى البغدادي المالكي عن المذهب فيها ثلثة أقوال في الصلوة
الوجوب والسنة والندب • وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسألة • قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء

الا الشافعي رضي الله عنه ولا اعلم له فيها قدوة • والدليل على انها سنة من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه • وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم • وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم • وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران • ونحوه عن ابي سعيد الخدري • وقال ابن عمر كان ابو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب • وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي • وقال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره • وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث • وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود • عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه • قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه • وذلك بعد التشهد قبل الدعا • **حدثنا** القاضي ابو علي رحمه الله بقراتي عليه • قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي • قال حدثنا الفارسي • عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ • حدثنا محمود بن غيلان • حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ • حدثنا حيوة بن شريح • حدثنا ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي

صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله
والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وروي من غير
هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة
معلق بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسأل الله
تعالى شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسأل الله فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج
الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء
واوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان

مطلب ٥

وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز
وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار
واسبابه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة على
صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك
ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة

عليه

عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي • وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عند الذبح • وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب • وقال لا يصلي
عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب • قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله تعالى وقال اشهب
قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى
النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار علي من
الصلوة يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال ابو
اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك • وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة
الله وبركاته • قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد • وقال النخعي
اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن
في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد • ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلوة • واحتج ابن
شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي

صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد • ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم
رضي الله عنهم وذكر السلام والرحمة • وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز •
وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل
الامة ولم ينكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واله في الرسائل • وما يكتب
بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى
به عمل الناس في اقطار الارض • ومنهم من يختم به ايضا الكتب • وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا
ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره • قال حدثتني كريمة
بنت احمد • قالت حدثنا ابو الهيثم • حدثنا محمد بن يوسف • حدثنا محمد بن اسمعيل •
حدثنا ابو نعيم • حدثنا الاعمش • عن شقيق بن سلمة • عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض
هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد • وقد روى مالك عن ابن عمر
انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم • واستحب مالك في
المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام • قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن
عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليكم • واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه

كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة
واجب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية
الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
حدثنا القاضي ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن
واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال
اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل
ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على
آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل
على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا
عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن
سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن
ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن ابيه الحسين

عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن في يدي جبريل عليه السلام وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد •
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد • اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد • اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى
آل ابرهيم انك حميد مجيد • اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد • وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما
صليت على ابرهيم انك حميد مجيد • وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم
قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات • وبارئ المسموكات • اجعل شرائف صلواتك •
ونوامي بركاتك • ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك • الفاتح لما اغلق • والخاتم
لما سبق • والمعلن الحق بالحق • والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
لطاعتك • مستوفزا في مرضاتك • واعيا لوحيك • حافظا لعهدك • ماضيا لنفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه • به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم • موضحات الاعلام • ونائرات الاحكام • ومنيرات الاسلام •
فهو امينك المامون • وخازن علمك المخزون • وشهيدك يوم الدين • وبعيثك نعمة

وَرَسُولِكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً • اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ • وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ
مُهَنَّآتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ • مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ • وَجَزِيلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ • اللَّهُمَّ
أَعْلِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِنَاءَهُ • وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ • وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ • وَاجْزِهِ
مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ • وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ • ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ • وَخُطَّةٍ
فَصْلٍ • وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ **وَعَنْهُ أَيْضًا** فِي الصَّلَوةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • إِنَّ اللهَ
وَمَلَٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ الْآيَةَ • لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ وَسَعْدَيْكَ • صَلَوَاتُ اللهِ الْبَرِّ
الرَّحِيمِ • وَالْمَلَٰئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ • وَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ • وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ •
وَمَا سَبَّحَ لَكَ مِنْ شَيْءٍ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ • عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ • وَسَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ • وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ • وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • الشَّاهِدِ الْبَشِيرِ • الدَّاعِي إِلَيْكَ
بِإِذْنِكَ • السِّرَاجِ الْمُنِيرِ • وَعَلَيْهِ السَّلَامُ **وَعَنْ** عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ • وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ • وَخَاتَمِ
النَّبِيِّينَ • مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ • وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ • اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ
مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ • اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَٰهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ • وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى
إِبْرَٰهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ **وَكَانَ** الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ
مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ بِالْكَأْسِ الْأَوْفَى مِنْ حَوْضِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَقُلِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
وَأَصْهَارِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَمُحِبِّيهِ وَأُمَّتِهِ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ أَجْمَعِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ •
وَعَنْ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ
الْكُبْرَى وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا وَآتِهِ سُؤْلَهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَى
وَعَنْ وَهْبِ بْنِ الْوَرْدِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ

لنفسه. وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك. وأعط محمدا أفضل ما أنت
مسؤول له إلى يوم القيامة. وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله
عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين. وخاتم
النبيين. محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة. اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد. وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على
أهل البيت وغيرهم كثير. وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين. وفي تشهد علي رضي الله عنه. السلام على نبي الله. السلام على
أنبياء الله ورسله. السلام على رسول الله. السلام على محمد بن عبد الله. السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات. من غاب منهم ومن شهد. اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فجاء في هذا الحديث عن علي
رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة. وفي حديث الصلوة عليه
صلى الله عليه وسلم المضاعفة قبل الدعاء له بالرحمة لم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة. وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله
عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة. وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم. ولم يأت بهذا في حديث صحيح

ورحمة

وتحيته قوله في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل**
في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له **حدثنا**
أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو بكر بن معوية
حدثنا النسائي أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني
كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة
في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة **وروى** أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات **وعن** أنس عنه عليه
السلام أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات **ومن** رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل
فقال إني أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة **وعن**
زيد بن الحباب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي **وعن** ابن
مسعود رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم علي صلاة **وعن** أبي
هريرة رضي الله عنه **عنه** عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب **وعن** عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي

هو ابن المبارك

فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر وعن أبي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله اني اكثر
الصلوة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك
قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن أبي طلحة رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال صلى الله عليه وسلم
ما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد
رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي
اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

وطلاقة وجهه

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسن الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة. قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين. وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثل ذلك وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام أنه قال البخيل الذي إذا ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا عنه قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كان عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة رضي الله عنه عنه عليه السلام من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلم يصل علي

مطلب

وعن جابر رضي الله عنه عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن
ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا ولم يصلوا فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان
في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين
ابن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن ابي صخر
حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود ان لله ملئكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن
ابي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه
يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن رضي الله عنه عنه عليه السلام حيث
ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد
من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي

رضي الله

رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا
علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس رضي الله عنه
اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن سحيم
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر
فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي
علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول
كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي رحمه الله عامة اهل العلم متفقون
على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس قال لا تجوز
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد
الا النبيين وقال سفين يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا غير معروف من مذهبه • وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره
الصلوة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به • قال يحيى بن يحيى لست
آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم • واحتج بحديث ابن عمر
وبما جا في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه • وفيه وعلى ازواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد

روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني. قالوا والأسانيد عن
ابن عباس لينة. والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع. وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته الآية. وقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان. وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى
أزواجه وذريته. وفي آخر وعلى آل محمد. قيل أتباعه. وقيل أمته. وقيل آل بيته.
وقيل الأتباع هم الرهط والعشيرة. وقيل آل الرجل ولده. وقيل قومه. وقيل
أهله الذين حرمت عليهم الصدقة. وفي رواية أنس رضي الله عنه سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي. ويجيء على مذهب الحسن رضي الله عنه
أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه
وهذا مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير
داود. وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته. وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي. والصحيح من رواية
غيره ويدعو لأبي بكر وعمر. وروى ابن وهب عن أنس بن مالك رضي الله عنه كنا ندعو
لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار. قال القاضي رحمه الله والذي ذهب

اليه

اليه بعض المحققين واميل اليه ما قاله مالك وسفين وروي عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله
عليه وسلم وساير الانبيا بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ۔ ويذكر من سواهم من الايمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ۔
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ۔ وايضا فهو امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض
الايمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك ۔ وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع
والاضافة اليه لا على التخصيص ۔ قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير ۔ قالوا
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فكذلك يجب
ان يكون الدعا له مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض ۔ وهذا اختيار الامام ابي
المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة
من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي
ابو علي قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون ۔ حدثنا الحسين بن جعفر حدثنا

ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني حدثنا القاضي المحاملي حدثنا محمد بن عبد الرزاق •
حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره • وعن انس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة • وفي حديث اخر من زارني
بعد موتي فكانما زارني في حياتي • وكره مالك رحمه الله ان يقال زرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم • وقد اختلف في معنى ذلك • فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله
عليه السلام لعن الله زوارات القبور • وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها • وقوله عليه السلام من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة • وقيل لان
ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور • وهذا ايضا ليس بشي اذ ليس كل زائر
بهذه الصفة وليس عموما • وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
عز وجل ولم يمنع هذا اللفظ في حقه صلى الله عليه وسلم • وقال ابو عمران انما كره
ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك
بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم • وايضا فان الزيارة مباحة
بين الناس • وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا
وجوب ندب وترغيب وتاكيد • والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك
له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه
وسلم لما كرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدك
واشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا
اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم •
قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد

إلى الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه صلى الله عليه وسلم
والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه
وبمن عمره وقصده من الصحابة رضي الله عنهم وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك
كله • قال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن
عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد إليه البريد من
الشام • قال بعضهم رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف • قال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال
في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه • وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته
مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام
على أبي ثم ينصرف • ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر
ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والقعنبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلسوا من جانب المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي

الموطا من رواية يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر • وعند ابن القاسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته • قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال
القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف • وقال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد • اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما
وتساله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة
اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة صح من
رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
ثم تصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور
الشهداء • قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك • قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت
النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك •
واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي

ابواب

ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه واذا خرج فليقل
اللهم اني اسالك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن
غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل
احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال
مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر
او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له
ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة
او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم
يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة
الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك
وكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا
منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل

المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من أجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا
ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق وأما
في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره صلى الله عليه وسلم وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم
فيه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول
ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه مسجد قباء حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه
قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن
حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد
الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وقد
تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال

مطلب في فضل سكنى المدينة ومكة شرفهما الله

مطلب

مطلب

عمر أنه قال لرجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين إن مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت • قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا
بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره قال القاضي رحمه الله حكى ذلك كله القاضي
إسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم • والعلماء كلهم متفقون
أن حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسماعيل • وقال محمد بن مسلمة ويكره
في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في
مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجد منى • وقال أبو هريرة رضي الله عنه
عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا
المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة • فذهب مالك في رواية أشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلاة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا
المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه
بدون الألف • واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في
المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه • فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم بتسع مائة وعلى غيره بألف • وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة
على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين • وذهب أهل مكة
والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك
وحكاه الساجي عن الشافعي رضي الله عنه وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل • واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير

عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه وصلاة في
المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة
مثله فتأول فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض قال
القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر
المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة • وذهب الطحاوي إلى أن هذا
التفضيل إنما هو في صلاة الفرض • وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في
النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد
ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال
عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة • ومثله عن أبي هريرة
وأبي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع
الجنة وقال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه
على الظاهر مع أنه روي ما بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري • قال الطبري
وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره
في حجرته وهو بيته • وقوله ومنبري على حوضي • قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي
كان في الدنيا وهو أظهر • والثاني أن يكون له هناك منبر • والثالث أن قصد
منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه
قاله الباجي • وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب
لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها

قال

قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت
له شهيدا وشفيعا يوم القيمة • وقال ليس يخرج عن المدينة والمدينة خير لهم لو
كانوا يعلمون • وقال عليه السلام إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
وقال عليه السلام لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا
منه وروى عنه عليه السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين
يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت
بها فإني شفيع لمن يموت بها وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة
إلى قوله آمنا • قال بعض المفسرين آمنا من النار • وقيل كان يأمن من الطلب
من أخذ بحدث ثم لجأ إليه في الجاهلية • وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي
أبيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة
أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ينادي غدا ملك يا عباد الله من كان
له على الله دين فليقم ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار • ولما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال مرحبا بك من بيت ما أعظمك
وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله عند
الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس

العذري حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق
سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت
الحميدي قال سمعت سفين بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء
في هذا الملتزم إلا استجيب له قال ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب
لي وقال سفين وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو
إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن الحسن الحميدي وأنا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين إلا استجيب لي وقال محمد بن
إدريس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا
استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي قال أبو أسامة وما أذكر
الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من
أمر الآخرة وقال العذري وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي وقال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء
كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها **قال**
القاضي أبو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من
الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته
القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه

وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان تضاف اليه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية • فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل • فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته • فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن

أرسلوا إليه مخالطهم كما تقدم من قول الله تعالى. فجعلوا من جهة الأجسام
والظواهر مع البشر. ومن جهات الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن
صاحبكم خليل الرحمن. وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي.
وقال عليه السلام لست كهيئتكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني. فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات. وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الأول فيما يختص**
بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات
الله عليهم **قال القاضي** أبو الفضل رحمه الله **اعلم** أن الطوارى من التغيرات
والآفات على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد
واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب. وقول باللسان. وعمل
بالجوارح. وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر. فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم قلب النبي
صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته **اعلم** منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه

ذي

اجسامه

عقده

والعصمة

والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين. هذا ما وقع اجماع المسلمين
عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الانبياء سواه. ولا يعترض
على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم
في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني أن ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم
اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون قوله أولم تؤمن أي لم تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك. الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة
وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها
وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من
النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة
ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا
في حاله. الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا. الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق
الادب المراد اقدرني على احياء الموتى. وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية. الوجه
السادس انه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة. وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لأن يكون ابرهيم شك وابعاد
للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم أي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى
فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه. فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا

إليك فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين • فاخذ بثبت الله قلبك
أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة
بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسئل • ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة
المفسرين على هذا • واختلفوا في معنى الآية • فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن
كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل • قوله تعالى
قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية • وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية • الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير • فإن كان من
العلائل أن أراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله • وهو عليه السلام كان
المكذب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به • فهذا كله يدل على أن المراد
بالخطاب غيره • ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا • المأمور هنا
غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام هو
الخبير المسؤول لا المستخبر السائل • وقيل إن هذا الشك الذي أمر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصه من أخبار الأمم لا فيما دعى
إليه من التوحيد والشريعة • ومثل هذا قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية • المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي • وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون • على طريق الإنكار أي ما جعلنا
حكاه مكي • وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك

ذكر

وَكَانَ أَشَدَّ يَقِينًا مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى السُّؤَالِ فَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لَا أَسْأَلُ وَقَدْ اكْتَفَيْتُ
فَالدَّالُّ رَبِّي • وَقِيلَ سَلْ أُمَمَ مَنْ أَرْسَلْنَا هَلْ جَاءَهُمْ بِغَيْرِ التَّوْحِيدِ وَهُوَ مَعْنَى
قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَالسُّدِّيِّ وَالضَّحَّاكِ وَقَتَادَةَ • وَالْمُرَادُ بِهَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ إِعْلَامُهُ
بِمَا بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَأْذَنْ فِي عِبَادَةِ غَيْرِهِ لِأَحَدٍ رَدًّا عَلَى مُشْرِكِي
الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى • وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
أَيْ فِي عِلْمِهِمْ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يُقِرُّوا بِذَلِكَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ شَكَّهُ فِيمَا ذُكِرَ
فِي أَوَّلِ الْآيَةِ • وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا عَلَى مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ أَيْ قُلْ لِمَنِ امْتَرَى فِي ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ
لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِ الْآيَةِ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا الْآيَةَ
وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَاطِبُ بِذَلِكَ غَيْرَهُ • وَقِيلَ هُوَ تَقْرِيرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَأَنْتَ
قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ • وَقِيلَ مَعْنَاهُ
مَا كُنْتَ فِي شَكٍّ فَسَلْ تَزْدَدْ طُمَأْنِينَةً وَعِلْمًا إِلَى عِلْمِكَ وَيَقِينِكَ • وَقِيلَ إِنْ كُنْتَ تَشُكُّ
فِيمَا شَرَّفْنَاكَ وَفَضَّلْنَاكَ بِهِ فَاسْأَلْهُمْ عَنْ صِفَتِكَ فِي الْكُتُبِ وَنَشْرِ فَضَائِلِكَ
وَحُكِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ غَيْرِكَ فِيمَا أَنْزَلْنَا فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى
قَوْلِهِ تَعَالَى حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا عَلَى قِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ
قُلْنَا الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ مَا قَالَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَظُنَّ ذَلِكَ الرُّسُلُ
بِرَبِّهَا وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ لَمَّا اسْتَيْأَسُوا ظَنُّوا أَنَّ مَنْ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ قَدْ
كَذَبُوهُمْ وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ • وَقِيلَ إِنَّ الضَّمِيرَ فِي ظَنُّوا عَائِدٌ إِلَى الْأَتْبَاعِ وَالْأُمَمِ
لَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ • وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالنَّخَعِيِّ وَابْنِ جُبَيْرٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ •
وَبِهَذَا الْمَعْنَى قَرَأَ مُجَاهِدٌ كَذَبُوا بِالْفَتْحِ فَلَا تَشْغَلْ بَالَكَ مِنْ شَاذِّ التَّفْسِيرِ بِسِوَاهُ
مِمَّا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِ الْعُلَمَاءِ فَكَيْفَ بِالْأَنْبِيَاءِ • وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ السِّيرَةِ

بلغ ... [illegible]

ومبتدأ الوحي من قوله عليه السلام لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك
وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه • هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد
لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول
ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير
كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة
مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله
لأول حاله بنية البشرية • وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قال ثم حبب إليه الخلاء
وقال إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحق عن بعضهم أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ
وذكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها في غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر
أو مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي من السماء
يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر
الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده لما قصد إنما كان قبل لقاء
جبريل وقبل إعلام الله تعالى له بالنبوة وإظهاره واصطفائه له بالرسالة عليه السلام
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي

سمعت

سمعتُ نِدَاءً وقد خشيتُ والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً واخشى ان يكون بي
جنونٌ وعلى هذا التأويل لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او
مجنونٌ مثل الفاظ يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء
امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ
لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو
ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه اليك من يرقيك قال اما
الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث انما
ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي
يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك فقد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى عن عروة
عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة رضي الله عنها
ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه اخبرها
فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا
شيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل على انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا

ذروة

ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الأمر من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه
أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا • ويصحح معنى هذا التأويل حديث
رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا
إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام
فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن
تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به • ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما
وعدهم به من العذاب • وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه
أن لن نضيق عليه • قال مكي طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة • وقيل نقدر عليه ما أصابه
وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد • وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه • وقال ابن زيد
معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام • ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من
صفات ربه • وكذلك قوله تعالى إذ ذهب مغاضبا • الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء • وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب
أو يقتلوه كما ورد في الخبر • وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه
إلى أمر أمره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه السلام غيري
أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا • وقد روي عن ابن عباس أن إرسال

يونس ونبوته عليه السلام انما كانت بعد ان نبذ الحوت واستدل من الاية بقوله
تعالى فنبذناه بالعرا وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه • ويستدل
ايضا ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة • وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر
ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام
بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه • قاله ابو عبيدة واصله من غين السما
وهو اطباق الغيم عليها • وقال غيره والغين شي يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا فلا يمنع ضوء الشمس • وكذلك لا يفهم من الحديث
انه يغان على قلبه عليه السلام مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعبا ادا الرسالة وحمل الامانة
وهو في كل هذا في طاعة ربه عز وجل وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله صلى الله
عليه وسلم عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك • هذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات

والتشهير في غير طريق البلاغ على ما سنأتي. وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه
في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته
عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم • قالوا وقد يكون الغين
هنا على قلبه عليه السلام السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار • وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار • وقال
غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن • وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة
حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا • وعلى هذه الوجوه
الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على
قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد
عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين • وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن
يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى • وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل
ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات
الله تعالى • وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين • وليس في اية منهما
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح
قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا

قد

تحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتدا ونهاه الله ان يسأله عما
طوى عنه علمه وأكنّه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه • ثم أكمل الله
نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكي • كذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم في الآية الأخرى بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر • حكاه ابو بكر
ابن فورك • وقيل معنى الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من
الجاهلين • حكاه ابو محمد مكي • وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفضل وجب القول
بعصمة الانبيا منه بعد النبوة قطعاً فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذاً وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله
تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية • وقوله تعالى اذاً لأذقناك
ضعف الحياة الآية • وقوله تعالى لأخذنا منه باليمين • وقوله تعالى وان تطع
أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله • وقوله تعالى فان يشإ الله يختم على قلبك
وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته • وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ألا
يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه
او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين • لكن يسّر الله أمره بالمكاشفة والبيان في
البلاغ للمخالفين وأن ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيّب نفسه
وقوّى قلبه بقوله عز وجل والله يعصمك من الناس • كما قال لموسى وهرون عليهما
السلام لا تخافا لتشتد بصائرهما في الابلاغ واظهار دين الله تعالى ويذهب
عنهما خوف العدو المضعف للنفس • وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل

الآية • وقوله تعالى إذاً لأذقناك ضعف الحياة • فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله • وكذلك قوله تعالى وإن تطع أكثر من
في الأرض • فالمراد غيره كما قال عز وجل إن تطيعوا الذين كفروا الآية • وقوله تعالى
فإن يشإ الله يختم على قلبك • ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره
وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا • وقوله تعالى
اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أطاعهم والله ينهاه
عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية • وما
كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين **فصل** وأما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك • وقد تعاضدت الأخبار
والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والإيمان • بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من
أهل الأخبار أن أحداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل • وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله
وأنا أقول إن قريشاً قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الأمم
أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم
نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم

على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه إذ لو كان لنُقل وما سكتوا
عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها حكاه
الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن
يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل
مولده صلى الله عليه وسلم بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه
السلام وشق قلبه صغيراً واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وإيماناً كما تظاهرت به أخبار المبدإ ولا يشتبه
عليك بقول إبراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتاً
لقومه ومستدلاً عليهم • وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد
أهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي
أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئاً من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون • ثم قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين • وقال إذ جاء
ربه بقلب سليم أي من الشرك • وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قيل إنه إن لم يؤيدني
بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو

معصوم في الأزل من الضلال. فإن قلت فما معنى قوله: وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا، ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها. فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا كذلك. ومثله قول الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن. شيبا بماء فعادا بعد أبوالا. وما كانا قبل كذلك.

فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى. فليس هو من الضلال الذي هو الكفر. قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها. قاله الطبري. وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم. ونحوه عن السدي وغير واحد. وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها. والضلال هاهنا التحير. ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام. قال معناه القشيري. وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه. وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم. قاله علي بن عيسى. قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن له ضلالة معصية. وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين. وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة. وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا. وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الأزل لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي. وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك. وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة. ولم يريدوا هاهنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا. ومثله عند هذا إنا لنراها في ضلال مبين.

أي محجة بيّنة • وقال الجنيد ووجدك متحيراً في بيان ما أنزل إليك فهداك
لبيانه • لقوله تعالى وأنزلنا إليك الذكر لتبين • وقيل ووجدك لم يعرفك أحد
أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء • ولا أعلم أحداً من المفسرين قال
فيهما ضالاً لا يجد الإيمان • وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها إذاً
وأنا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد • قاله ابن عرفة • وقال
الأزهري معناه من الناسين • وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالاً فهدى
أي ناسياً كما قال تعالى أن تضل إحداهما • فإن قلت فما معنى قوله ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت
تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان • وقال
بكر القاضي نحوه • قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام • قال فكان قبل
مؤمناً بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف إيماناً •
وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام
الأصنام فلم يشهدهم بعد • فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جداً وقال هذا
موضوع أو شبيه بالموضوع • وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه • والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله عليه السلام بغضت إليّ
الأصنام • وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في
حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوباً فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي

١٦٩

ورآه لا تشهده فما شهد بعد لهم عيدًا. وقوله عليه السلام في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته
مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما فقال له بحيرا
فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك. وكذلك المعروف من سيرته
عليه السلام وتوفيق الله له أنه صلى الله عليه وسلم قبل نبوته يخالف المشركين في
وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام

الحمس من حلال

فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله. قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء
في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه. فأما ما عدا هذا
الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علمًا ويقينًا على الجملة وأنها قد احتوت
من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه. ومن طالع الأخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده. وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام
في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه. إلا أن أحوالهم في هذه
المعارف تختلف **فأما** ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة
من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها
وأمور الدنيا تضادها على خلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرًا من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
إن شاء الله. ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئًا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي
إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا
سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع

عدم

عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية. وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة. وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا
يصح من النبي عليه السلام إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو
أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث أم سلمة رضي الله عنها إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل
علي فيه. خرجه الثقات. وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم
فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد أن لو قام عليه
دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول
الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع. ونظر
النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من
أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر
علم جملتها عنده عليه السلام إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم
بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها
عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل. وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده صلى الله عليه وسلم من ملكوت

السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة
وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا
بوحي • فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان
عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر • لقوله عليه السلام إني لا أعلم إلا ما
علمني ربي • ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين •
وقول موسى للخضر عليهما السلام هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا • وقوله
صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم • وقوله عليه
السلام أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم • قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم
إلى الله تعالى • وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها
هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية

فصل واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا
القاضي الحافظ أبو علي رحمه الله • قال أخبرنا أبو الفضل بن خيرون العدل حدثنا
أبو بكر البرقاني وغيره • حدثنا أبو الحسن الدارقطني • حدثنا إسمعيل الصفار حدثنا
عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف • حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله
قال وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم • زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا
بخير • وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح

بعضهم هذه الرواية ورجحها. وروي فأسلم يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره
إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث. ورواه بعضهم
فاستسلم. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه
المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه.
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه
وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في
صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره. ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه
عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي
يقطع علي الصلوة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى
تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا. وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه
عنه عليه السلام إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت
أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة. وكذلك
في حديثه صلى الله عليه وسلم في الإسرا ثم أردت أخذه وذكر نحوه وطلب عفريت
له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه. ذكره في الموطا. ولما لم
يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في
غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك. وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم الآية. ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة
وكل هذا فقد كفاه الله تعالى أمره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام

أن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن
في الحجاب • وقال عليه السلام حين لُدَّ في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك
ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي • فإن قيل فما معنى
قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية • فقد قال بعض
المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين • ثم قال وإما ينزغنك
أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله • وقيل النزغ
هنا الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي • وقيل ينزغنك
يغريك ويحركك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه
غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم
يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه • وقد قيل في الآية غير
هذا • وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
في أول الرسالة ولا بعدها • والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي
صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري
يخلقه الله تعالى له أو ببرهان يظهره الله لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته • فإن قيل فما معنى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية • فاعلم أن للناس في معنى هذه
الآية أقاويل منها السهل والوهين والسمين والغث وأولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني هاهنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها شغله
بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه
أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه

ويكشف

ويكشف لبسه ويحكم آياته. وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا
إن شاء الله. وقد حكى السمرقندي إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان
وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح. وقد ذكرنا قصة سليمن بعد هذا مبينة
ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له. وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب عليه
السلام وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب. إنه لا يجوز لأحد أن يتأول
أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله
وأمره ليبتليهم ويثيبهم. قال مكي. وقيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به
إلى أهله. فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان.
وقوله تعالى عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه. وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان. وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان. فاعلم أن هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل
بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين. وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فإنما هو شيطان. وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ
لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه
والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى وقيل قبل موته. وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القرآن. وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت قبل نبوته. وقد قال المفسرون
في قوله تعالى أنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه
أحد صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام
وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا

وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله عليه السلام إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل وأما أقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر عن ربه عز وجل وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت

حالي

المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا
صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول
اني رسول الله اليكم لأبلغكم ما ارسلت به اليكم • وأبين لكم ما نزل عليكم •
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى • وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم •
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • فلا يصح أن يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل • فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص • فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب
برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم
وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى • قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتها لترتجى • ويروى ترتضى وفي رواية أن شفاعتها لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى • وفي أخرى • والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة
سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم •
وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه • وفي رواية أخرى
أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل عليه السلام جاءه
فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية • وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله
أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله

والثاني على تسليمه • أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه
أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل • وإنما أولع به وبمثله
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
إسناده واختلاف كلماته • فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي
قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة • وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها • وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك • وآخر يقول بل
أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة • ومن حكيت
هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها
إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية • والمرفوع فيه حديث
شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب
الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر
البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل
يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن
سعيد بن جبير • وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا • وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه • وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه

وكذبه

وكذبوه كما أشار إليه البزار رحمه الله • والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس
هذا توهينه من طريق النقل وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة
على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة • إما من تمنيه
أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر أو أن يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل • وذلك كله ممتنع في حقه
عليه السلام أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
أو سهوا وهو معصوم من هذا كله • وقد قررنا بالبرهان والإجماع عصمته
صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول
على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض
الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التأليف والنظم • ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك • وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف
بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه • ووجه ثالث
وهو أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه

والشمات
والشماتة

مرض من اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد وهذه القصة شيئا سوى
هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين
الصولة ولاقامت اليهود بها الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرى حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة • وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم
من هذه البلية لو وجدت • ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة • ولا عن مسلم بنت بنت شفة • فدل
على بطلها • والحسنات اصلها • ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن
هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين • وجه رابع
ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين •
وهاتان الايتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنوه
حتى يفتري وانه لولا ان ثبته الله لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في اخبارهم الواهية انه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون والافتراء
بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل • وهذا ضد
مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
تعالى في الاية الاخرى • ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء • وقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون • قال الله تعالى يكاد سنا
برقه يذهب بالابصار • ولم يذهب • واكاد اخفيها • ولم يفعل • قال القشيري
القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها
ووعدوه بالايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل • قال ابن الانباري ما قارب

ولا تشعبت

بطلانها

ما بقيه
الايمان

الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن. وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما
ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سخفها فلم يبق
في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته. ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية. وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد أعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند
قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب من جميع العمد والسهو. وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان. وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه صلى الله
عليه وسلم. وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله
بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين. ثم رجع إلى
تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو
وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر. ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة
فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع. والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده

وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل
القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصّد
الشيطان لتلك السكتات ودسّه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا
نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من
قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه
وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين
وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة
وسبب هذه الفتنة • وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الآية • فمعنى تمنى تلا • قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا أماني • أي تلاوة •
وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
آياته • وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدّث نفسه • وقال
اذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في
القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس
من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل
ينبه عليه ويذكر به للحين كما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو والغلط
وما لا يجوز • ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلا
وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة

قال الراغب الدس ادخال الشيء في الشيء بضرب من الاكراه واصل الدس الاخفاء ومنه العرف دساس شهاب

التمني لغة كما قال الراغب ازالة الشيء بعقبه كنسخ الشمس الظل شهاب

أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله
كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله تعالى ألكم الذكر
وله الأنثى • فأنكر الله كل هذا من قولهم ورجا الشفاعة من الملائكة صحيح
فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان وأحكم
آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس
كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى حكمة وفي نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين • وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم الآية • وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من
ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه
وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون • ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا
ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى الآية • وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن
وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو وكما تضمنه تعالى من قوله إنا نحن نزلنا
الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه
العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا

لذكرهم

ويشنعوا

ضمنه

تذهب مغاضبا. فاعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا
الباب أن يونس عليه السلام قال لهم إن الله تعالى مهلككم وإنما فيه أنه
دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يُطلب صدقه من كذبه لكنه قال
لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود. وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى السحاب القمر
فإن قلت فما معنى ما روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث
أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا بصيرا فيقول
له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما
كتبت له فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق
بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا
إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا. والعجب لسليم العقل كيف
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد
ما قاله وافتراه على نبي الله. وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله

لثوب القبر
الثوب القبر معا

كافرا ثم

وإذا

وأولئك هم الكاذبون. وما وقع من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايته
لها فليس فيه ما يدل أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع. وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس قال وأظن
حميدا إنما سمعه من ثابت قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ولهذا والله
أعلم لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت وحميد والصحيح حديث عبد العزيز
ابن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن أنس قول
شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة
لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز
للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه من
عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما أنزل
على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته
وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته
أو مبتدإ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك
في آية ولا سورة. وكذلك قوله عليه السلام إن صح كل صواب. فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله
عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى
الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما وجد ذلك في بعض
مقاطع الآي. مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت

قد

العزيز الحكيم وهي قراءة الجمهور • وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست
من المصحف • وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير هذه المقاطع قرأ بهما معا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق
ويقضي الحق • وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا
وهما • وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه كيف شاء فصل هذا القول
فيما طريقه البلاغ • وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند
لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال
نفسه • فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك
اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم رضي
الله عنهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره صلى الله عليه
وسلم في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في
شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا • ولما احتج
ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم
فقال عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله • وأيضا فإن أخباره وآثاره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه
السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به • ولو كان ذلك

لنقل

نقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا • وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب
كقوله عليه السلام والله لا أحلف على يمين فأرى خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت
عليه وكفرت عن يميني • وقوله عليه السلام إنكم تختصمون إلي الحديث • وقوله
عليه السلام اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر • كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها • وأيضا فإن الكذب
متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب
بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا • ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته
وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع
مسقط للمروءة • وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة • والمرة الواحدة منه فيما
يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك • وأما
فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في
الخلاف فيها مختلف فيه • والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين
بأنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام خلف في القول في وجه من الوجوه لا
بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو
فيما ليس طريقه البلاغ • نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد • وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش

غيرها

ويستشنع

وغيرها من العرب وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك
صحة ما أشرنا إليه **فصل** فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث
السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر حدثنا القاضي أبو
الأصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الفخار حدثنا
أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي
سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله
أقصرت الصلوة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن **وفي**
الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين
وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد
الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على
القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله صلى الله عليه وسلم جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد
لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم

أخبر عن اعتقاده وضميره. أما إنكار القصر فحق وصدق باطنًا وظاهرًا.
وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه
فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضًا. وجه ثالث
أن قوله عليه السلام ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدًا وسهوت
عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد. وجه رابع
وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله عليه السلام
كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله عليه السلام ما قصرت الصلاة وما نسيت
هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها
وتعسف الآخر منها. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى والذي أقول ويظهر
لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله عليه السلام لم أنس إنكار للفظ الذي
نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نُسّي. وبقوله عليه السلام في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى
ولكن أُنسّى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه عليه السلام. وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نُسّي
حتى سأل غيره فتحقق أنه نُسّي وأُجري عليه ذلك ليسن. فقوله على هذا لم أنس
ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي
وجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يسهو ولا ينسى. ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان
غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلًا بها لا غفلة

عنها فيندا ان نحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله عليه السلام ما قصرت ولا
نسيت خلف في قوله • وعندي ان قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت
بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد الله اعلم اني لم اسلم من ركعتين
تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي • والدليل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لا انسى ولكن انسى لاسن • واما قصة
كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة
في القرآن • منها اثنتان قوله اني سقيم • وبل فعله كبيرهم هذا • وقوله عليه السلام
للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب • اما قوله عليه السلام اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا •
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت • وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم • وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق • وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم
وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثنا نظره في ذلك •
وقبل استقامة حجته عليهم وفي حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكن ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
معلول حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نصه الله تعالى وقد قدمنا بيانه • واما قوله عليه السلام بل فعله
كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق
فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه • واما قوله

كانوا

عليه السلام

عليه السلام أختي فقد بيّن في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق
والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة **فإن قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد
سمّاها كذبات وقال لم يكذب إبرهيم إلا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا
في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبرهيم
عليه السلام بمؤاخذته بها **وأما الحديث** كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد
غزوة ورّى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ
عدوه حذره منه وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن
أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف **فإن**
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم
فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين
أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله تعالى أنه ليس كذلك **فاعلم** أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم أحدا أعلم منك
فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة • وعلى الطريق
الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء
تقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله عليه السلام أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمها
أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم
على الجملة بما تقدم • وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه

من لدنا علما. وعتب الله ذلك عليه فيما قال لم نعلم أنكار هذا القول عليه لأنه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه فتورثه ذلك من الكبر والعجب
والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الأنبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا
قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا يكون
الولي أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم. وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن أمري فدل أنه بوحي. ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله
بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره
الا أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئا يعول عليه. وإذا
جعلنا أعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم نحتج
الى اثبات نبوة خضر عليه السلام وبهذا قال بعض الشيوخ كان موسى عليه السلام
أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله تعالى والخضر أعلم فيما دفع اليه من موسى وقال
آخر انما ألجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم **فصل** وأما ما يتعلق بالجوارح
من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة
به فأجمع المسلمون على عصمة الانبياء عليهم السلام من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهذا مذهب القاضي أبي بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو اسحق

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة. والجمهور
قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى يعتصمون باختيارهم وكسبهم
إلا حسينا النجار فإنه قال لا قدرة لهم على المعاصي أصلا. وأما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به. وذهبت طائفة
أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع
بأحد الوجهين. وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى
عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره أن كل ما عصي الله
به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها الصغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ومخالفة
الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة. قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب
لا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء
والمشيئة في العفو عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية
وكثير من أئمة الفقهاء. وقال بعض أئمتنا ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى
إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضا مما
يعصم عنه الأنبياء عليهم السلام إجماعا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح

صغيره

الصغائر

يوجب

منصبه

الى الحظر • وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد
استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم
واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهم من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك • وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك التزام
ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل
العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب • وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع بما كان
من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة • ومن قال بالاباحة في افعاله لم
يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل
فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين • ونزيد هذه حجة بان نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول او فعل
وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا
حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل • واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر
والنهي عن فعل المكروه • وايضا فقد علم من دين الصحابة رضي الله عنهم قطعا
الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت • وفي كل فن كالاقتداء
باقواله صلى الله عليه وسلم فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع نعله صلى الله عليه وسلم واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله عنهما

إياه حالتنا الفضلى خاصته مستقبلا بيت المقدس • واختص غير واحد منهم
في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله وقال هلا أخبرتيها إني أقبل وأنا صائم • وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة
كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم • وغضب عليه السلام على الذي
أخبر بمثل هذا عنه يحل الله لرسوله ما يشاء • وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم
بحدوده • والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء
منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر عليه السلام
على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه • وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ
ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها
إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات
إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا
في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك فضل الله على نبينا صلى الله عليه وسلم
وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه
المخالفة ورسم المعصية

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل
النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون • والصحيح إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل
عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن
المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع • وقد اختلف الناس في حال نبينا
صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا فقال جماعة

لم يكن متبعاً لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر
الشريعة • ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة
ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر
من طريق السمع • وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة
إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة • وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك
عقلاً قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعاً من عرف تابعاً • وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي
أبي بكر أولى وأظهر • وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها
في أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي • وقالت فرقة ثالثة إنه كان
عاملاً بشرع من قبله • ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا • فوقف بعضهم
عن تعيينه وأحجم • وجسر بعضهم على التعيين وصمم • ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع • فقيل نوح • وقيل ابرهيم • وقيل موسى • وقيل عيسى • صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة • والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر
وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة
ولا حجة لهم في أن عيسى عليه السلام آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء
بعدها إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا
لنبينا صلى الله عليه وسلم • ولا حجة للآخر أيضاً في قوله تعالى أن اتبع ملة ابرهيم
حنيفاً • ولا للآخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً • فحمل هذه

ابن الطيب

الأمة على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده • وقد سمى الله فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
عليهما السلام على قول من يقول انه ليس برسول • وقد سمى الله تعالى جماعة منهم
في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى • وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا
القول في سائر الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية • واما من مال الى النقل فاينما
تصور له وتقرر اتبعه • ومن قال بالوقف فعلى اصله • ومن قال بوجوب الاتباع
من قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي • فصل هذا حكم ما تكون المخالفة
فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف • واما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر
الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه • فاحوال الانبياء عليهم
السلام في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سواء • ثم ذلك على
نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب • وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا • فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرد المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرد هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك وتسبب المطاعن • واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق • وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى

وطروء

أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد منه
جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة • وفرقنا بين ذلك وبين الأقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول • ومخالفة ذلك تناقضها وأما
السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات
القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون
فإذا نسيت فذكروني • نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام
سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن
بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن • وهذه الحالة زيادة له صلى الله عليه وسلم
في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن القائلين
بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه
ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول
الآخرين • وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام
وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من
طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل
وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله • وليس في هذا شيء يحط
من رتبته ويناقض معجزته • وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب
علم القلوب والمقامات وهم في هذه الأحاديث مذاهب سنذكرها بعد هذا
إن شاء الله تعالى **فصل** في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه

عليه السلام • قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام
وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه
في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن
نبسط القول فيه • الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة
ثلثة أحاديث **أولها** حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين **الثاني** حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين **الثالث** حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا • وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل
الذي قررناه • وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال • وشرطه أنه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة منه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق • وقد قال عليه السلام
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني • وقال رحم الله فلانا لقد
أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن • وقال عليه السلام إني
لأنسى أو أنسى لأسن • قيل هذا اللفظ شك من الراوي • وقد روي إني لا أنسى
ولكن أنسى لأسن • وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه
التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله • قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما
قاله أن يريد أني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم • أو أنسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف
أحد النسيانين إلى نفسه عليه السلام إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر • وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام
على الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لأن

النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما في
الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها. واحتج بقوله عليه السلام في الرواية الأخرى
إني لا أنسى. وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه عليه السلام
كان عمدا وقصدا ليسن. وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى
منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال. ولا حجة لهم في قولهم إنه
صلى الله عليه وسلم أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله عليه السلام إني لأنسى
أو أنسى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال إنما أنا
بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا
وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين
الطائفتين في قوله عليه السلام إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم
النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه لقوله عليه السلام بئسما
لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر
الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم
الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة
وقيل إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلوة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى
وقت الأمن وهو مذهب الشاميين. والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد
هذا فهو ناسخ له. فإن قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي.
وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة
منها أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد

وكذا

يندر

يندر منه غير ذلك • ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه
ان الله قبض ارواحنا • وقول بلال رضي الله عنه فيه ما القيت علي نومة
مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس
سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شا الله لايقظنا ولكن
اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا • وحديث ابن عباس رضي الله عنهما
المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث
آخر كيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت خطيطه ثم اقيمت الصلوة
فصلى ولم يتوضا • وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس
في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شا لردها الينا في حين غير
هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح
فصل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا لمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت • وقد قال عليه السلام
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني • وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت
انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ • اما نهيه عن ان
يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القرآن اي ان الغفلة في هذا

غطيطه صح

في هذا الممكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها ليمحو بها ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسي • وقد قيل إن هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه • والآخر
على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه عليه السلام لما أسقط من
هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم
يستذكرها من أمته او من قبل نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره • وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرة ويجوز أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى
كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام

على ما احتجوا به في ذلك اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء عليهم السلام
من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر
وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به من ذلك قديما وقامت الدلالة على خطإ قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير إلى ما صح • وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله تعالى •
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر • وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • وقوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك • وقوله تعالى عفا الله عنك

لو أردت هم • وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم • وقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآيات • وما قص من قصص غيره
من الأنبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى • وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا
أنفسنا الآية • وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما الآية
وقوله تعالى عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين • وما ذكر من قصة يونس وقصة
داود عليهما السلام • وقوله تعالى وظن داود أنما فتناه إلى قوله وأناب • وقوله
تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته • وقوله تعالى عن
موسى عليه السلام فوكزه موسى فقضى عليه • قال هذا من عمل الشيطان • وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه رب اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت • ونحوه من أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة • وقوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث
أبي هريرة رضي الله عنه إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين
مرة • وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى له
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون • وقال تعالى عن إبراهيم عليه
السلام والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين • وقوله تعالى عن موسى
عليه السلام تبت إليك • وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان • إلى ما أشبه هذه
الظواهر • فأما احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر • فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة
وبعدها • وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له •
وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر • وقيل
المراد بذلك أمته عليه السلام • وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل

قال القاضي رحمه الله

حكاه الطبري واختاره القشيري • وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر
من ذنوب أمتك • حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء • وبمثله والذي
قبله يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • قال مكي
مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لأمته • وقيل إن النبي صلى الله
عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم الآية • وبمآل المؤمنين في الآية
الأخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الآية أنك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب أن لو كان • قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب •
وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك • فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة • وهو قول ابن زيد والحسن • ومعنى قول قتادة • وقيل
معناه أنه حفظ قبل النبوة منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره • حكى
معناه السمرقندي • وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى
بلغها • حكاه الماوردي والسلمي • وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية
حكاه مكي • وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك
لك • حكى معناه القشيري • وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما
استحفظت وحفظ عليك • ومعنى أنقض • أي كاد ينقضه فيكون المعنى على
من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل
نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها
أو يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره
أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه • وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت

هم

لهم • فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب
إلى ذلك • قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا
وقد كان له صلى الله عليه وسلم أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف
وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم • فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى بما لم
يطلع من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
لخيل والرقيق ولم تجب عليكم قط أي لم يلزمكم ذلك • ونحوه للقشيري •
قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب • قال
ومعنى عفا الله عنك • أي لم يلزمك ذنبا • قال الداودي روي أنها تكرمة •
قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك • وحكى السمرقندي أن
معناه عافاك الله • وأما قوله في أسارى بدر • ما كان لنبي أن تكون له أسرى.
الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الأنبياء عليه وعليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي • فإن قيل فما معنى
قوله تريدون عرض الدنيا الآية • قيل المعنى بالخطاب لمن أراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه • بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر رضي الله عنه أن يعطف عليهم العدو • ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الآية • فقيل معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب

أخذ الأنفال التي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية • وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم • ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى • وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص • قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا • وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفدا على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك • وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري • وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله • وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق • وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك • وقال القاضي بكر ابن العلا أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفدا • وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها

ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بأزيد من عام • فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة • وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله
عليهم لكن الله تعالى أراد بعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته
وتاكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه
عتاب وإنكار أو تذنيب • هذا معنى كلامه • وأما قوله • تعالى عبس وتولى الآيات
فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله أن ذلك المتصدى له ممن
لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى
وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ومخالفة له • وما
قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده
والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله تعالى • وما عليك ألا يزكى • وقيل أراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم • قاله أبو تمام • وأما قصة
آدم عليه السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين • وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى • أي جهل • وقيل أخطأ فإن الله تعالى
أخبر بعذره بقوله تعالى • ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما •
قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله تعالى إن
هذا عدو لك ولزوجك الآية • وقيل نسي ذلك بما أظهرا لهما • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي • وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما • إني لكما لمن الناصحين •

وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم عليه السلام بمثل هذا
في بعض الاثار • وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع
وقيل نسي ولم ينو المخالفة • فلذلك قال ولم نجد له عزما • اي قصدا للمخالفة •
واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر • وقيل كان عند اكله سكران
وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا
لم تكن معصية • وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج
الناسي • والساهي عن حكم التكليف • وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه
يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى • فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله
عن شجرة مخصوصة لا عن الجنس • ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة • وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل
فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه • وقال فتاب عليه • وقوله في
حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت • فسياتي
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة
يونس عليه السلام • فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس في قصة يونس
نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه • وقيل انما نقم
الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب • وقيل بل لما وعدهم
العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا • وقيل
بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك • وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم • وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول

مرغوب

مرغوب عنه • وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون • قال المفسرون
تباعد • وقوله اني كنت من الظالمين • فالظلم وضع الشيء في غير موضعه •
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه • وقد
دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يواخذ • وقال الواسطي في
معناه نزه ربه عز وجل عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول ادم عليه السلام وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما
الى الارض • واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره
فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح • والذي نص
الله تعالى عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن ماب • وقوله
فيه اواب • فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب • قال قتادة مطيع وهذا التفسير
اولى • قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل
لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه
شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره • وقد قيل خطبها
على خطبته • وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد • وحكى السمرقندي ان
ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود عليه السلام من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين • قال الداودي ليس في
قصة داود عليه السلام واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم

وقيل إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية
وأما قصة يوسف عليه السلام وإخوته فليس على يوسف منها تعقب
وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط
وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء عليهم السلام. قال المفسرون يريد
من نبي من أبناء الأسباط. وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا
صغار الأسنان. ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله
معنا غدا نرتع ونلعب وإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم. وأما قول
الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه. فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا
معصية في همه إذا. وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن
الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة. وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق. فيكون إن شاء الله هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم
أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل
وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام
فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.
وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء. وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت
هيت لك الآية. قيل في رؤية الله. وقيل الملك. وقيل هم بها أي بزجرها ووعظها.
وقيل هم بها أي غمها امتناعه عنها. وقيل هم بها نظر إليها. وقيل هم بضربها

ودفعها

قتيله

ودفعها • وقيل هذا كله كان قبل نبوته • وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن
الى يوسف مثل شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه • وأما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي
وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى عليه السلام • وقال
قتادة وكزه بالعصى ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك • وقوله
هذا من عمل الشيطان • وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي • قال ابن جريج قال
ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر • وقال النقاش لم يقتله
عن عمد مريدا للقتل • وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه • قال وقد قيل إن
هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة • وقوله في قصته وفتناك فتونا
أي ابتليناك ابتلا بعد ابتلا • قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك • وقيل معناه أخلصناك إخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل
الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في
اختبار أدى إلى ما يكره • وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل
لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي
ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت
إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه
بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا

الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري
وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف وأما قصة سليمان عليه
السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه • وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن
الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله • قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على
كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته • وقيل بل مات فألقي على كرسيه
ميتا • وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه • وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني • وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن
أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم • وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه • ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على
ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الأنبياء من مثله • وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة
إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى الثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا
نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد
كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك

اوقص

وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره
من أنبياء الله تعالى ورسله بخواص منه • وقيل ليكون ذلك دليلاً وحجة على
نبوته كإلانة الحديد لأبيه • وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام واختصاص
محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة
العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك • فطلب
مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد
الله تعالى • فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله
الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله
ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش
لا يعلم بكفر ابنه • وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح عليه
السلام بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن
له فيه ولا نهي عنه • وما روي في الصحيح من أن نبياً قرصته نملة فحرق
قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس
في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصواباً بقتل
من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله تعالى • ألا ترى أن هذا النبي
صلى الله عليه وسلم كان نازلاً تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها
مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله تعالى إليه ما يوجب عليه معصية
بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى • ولئن صبرتم لهو خير [الصبر]
للصابرين • إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاماً
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك • ولم يأت في كل هذا أمراً

نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالذنوب والاستغفار
منه والله اعلم **فان قيل** فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم بذنب
او كاد الا يحيى بن زكريا او قال عليه السلام **فالجواب** عنه كما تقدم من ذنوب
الانبيا التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل** فان قلت فاذا
نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى • وما تكرر في القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شي
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا عليهم السلام في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم
في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها
او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور
الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
ماخوذ من الشي الدني والرذل • ومنه ذنب كل شي اي اخره • واذناب الناس
رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله تعالى واعظامه في السر والعلانية • وغيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات
في حقه كالحسنات • كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين • اي يرونها بالاضافة

وعظم

اراذلهم

د

الى على احوالهم كالشباب • وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك • وقوله تعالى غوى
اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل • وقيل اخطأ ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته • وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ
بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين • قيل انسي يوسف ذكر الله • وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده الملك • قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث • قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى • وقال بعضهم يواخذ الانبيا
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب • وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبيا يواخذون بهذا مما لا يواخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم
بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى • وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية • وقال بعد قوله
لموسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس • وقال بعد ذكر فتنة سليمان
وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب • قال بعض المتكلمين زلات الانبياء
عليهم السلام في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف • واشار الى نحو
مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمواخذتهم

الخلق

بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدّوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن
سواهم • ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين • قال ابن عطاء لم يكن
ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله
عليه وسلم • وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذًا عندكم
وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا
عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل • وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه السلام
وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبدا شكورا • وقال عليه
السلام إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي • قال الحارث بن أسد خوف الملائكة
والأنبياء عليهم السلام خوف إعظام وتعبد لله تعالى لأنهم آمنون • وقيل فعلوا
ذلك ليقتدي بهم ويستن بهم أممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا • وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا
أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى • قال الله تعالى إن الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الأنبياء والرسل للاستغفار والتوبة والإنابة
والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة • وقد
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية • وقال تعالى فسبح بحمد ربك

وَاستغفره إنه كان توابا **فصل** قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قررناه من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا
وشرعا • وعصمته صلى الله عليه وسلم عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله
تعالى وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا • وعن
الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للأمة • وعصمته في كل حالاته صلى الله عليه وسلم من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاها باليمين وتشد عليها يد
الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها
فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف
صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه • ولا ينزهه
عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الأسفل من النار إذ ظن الباطل به • واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار • ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو
معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا •
هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول • ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن
السكوت أولى • وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية

معتكف بها

يضطر إليها في أصول الفقه وينبني عليها مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص
بها من تشعب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله
عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز السهو عليه
فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به. وفائدة
ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه
وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري
هل ما قاله فيه نقص أو مدح. فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط
حقا أو يضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف أرباب
الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول
في عصمة الملائكة. أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة
المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه. وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء عليهم السلام مع الأمم
واختلفوا في غير المرسلين منهم. فذهبت طائفة منهم إلى عصمة جميعهم عن
المعاصي. واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.
وبقوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون
وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته الآية. وبقوله تعالى إن
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية. وقوله تعالى كرام بررة.
ولا يمسه إلا المطهرون. ونحوه من السمعيات. وذهبت طائفة إلى أن هذا

خصوص للمرسلين منهم والمقربين • واحتجوا بانباء ذكرها اهل الاخبار
والتفاسير ونحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله •
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم • **وقد رأيت** بعض شيوخنا اشار لاحاجة بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم • وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبياء عليهم السلام من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال
والافعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم
قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما **فاعلم** اكرمك الله ان هذه
الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره **وهذه** الاخبار من كتب
اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى اول الآيات من افترائهم بذكرهم
على سليمان عليه السلام وتكفيرهم اياه • **وقد** انطوت القصة على شنع عظيمة •
وها نحن نحبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان • وهل هما المراد
بالملكين ام لا • وهل القراءة ملكين او ملكين • وهل ما في قوله تعالى وما انزل على
الملكين وما يعلمان من احد نافية او موجبة • فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن • قال
الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا

يكذا بانه سحر فلا تكفروا • فعلى هذا يفعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به
ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن أبي عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ
بعضهم وما أنزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره أنهما مأذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلا فكيف لا ننزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكور في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما • قال مكي وتقدير الكلام وما
كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك
اليهود وما أنزل على الملكين • قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما
المجي به كما ادعوا على سليمن فأكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ببابل هاروت وماروت • قيل هما رجلان يعلمانه • وقال الحسن
هاروت وماروت علجان من اهل بابل • وقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام •
وتكون ما ايجابا على هذه وكذلك قرأه عبد الرحمن ابن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم • وقيل كانا ملكين
من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي • والقراءة بكسر اللام شاذة
فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا • وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون • وكرام بررة • ولا يعصون
الله ما أمرهم • ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله تعالى
فسجدوا الا ابليس • وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه

ابو الجن

ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى
وما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما روي في الاخبار ان خلقا من الملائكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يعرض لهم في الامور

الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام
وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها
يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه
كما عصم بعد نبينا عليه السلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة

يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد
أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث
وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه
ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه عليهم السلام مبتلى
ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين
أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى
بعيسى وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم
تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة
بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه
متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال
وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال عليه السلام
إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال عليه السلام لست
أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر صلى الله عليه وسلم أن سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا
نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما
هو في يقظته حتى جاء في بعض الآثار أنه كان صلى الله عليه وسلم محروسا من
الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد أخبر

جبل

والتغييرات

قد

انه لا يغتر به ذلك وانه تجلا فيهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني • وكذلك اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد
في بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام
سحر **كما حدثنا** الشيخ ابو محمد العتابي بقراتي عليه • قال حدثنا حاتم بن محمد •
حدثنا ابو الحسن علي بن خلف • حدثنا محمد بن احمد • حدثنا محمد بن يوسف •
حدثنا البخاري • حدثنا عبيد بن اسمعيل • حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله **وفي رواية** اخرى حتى كان يخيل اليه
انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث • واذا كان هذا من التباس الامر على
المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو
معصوم **فاعلم** وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا
وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم • واما ما ورد انه كان يخيل اليه
انه كان يفعل الشيء ولا يفعله • فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل

العوارض

طروه

إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم يتخلى عنه كما كان. وأيضا فقد فسر هذا
الفصل الحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله
ولا يأتيهن. وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون من السحر. ولم يأت في خبر
منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما
كانت خواطر وتخيلات. وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء
أنه فعله وما فعله لكنه تخييل ولا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها
على السداد وأقواله على الصحة. هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن
هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن
ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث. وهو أن عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر.
وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم. وذكر عن عطاء
الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة
فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث.
قال عبد الرزاق وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة
حتى أنكر بصره. فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر
في بصره وحبسه عن وطء نسائه فيكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا
يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا

(هامش: وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه صح)

منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ وأعترض
ولعله لمثل هذا أشار سفين بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر • ويكون قول
عائشة رضي الله عنها في الرواية الأخرى أنه يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله
من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض
أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره
وضعف نظره صلى الله عليه وسلم لا لشيء طرأ عليه في ميزه • وإذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد
المعترض أنسا **فصل** هذه حاله صلى الله عليه وسلم في جسمه • فأما أحواله
في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه
أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع **كما حدثنا** أبو بحر سفين بن
العاص وغير واحد سماعا وقراءة • قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر حدثنا
أبو العباس الرازي • حدثنا أبو أحمد بن عمرويه • حدثنا ابن سفين • حدثنا
مسلم • حدثنا عبد الله بن الرومي • وعباس العنبري • وأحمد المعقري • قالوا
حدثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة • حدثنا أبو النجاشي • حدثنا رافع
ابن خديج • قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل
فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم
فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر • وفي رواية أنس أنتم
أعلم بأمر دنياكم **وفي حديث** آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن **وفي
حديث** ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا
بشر أخطئ وأصيب. وهذا على ما قررناه فيما قاله صلى الله عليه وسلم من قبل
نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه عليه السلام لما نزل بأدنى
مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه
أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة
قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد
قال الله تعالى وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث
ثمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا
وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما
هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي
صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض
الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز
في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل وأما
ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه صلى الله عليه وسلم وقضاياهم
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام

الجوارح

إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من
بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه
شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار • وحدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ • حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر • حدثنا
أبو داود • حدثنا محمد بن كثير • أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن
زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعلّ بعضكم أن يكون أبلغ
من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له • وتجري أحكامه عليه السلام على
الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة • ولكن لما
أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره
صلى الله عليه وسلم • وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله تعالى به لم
يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من
قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه
هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله تعالى له بما أطلعه الله عليه من سرائرهم
وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي
في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به صلى الله عليه وسلم في تعيين قضاياه
وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان
بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول • وكان

صلى الله عليه وسلم حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام
وأكثر فائدة لوجوب التشاجر والخصام • وليقتدي بذلك كله حكام أمته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب
الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من
عصمته صلى الله عليه وسلم **فصل** وأما أقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية
من أخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله • فقد قدمنا أن الخلف
فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض
أو رضى أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم • هذا فيما طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب **فأما** المعاريض الموهم ظاهرها
خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره **وكما** روي من ممازحته
ودعابته لبسط أمته صلى الله عليه وسلم وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته
وتأكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله عليه السلام لأحملنك على ابن
الناقة • وقوله عليه السلام للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه
بياض • وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض •
وقد قال عليه السلام إني لأمزح ولا أقول إلا حقا • هذا كله فيما بابه الخبر
فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية
فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء وهو
يبطن خلافه • وقد قال عليه السلام ما كان للنبي أن تكون له خائنة الأعين
فكيف أن تكون له خيانة قلب **فإن قلت** فما معنى إذا قوله تعالى في قصة زيد

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ الآية
فَاعْلَمْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ وَلَا تَسْتَرِبْ فِي تَنْزِيهِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذَا
الظَّاهِرِ وَأَنْ يَأْمُرَ زَيْدًا بِإِمْسَاكِهَا وَهُوَ يُحِبُّ تَطْلِيقَهُ إِيَّاهَا كَمَا ذُكِرَ عَنْ
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ • وَأَصَحُّ مَا فِي هَذَا مَا حَكَاهُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ أَعْلَمَ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ زَيْنَبَ سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ
فَلَمَّا شَكَاهَا إِلَيْهِ زَيْدٌ قَالَ لَهُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَأَخْفَى مِنْهُ فِي
نَفْسِهِ مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُهَا مِمَّا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَمُظْهِرُهُ بِتَمَامِ
التَّزْوِيجِ وَطَلَاقِ زَيْدٍ لَهَا • وَرَوَى نَحْوَهُ عَمْرُو بْنُ فَائِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ نَزَلَ جِبْرِيلُ
عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يُعْلِمُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُزَوِّجُهُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَذَلِكَ
الَّذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ وَيُصَحِّحُ هَذَا قَوْلُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا وَكَانَ
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا أَيْ لَا بُدَّ لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا وَيُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُبْدِ مِنْ أَمْرِهِ
مَعَهَا غَيْرَ زَوَاجِهِ لَهَا فَدَلَّ أَنَّهُ الَّذِي أَخْفَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا كَانَ أَعْلَمَهُ بِهِ تَعَالَى
وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْقِصَّةِ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ الآية
فَدَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَرَجٌ فِي الْأَمْرِ • قَالَ الطَّبَرِيُّ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُؤَثِّمَ نَبِيَّهُ صلى الله
عليه وسلم فِيمَا أَحَلَّ مِثَالَ فِعْلِهِ لِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ • قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُنَّةَ اللَّهِ فِي
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ أَيْ مِنَ النَّبِيِّينَ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ • وَلَوْ كَانَ عَلَى مَا رُوِيَ فِي حَدِيثِ
قَتَادَةَ مِنْ وُقُوعِهَا فِي قَلْبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَمَا أَعْجَبَتْهُ وَمَحَبَّتِهِ طَلَاقَ
زَيْدٍ لَهَا لَكَانَ فِيهِ أَعْظَمُ الْحَرَجِ وَمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ مَدِّ عَيْنَيْهِ لِمَا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ زَهْرَةِ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَكَانَ هَذَا نَفْسَ الْحَسَدِ الْمَذْمُومِ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ وَلَا يَتَّسِمُ بِهِ الْأَتْقِيَاءُ
فَكَيْفَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ صلى الله عليه وسلم • قَالَ الْقُشَيْرِيُّ وَهَذَا إِقْدَامٌ عَظِيمٌ مِنْ قَائِلِهِ
وَقِلَّةُ مَعْرِفَةٍ بِحَقِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَبِفَضْلِهِ • وَكَيْفَ يُقَالُ رَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ وَهِيَ

[illegible]

بنت عمته فلم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها
لزيد وانما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة
حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم • وقال تعالى
لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم • ونحوه لابن فورك • وقال ابو
الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها
فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد
خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك
لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل
كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه رآها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من
استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين
رضي الله عنهما وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي
القشيري • وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من
اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحيا اي يستحيي منهم
ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه

عن نكاح حلائل الأبناء كما كان عتبنا الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم
فيما أحله لهم كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله تعالى
لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله تعالى له عليه السلام هاهنا وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنهما لو
كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما
أخفاه فصل فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في أقواله في جميع
أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
قال حدثنا القاضي أبو الوليد قال حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو الهيثم
وأبو إسحاق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا علي بن
عبد الله حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت
رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي
رواية ايتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر
استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه أن النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر
رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من

يقول ما قاله عمر رضي الله عنه. قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا
إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر. وإنما الأصح والأولى
أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب. وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من
رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن
عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق. وكذا
رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
به حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه
اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى يقول
والله يعصمك من الناس ونحو هذا. وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق. وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف
اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي
صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعله قد ظهر من قرائن

قوله

قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة
ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر
رضي الله عنه اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال
املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم اشتد به الوجع • وقيل خشي عمر رضي الله ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا
وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال
اليوم اكملت لكم دينكم • وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم • وقد قيل ان عمر رضي الله عنه خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك
الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك • وقيل انه كان من النبي
صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام
يختلفون فلما اختلفوا تركهم وقالت طايفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر
به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل
التي ذكرناها • واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث • واستدل بقوله عليه السلام دعوني

فإنّ الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خيرٌ من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم • وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده
وتعيين ذلك **فصل** فإن قيل فما وجه حديثه أيضًا الذي **حدثناه** الفقيه أبو محمد
الخشني بقراءتي عليه • حدثنا أبو علي الطبري • حدثنا عبد الغافر الفارسي • حدثنا
أبو أحمد الجلودي • حدثنا ابرهيم بن سفين • حدثنا مسلم بن الحجاج • حدثنا
قتيبة • حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين • قال سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللّهم إنما محمد بشرٌ
يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه فأيما مؤمن
آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقربه بها إليك يوم
القيمة **وفي** رواية فأيما أحد دعوت عليه بدعوة **وفي** رواية ليس لها بأهل
وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاةً
وصلاةً ورحمةً وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله **فاعلم** شرح الله صدرك أن قوله أولًا ليس لها بأهل
أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال والحكمة
التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا له عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه
ولعنه له رحمةً فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه السلام يحمله الغضب
ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم • وهذا معنى صحيح
ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز

ليكون

ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه وسبه وانه مما
كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد
يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد وفي غير موطن على غير
العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت
يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته • وقد ورد في
صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا • وقال انس رضي الله عنه لم يكن
سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه
فيكون حمل الحديث على هذا المعنى • ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة
تعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة • وقد
يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على الياس والقنوط • وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه عز وجل لمن جلده او سبه على حق • وبوجه صحيح ان يجعل
ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب
العفو والغفران كما جا في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو
كفارة له فان قلت فما معنى حديث الزبير رضي الله عنه وقول النبي صلى الله عليه
وسلم حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال له اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان
النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط

والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر وحرج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح
فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلا في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن
نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله لا لنفسه
كما جاء في الحديث الصحيح. وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعديه حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني
بالقضيب فلا أدري عمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذلك في
حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو
يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه
وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف
لي عن بطنه إنما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا
تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه. فصل
وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروه ما قدمناه

ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه، وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا
فيها على الندور إذ عامة أفعاله صلى الله عليه وسلم على السداد والصواب بل أكثرها
أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ
منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر
معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد
للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات، ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
وإجابة الصارخ، وكذلك في لباسه وسائر أحواله صلى الله عليه وسلم بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح أمته، وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته
وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا
وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه
كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة
لأن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث، وتركه بناء الكعبة على
قواعد إبراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال في الحديث الصحيح
لعائشة رضي الله عنها لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها

للعدو من قريش. وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من أمري ما استدبرت
ما سقت الهدي. ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل
ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره. ويبذل الرغائب ليحبب
إليه شريعته صلى الله عليه وسلم ودين ربه عز وجل. ويتولى في منزله ما يتولى
الخادم من مهنته. ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه. وحتى
كأن على رؤوس جلسائه الطير. ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه. قد وسع الناس بشره وعدله.
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن عن جلسائه. يقول ما كان
لنبي أن تكون له خائنة الأعين. فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام لعائشة
رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول
وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس
لشره. وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال.
فالجواب أن فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
إيمانه ويدخل في الإسلام أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام.
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية
وقد كان صلى الله عليه وسلم يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة. قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى
صار أحب الخلق إلي. وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لا سيما وكان مطاعا متبوعا. ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح

يعني

الرواة والمركبين في الشهود فإن قيل فما معنى المفصل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن
يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام
خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس
في كتاب الله فهو باطل وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها أولا حتى شرطوا
ذلك عليها ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم
أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا
اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال
تعالى وإن أسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك وجه ثان
أن قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية
والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم
قبل أن الولاء لمن أعتق وكأنه قال صلى الله عليه وسلم اشترطي أو لا تشترطي
فإنه شرط غير نافع وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله
عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث
أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فإن قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام

بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرق فيها وما جرى على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا **فاعلم** أكرمك الله أن الآية تدل أن فعل يوسف عليه السلام كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الآن بشا الله الآية • فإذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه • وأيضاً فإن يوسف عليه السلام كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس • فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك **وأما قوله** أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم عليه جواب حل شبهته • ولعل قائله إن حسن له التأويل كائناً من كان ظن على صورة الحال ذلك • وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن يقول لأنبياء ما لم يثبت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء عليه وعليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب وداود ويحيى وزكريا وعيسى وإبرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون • ولنبلوكم أيكم أحسن عملاً • ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين • وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم • فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل

وَالتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدًا لتصابرهم في رحمة الممتحنين
والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل • حدثنا القاضي ابو علي الحافظ • حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون • قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي • حدثنا
ابو علي السنجي • حدثنا محمد بن محبوب • حدثنا ابو عيسى الترمذي • حدثنا
قتيبة • حدثنا حماد بن زيد • عن عاصم بن بهدلة • عن مصعب بن سعد • عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل
يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
ما عليه خطيئة • وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات
الثلث وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام
اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة • وفي حديث آخر اذا احب الله عبدًا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان
بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب • كما روي عن لقمان انه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء • وقد حكي ان ابتلاء
يعقوب بيوسف عليهما السلام كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف
نائم محبة له • وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا

على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان يقينه خيانة بامر منادنا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد
عند ال يعقوب وعوتب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروى عن الليث
ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا
له الا ايوب عليه السلام فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه
ومحنة سليمن عليه السلام لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده • وهذه فائدة شدة المرض والوجع
بالنبي عليه السلام • قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت الوجع على احد اشد
منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل
ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان
النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله • وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء • وان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى • ومن سخط فله السخط • وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به • ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى
هذا عن عايشة رضي الله عنها وابي ومجاهد • وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه • وقال في رواية عايشة ما من مصيبة

تصب

يصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها. وقال في رواية أبي
سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا
غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما
من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة
أخرى أودعها الله تعالى في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها
وشدتها عند مماتهم ليضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف
عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجاءة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة. وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة
الزرع يفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه من حيث أتتها
الريح تكفأها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله. معناه أن المؤمن مرزأ مصاب
بالبلاء والأمراض راض في تصريفه بين أقدار الله تعالى مطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما أتتها. فإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما
تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها
وضعفها بتوالي المرض أو شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع
بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة

وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كما يخاف
الآزفة وكما قال الله تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله
في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم
من أخذته الصيحة الآية • فيفاجئهم بالموت على حال عتو وغفلة وصحتهم به
على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة • ومنه وحديث ابراهيم
كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجاءة • وحكمة ثالثة
أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من أصابته وعلم تعاهدها له للمفارقة ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد
ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى
وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن
يخلفه أو أمر يعهده • وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد
من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا
إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده
ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا • وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإمهال الله تعالى لهم ليزدادوا إثما
وليستدرجهم من حيث لا يعلمون • قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون الآية • ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة
سبحان الله كأنه على غضب • المحروم من حرم وصيته • وقال موت الفجاءة راحة

للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب
الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر
مفجأة على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق
الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل
متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان اليهود كانوا
يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا
يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا

نزغك فنهوا عن ذلك إذ مقصده أنهم لا ينزغونه إلا بدعائه لهم وهو عليه
السلام واجب إجابته بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ
كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما
دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به
فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل
محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع
العلة • وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله تعالى • وأن ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا • وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعوه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه
عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن
ذلك إذا لم يوقر فقال عليه السلام تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم • وروى
أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه أبو جعفر الطبري • وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل
يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب
لا أرى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا

وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراما
لهم بذلك وغير أسماءهم وقال لا تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك. والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل إطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك
وقد سمى جماعة منهم محمدا وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه. وقد أخبر عليه السلام أن ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد
ابن ثابت بن قيس وغير واحد. وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب أو نقص

من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض
به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض
منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو
تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزورا أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة
الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر
أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه قال

القاضي أبو الفضل وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل
توبته عند هؤلاء ‧ وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم والثوري
وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة ‧ وروى مثله الوليد بن
مسلم عن مالك رضي الله عنه ‧ وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه ‧ وقال سحنون فيمن سبه ذلك
ردة كالزندقة ‧ وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد
أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ‧ ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة ‧ وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله
وتكفيره ‧ وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف
في تكفير المستخف به ‧ والمعروف ما قدمناه ‧ قال محمد بن سحنون أجمع العلماء
أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الأمة القتل ‧ ومن شك في كفره وعذابه كفر ‧ واحتج إبراهيم
ابن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم ‧ وقال أبو سليمان الخطابي لا أعلم أحدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما ‧ وقال ابن القاسم عن مالك
في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية ‧ وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن
حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب ‧ وقال ابن القاسم
في العتبية أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق
وقد فرض الله تعالى توقيره وبره ‧ وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا لم يستتب والإمام مخير في صلبه
حيا أو قتله ‧ ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا رحمه الله يقول من

ذلك

المتنقص

سبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقّصه قُتل مسلمًا كان
أو كافرًا ولا يُستتاب • وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سبّ
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قُتل ولم يُستتب •
وقال أصبغ يُقتل على كل حال أسرّ ذلك أو أظهره ولا يُستتاب لأن توبته لا
تُعرف • وقال عبد الله بن عبد الحكم من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر
قُتل ولم يُستتب • وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زرّ النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ أراد به عيبه قُتل • وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على نبي
من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يُقتل بلا استتابة • وأفتى أبو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي الجمّال يتيم أبي طالب بالقتل • وأفتى أبو محمد بن أبي زيد
بقتل رجل سمع قومًا يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرّ بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في
خلقه ولحيته • قال ولا تُقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب
سليم الإيمان • وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله
عليه وسلم كان أسود يُقتل • وقال في رجل قيل له لا وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلامًا قبيحًا فقيل له ما تقول يا عدوّ الله
فقال كلامًا أشدّ من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال
ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك • قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يُقبل لأنه امتهان
وهو غير معزّر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقّر له فوجب إباحة دمه •
وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أدّ واشكُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل • وافتى فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا • وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزا بالله وانبيائه ونبينا عليه وعليهم السلام فاحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقها وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا
ثم انزل واحرق بالنار • وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها
الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجا كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا
عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم • وقال القاضي ابو عبد الله
بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل
لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين
من عصمته صلى الله عليه وسلم • وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة • وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا
او مصرحا وان قل فقتله واجب • فهذا الباب كله مما عده العلما سبا وتنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم
قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد • وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه

أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه. فحكم هذا كله لمن قصد
به نقصه القتل. وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه.

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام. فمن القرآن
لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف في
قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل. فقال
تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الآية. وقال في قاتل المؤمن مثل
ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل. قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا. وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن. قال الله تعالى قتل الخراصون. وقاتلهم الله أنى يؤفكون أي لعنهم الله. ولأنه
فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال
وكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل. وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره
حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا. وقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم
ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل. وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير. وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
أليم. وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم
بعد إيمانكم. قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأما الإجماع فقد ذكرناه. وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد
ابن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني.

اصحابه

وابو عمر بن حيويه قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن
الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده
عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي
صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله عليه السلام من لكعب بن الاشرف
فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك
قتل ابا رافع قال البرا وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك
امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام
وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد رضي الله عنه انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل
جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة
عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى
يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير رضي الله عنه انا فبارزه
فقتله الزبير وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني
عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا

مطلب

فقتله

فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم • وبلغ المهاجر بن أبي أمية
أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هنالك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت
لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام من لي بها فقال
رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق
رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين • وحكى القاضي إسمعيل وغير واحد من
الأيمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل
فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس
فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم • قال القاضي أبو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه أحد فاستدل الأيمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي
صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه • ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر
إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه • وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين
ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم خلد **قال القاضي** ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه كذا وقع في هذه الحكاية
رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذاهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقتله لذلك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه • ويدل على
قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره • ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة
والكوفيين • والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر • وقوله اما
صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك
توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله
تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم •
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير • وقيل
قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل • وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان
مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية
على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته عليه السلام على غيره **فصل** فان قلت فلم

يشتهر

مستسرا به

لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعا عليه
ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد تأذى
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال عليه السلام قد أوذي موسى بأكثر
من هذا فصبر • ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان فاعلم
وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام يستألف
عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول عليه السلام لأصحابه رضي الله عنهم إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا
معسرين • ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا • ويقول لا يتحدث
الناس أن محمدا يقتل أصحابه • وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز
لنا اليوم الصبر لهم عليه • وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك أمره الله
تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
الآية • وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم • وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله صلى الله عليه وسلم
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم
أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به
ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا
بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة • وحكمه عليه السلام على الظاهر
وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون

كفره

عليها إذا أُمِنت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء
ظاهرا وأخلص سرا كما أخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا
رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده من أقوالهم ما رفع وإنما نقله
الواحد ولم تصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي وعبد وامرأة والدماء
لا تستباح إلا بعدلين • وعلى هذا يحمل أمر اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم
ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك
لم ينفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود إذا
سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم • وكذلك قال بعض
أصحابنا البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم
يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم • وأيضا فإن الأمر كان سرا
وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب • وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد
المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدو منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في
الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو والظالم أن القتل إنما كان

عليه السلام

للعداوة

وطلب

للعداوة أخذ البرة • وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس
رحمه الله • ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه •
وقال عليه السلام أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام
الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس
في علمها • وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم • وقاله القاضي أبو الحسن بن القصار • وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا إلى قوله تقتيلا • قال معناه إذا أظهروا
النفاق • وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها • وقال بعض مشايخنا لعل
القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله
عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي
وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه • وكذلك يقال في اليهود
إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي
لا بد من لحاقه جميع البشر • وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة
الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب • ولهذا ترجم البخاري رحمه الله
على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال
بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه السلام سواء • وقال
القاضي أبو محمد بن نصر محتجا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في

الحديث هل كان اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك لموجب الأدلة
للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون • ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه • ولما ذكرنا
معناه عن مالك رحمه الله وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه
وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وإنزالهم
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم
من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال
يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم
أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام ما
انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب
من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره عليه السلام
حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي
شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه أو يكون هذا ممن آذاه به كافر وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها • ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء

بلغه

استئلافهم

استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل

قد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن
أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء
وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والإزراء ولا
معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه
أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل
أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو
يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو عقله أو زهده صلى الله عليه وسلم
أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد
لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن
ظهر بدليل حاله أنه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله
أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول دون تلعثم إذ لا يعذر أحد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في
فطرته سليماً إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان • وبهذا أفتى الأندلسيون على
ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه • وقال
محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن
يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان
في مثل هذا • وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل
لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضاً فإنه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم

من زوال عقله بها وإتيان ما أنكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا
ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود • ولا يعترض على هذا الحديث
بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي • قال فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في
جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب
الدواء المأمون • **فصل الوجه الثالث** أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به
أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير
ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله • ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان
حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله
من كذب أو غيره وإن كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله
التوبة كما سنبينه • قال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله من برئ من محمد صلى الله
عليه وسلم أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع • وقال ابن القاسم
في المسلم إذا قال إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي ولم يرسل ولم ينزل
عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل • قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد • وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب •
وكذلك فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه • وقاله سحنون • وقال ابن القاسم
دعا إلى ذلك سرا أو جهرا • قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع
الفرية على الله • وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال
بعد نبيكم نبي إنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله عليه السلام لا نبي بعدي مفتر على الله في

عند تام

إنه م

دعواه

دعواه عليه الرسالة والنبوة. وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد. وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الأمة القتل. وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل لم يكن عليه السلام بأسود. وقال نحوه أبو
عثمان الحداد قال لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو إنه كان بتاهرت ولم يكن
بتهامة قتل لأن هذا نفي. قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة. **فصل**
الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل أو يلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره
فها هنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. فمنهم من غلب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل. ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول. وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه
غريمه فقال له صل على النبي محمد. فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل
لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون
عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم. وقال
أبو إسحاق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس. وهذا نحو قول
سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم
الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على
أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي صلى الله عليه وسلم

تحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه • وذهب الحرث بن
مسكين القاضي وغيره في مثل هذا إلى القتل • وتوقف أبو الحسن القابسي في
قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده
في القيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده
هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره
أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين • وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال
قال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد
من إمعان النظر فيه هذا معنى كلامه • وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد
الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان •
وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفي
من لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به أنه كان يعذر بالجهل
وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر
حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه السلام وإنما لعن من حرمه من
الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما
يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة
كلب • وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه
وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه

بالقيود

إن

قصدت من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل. وقد نص في القول في نحو
هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم
أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله
أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في
المسئلتين تقتضي تخصيص آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم

بعض

وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له
تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحق
ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ. وكان القاضي أبو محمد بن
منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار. وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو
من هذا وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه
وهن ثم أطلقه. وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عيسى أيام
قضائه أتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف
من الناس فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه. فصل

الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر
بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه السلام الجائزة عليه في
الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند
هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق

بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السو
فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولوا العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على
اكثر مما صبرت • وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود •
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام • كقول المعري
كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير • على ان اخر
البيت شديد وداخل في باب الازرا والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل
حال غيره عليه • وكذلك قوله • لولا انقطاع الوحي بعد محمد •
قلنا محمد من ابيه بديل • هو مثله في الفضل الا انه • لم ياته برسالة جبريل •
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي عليه السلام في فضله
بالنبي عليه السلام والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناوه عنها وهذه اشد • ونحو منه قول الاخر •
واذا ما رفعت راياته • صفقت بين جناحي جبريل • وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا • فصبر الله قلب رضوان • وكقول حسان
المصيصي من شعرا الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره
ابي بكر بن زيدون • كان ابا بكر ابو بكر الرضى • وحسان حسان وانت محمد •
الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم

به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم لا سيما الشعر وأشدهم فيه
تصريحاً وللسانه تسريحاً ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج
كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه
وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها
وإن لم تتضمن سباً ولا أضافت الى الملائكة والأنبياء نقصاً ولست أعني عجزي
بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضاً فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا
عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة
نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلا في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى
عن جهر القول له ورفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم فحق هذا ان درئ
عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على
ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر
الرشيد على ابي نواس قوله فإن يك باقي سحر فرعون فيكم
فإن عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا
موسى وأمر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه
ايضاً وكفر فيه او قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقاً وخلقاً كما قد الشراكان وقد انكروا
ايضاً عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره لأن حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه
ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج

جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي النوادر من رواية
ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلا بالفقر فقال تعيّرني بالفقر وقد رعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه
أرى أن يؤدب • قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد
أخطأت الأنبياء قبلنا • وقال عمر بن عبد العزيز انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا
فقال كاتب له قد كان أبو النبي عليه السلام كافرا فقال جعلت هذا مثلا
فعزله وقال لا تكتب لي أبدا • وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له عليه السلام وتعظيما
كما أمرنا الله • وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل
عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني
القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف
النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير
والتوهين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب
واقع على المخاطب • وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء • قال وأما ذاكر
مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا
أن يكون المعبّس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف • وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل • وقال أبو
الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك

لرجل

مطلب

والتهوين

على

التعريض

أمي

أتى فقال الشاب ألم يكن النبي عليه السلام أميا فشنع عليه مقاله وكفره
الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق
الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي أميا آية له عليه السلام وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب
واعترف ولجأ إلى الله تعالى فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه
الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه. ونزلت أيضا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله
في رجل تنقصه رجل آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع
أدبه إذ لم يقصد السب. وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

مطلب

فصل

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه: الوجوب. والندب. والكراهة. والتحريم. فإن كان
أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير
منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب
أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه. فإن
كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو
يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما
سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه

ذلك من أئمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين • وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد
في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته • وان لم يكن
القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية
عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا
قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان بها الامر سقط عن
الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا • وقد سئل
ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا
يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد • وكذلك ان
علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد
ويلزمه ذلك • واما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى
لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح • واما للأغراض
المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب • وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله عليه وعليهم السلام في كتابه على وجه الإنكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله تعالى
علينا في محكم كتابه • وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة • واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على
حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس

والملحدة

حق م

وبغضوا تشبيهها عليهم • وإن كان ورد لأحمد بن حنبل رحمه الله إنكارٌ
لبعض هذا على الحرث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في ردّه على الجهمية والقائلين
بالمخلوق هذه الوجوه الشائعة الحكاية عنها • فأما ذكرها على غير هذا من
حكاية سبّه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث
الناس • ومقالاتهم في الغث والسمين • ومضاحك المجان • ونوادر السخفاء •
والخوض في قيل وقال • وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة
من بعض • فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه
أو لم يكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوّم
ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الأدب أشد • وقد حكي أن رجلا سأل مالكا رحمه الله عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما
سمعناه منك • وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه
لم ينفذ قتله • وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره
أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف
له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه عليه السلام وسبّه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل
إلى الهاوية أمه • وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي
به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر • وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى
وجد دون محو • ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا

من البشاعة

من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله ومن كوار وإنه لا أنشادكرو
بنيرة وغير مستشنعة على نحو وجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذ
المفتري عليه بذنبه • وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرّى
فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم
المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته
أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل**
الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه
عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به
وصبر في ذات الله على شدته من مقاسات أعدائه وأذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء
عليهم السلام أو ما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس
فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد
اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده • ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه أو
يخشى به فتنته • فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما
من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبر الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام وهذا
لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء حكمة بالغة

وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريبه برعايتها لسياسة أممهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم • وكذلك قد ذكر
الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له وذكر الذاكر
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم
منته عنده ليس فيها غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى
امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم
غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين • ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من
الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه صلى الله عليه وسلم • ولهذا
قال هرقل حين سال ابا سفين عنه هل في اباءه من ملك ثم قال ولو كان في
اباءه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه • واذ اليتم من صفته واحدى
علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة • وكذا وقع ذكره صلى الله
عليه وسلم في كتاب ارميا • وكذلك اذا وصف صلى الله عليه وسلم بانه امي كما
وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه • وقاعدة معجزته
اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب • والامية في غيره

ذاك

نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة • فسبحان من باين أمره من أمر
غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه • هذا
شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه • وهلم جرا إلى سائر ما روي
من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين
خطيرها وحقيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها • كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه • فمن أورد منها شيئا مورده وقصد
بها مقصده كان حسنا • ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصد لحق بالفصول التي قدمناها • وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار
سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا
تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يحدث
منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت • ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فأكثرها ليس تحته عمل • وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت
عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها

وصريحها

وصرّحها ولا يتحقق إشارتها إلى غرض لا يجاز وجهها وتلطيفها وتلويحها
فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من أمرّه ومنهم من كفر • فأما ما لا يصح من
هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه
صلوات الله عليهم • ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها • والصواب
طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاني
واهية الإسناد • وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام
على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها
من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس • والله أعلم

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر
من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته • وإذا أخذ في
أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ
وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
أو الكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول
والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويجتنب لفظة الكذب
جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم وهل يمكن ألا يكون

عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول بجهله لقبح اللفظ وبشاعته
وإذا تكلم في الأفعال قال هل تجوز عليه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا
من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير
وإعظام • وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب
عبارته فيه • ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله • وإذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام
أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها
يعظم الأمر أو يهونه • ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما ما أورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره صلى الله عليه وسلم
مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا • وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره عليه السلام كما قدمناه في القسم الثاني • وكان بعضهم يلتزم
مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته
وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا
من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه

وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته • قد قدمنا
ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد

فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء رحمهم الله
قتله حداً لا كفراً إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء
تائباً من قبل نفسه لأنه حد وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود.
قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة
قتل بالسب لأنه حده. وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله. وأما ما بينه وبين الله
تعالى فتوبته تنفعه. وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل. وكذلك قد اختلف في الزنديق
إذا جاء تائباً فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي
الظهور عليه فبادر لذلك. ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها
بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة. قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله وهذا قول أصبغ. ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين. والزنديق إذا تاب بعد
القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته
وعند الشافعي رضي الله عنه تقبل. واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف
رحمهما الله. وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب. قال محمد
ابن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل
من دين إلى غيره وإنما فعل شيئاً حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق

لانه لم ينتقل من طاهر الى طاهر • وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه
السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق
فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته • ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق
فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف • وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته صلى الله عليه وسلم وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن
بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه
وقال ابن عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل
ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هولاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل • واما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك رحمه الله ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل
فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه • والوجه الاول اشهر واظهر لما
قدمناه • ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل
فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين • اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره

عنه
ابو
وقال به جماعة من اهل العلم

الاقلاع

الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدّاً لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك
حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب. فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر
ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره
بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلاً
ومعصية وأنه مقلع عن ذلك ونادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام
الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة
وأما من علم أنه سبّه معتقداً لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك. وكذلك
إن كان سبّه في نفسه كفراً كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا مما لا إشكال
فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدّاً لقوله
ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر
بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافراً بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزّل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
إن شاء الله. **فصل** إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على
الاختلاف في توبة المرتد إذ لا فرق. وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها
ومدتها فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب. وحكى ابن القصار أنه
إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء

بما يجب

ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي
واحمد واسحق واصحاب الراي • وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن
في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب • وقال عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره
عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول
اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله
صلى الله عليه وسلم فاقتلوه • وحكي ايضا عن عطا ان كان ممن ولد في الاسلام
لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة في
ذلك سوا • وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق • وقاله
عطا وقتادة • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النسا في الردة
وبه قال ابو حنيفة وقال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سوا
واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه انه يستتاب ثلثة
ايام يحبس فيها • وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي رضي الله عنه
وقول احمد واسحق • واستحسنه مالك • وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير
وليس عليه جماعة الناس • قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء
ثلثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه يحبس
ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل • وقال ابو الحسن ابن
القصار في تاخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الراي • وروي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
رضي الله عنه مرة اخرى • فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني
وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل • وروي عن علي

من بدل دينه
ولم يتب

رضي الله عنه يستتاب شهرين • وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته • وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله انه يستتاب
ثلث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة • وفي كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه •
واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا
فقال مالك رحمه الله ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره • وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام • وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار • قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
او وحده اذا استوثق منه سوا ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى • وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد • وقد استتاب
النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا • قال ابن وهب
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد رحمهما الله وقاله
ابن القاسم • وقال اسحق يقتل في الرابعة • وقال اصحاب الراي ان لم يتب في
الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة • قال ابن المنذر ولا نعلم احدا
اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي رحمهم الله تعالى **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب
ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد
عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد

الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من
شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى
طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من
وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال
وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون • وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته • وقال القابسي في مثل هذا • ومن كان أقصى
أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم يسغ أن يطلق من السجن ويستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى
ينظر فيما يجب عليه • وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر
الواضح • وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحتهما ما
أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه
وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان
من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما
فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد • والله ولي

مسألة

جرحتهما

الإرشاد

الإرشاد. فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه صلى الله
عليه وسلم أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا
وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة
فإنهم قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر.
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم الآية. ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة
على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون بكفرهم.
وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم. وكذلك سبهم للنبي
صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا
ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد. وحكى أبو مصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه
ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا
رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله. قال الله تعالى قل للذين
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا

إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء • وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به
فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل إسلامه من قتل وقذف • وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل
توبة الكافر أولى • قال مالك رحمه الله في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم
من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله
ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون • وقال سحنون وأصبغ لا
يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة • وفي كتاب محمد
أخبرنا أصحاب مالك رحمه الله أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب • وروي لنا عن مالك
إلا أن يسلم الكافر • وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنهما أن راهبا
تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه • وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما
نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله تعالى أقرهم على مثله
وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو
شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل • قال ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب
الموجع والسجن الطويل • قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما

يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب. قال ابن
القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا. وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان
ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذ كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع
السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم. قال محمد
ابن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا
فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم. قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية
على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من
سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك
لا تحصنه الذمة قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبته مما به
كفروا فتأمله. ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك [فحكى, in red ink in the margin]
أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب. وسئل أبو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل. وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه أنه قال مسكين محمد أنه في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت
الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس. قال مالك رحمه الله أرى
أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت

الصمت. قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته
وإن شاء أحرقه بالنار حيًّا إذا تهافتوا في سبه. ولقد كُتب إلى مالك رحمه الله
من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن
يُقتل وأن تُضرب عنقه وكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار
فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا
عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق. وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن
لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية
ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول إسلامها
ودرء القتل عنها به. قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر
قُتل ولا يستتاب. وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل
بإسلامه. وحكى ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا
يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط بإسلامه حدود الله. فأما حد
القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل
حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة
عليه. اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر

بسبه كفر الزندقة . وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرا
بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب . قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة
فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شيء . وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل
إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام . ولو أقر بالسب
وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار .
وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر
مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون
في الزنديق يتمادى على قوله . ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من
أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله . قال ابن القاسم
وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد
إليه ولا تجوز وصايا . ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال
أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث . وقال أبو محمد فيمن سب
الله تعالى ثم مات ولم تعد عليه بينة أو لم تقبل أنه يصلى عليه وروى
أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين . وقال بقول مالك
إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته . ربيعة والشافعي رضي الله عنه .
وأبو ثور وابن أبي ليلى . واختلف فيه عن أحمد . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي
والليث وإسحق وأبو حنيفة رحمهم الله يرثه ورثته من المسلمين • وقيل ذلك فيما
كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل أبي الحسن في باقي
جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على
قولي مالك رحمه الله في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة • وقاله أصبغ ومحمد
ابن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن
نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه
وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد
وسحنون • وذهب ابن قاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به
وتاب فقتل فلا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث • قال وكذلك
كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب
عن نصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون
فأجاب أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين
ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره •

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته

وأنبياءه وكتبه وآل النبي وأزواجه وصحبه صلى الله عليه وعليهم
أجمعين ∴ لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
واختلف في استتابته • فقال ابن قاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد •
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحق بن يحيى من سب الله تعالى من

المسلمين

المسلمين قيل ولم يستتب الا ان يكون فتر على الله بازدياده الى دين كان اخر
به واظهره يستتاب وان لم يظهره لم يستتب • وقال في المبسوطة مطرف
وعبد الملك مثله • وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
المسلم بالسب حتى يستتاب • وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل
منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو
الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب • وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما
حكاه عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره • واما فيما بينه وبين
الله تعالى فمعذور • واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب
اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد
عليه بشهادات • منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي
هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن
حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض
فيه كالتصريح • وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن
عاصم وسعيد بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه
التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي
وجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق
بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال
الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام • ووجه ترك استتابته
انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه
لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم

الزنديق ولم تقبل توبته. وإذا انتقل من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المستمسك به، وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما نبيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده. واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا. وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم. كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ. وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه رحمهم الله من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا. وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم. وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه، ومثله له في المبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا

لرأيهم

لرأيهم السوء، وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز. قال ابن القاسم من قال إن الله تعالى
لم يكلم موسى عليه السلام تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل. وابن حبيب
وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجئة. وقد روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله تعالى كلام
أنه كافر. واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر
ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم. وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجه. قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم. وروي
عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار. وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
فأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر قطع ذلك منه لأنه شبه الله
بنفسه. وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه. وقال أيضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يموت. وفي رواية بشر بن بكر
التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته. قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني
والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية. وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم. وحكى
ابن المنذر عن الشافعي رحمه الله لا يستتاب القدري. وأكثر أقوال السلف
تكفيرهم. وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة. روي عنهم ذلك فيمن
قال بخلق القرآن، وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث
وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين. وهو قول أكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب
البدع المتأولين. وهو قول أحمد بن حنبل. وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة
في هذه الأصول. وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب

وابن عمر والحسن البصري رضي الله عنهم وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين رحمهم الله ورثة أهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم.
قال إسمعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى
الإمام قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح
الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
من العداوة. فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين. قد ذكرنا مذاهب
السلف في إكفار أهل البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه
إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف. ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال نورثهم من المسلمين ونحكم
لهم بأحكامهم. ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول
جميع أصحاب مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب. قال لأنه مسلم وذنبه لم
يخرجه من الإسلام. واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
أو ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه
وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق وقال إنها من المعوصات
إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في
المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس رحمه الله حتى قال في بعض

والحق

كلامه

كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا
الصلوة على ميتهم • ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال
ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم هم من المسلمين • واكثر ميله
الى ترك التكفير بالمال • وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري
واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري
تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس
بعارف به وهو كافر • ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد
عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان
ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين • وقال غيرهما من
المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء
المسلمين المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في
سفك محجمة من دم مسلم واحد • وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني
الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله • فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه • والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة
للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم • وكذلك في الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين
والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل

تمام

قاطع. وقوله في الخوارج هم شر البرية وهذه صفة الكفار. وقال شر قتيلٍ
تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه. وقال عليه السلام فإذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عادٍ وثمود. وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعادٍ فيحتج
به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم
هاهنا حدٌّ لا كفر. وذكر عاد تشبيهٌ للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من
حكم بقتله حكم بكفره. ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي. فإن احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن
لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم. وكذلك قوله عليه السلام
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم
إلى فوقه. وبقوله عليه السلام سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام
بشيء. أجابه الآخرون أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله
ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله. فإن احتجوا بقول أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل من هذه وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه
اللفظ. أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحًا بكونهم من غير الأمة
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر
وعلي وأبي أمامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون
من أمتي. وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا
على إدخالهم فيها بمن. لكن أبا سعيد رحمه الله أجاد ما شاء في التنبيه الذي

التشكك

نبّه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحقيقهم المعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية. هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة. أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك. وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيهاً لله تعالى بخلقه وتجويراً له في فعله وتكذيباً لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئاً قديماً لا يقال له الله فهو كافر. وقال بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله تعالى فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر. وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل. وقد فارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره. وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني. وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو غيرهم. وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيراً من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال. وقد نحا الغزالي رحمه الله قريباً من هذا المنحى في كتاب التفرقة. وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحداً من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك فيه. قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب

النص والتوقيف أو شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر
والله أعلم **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف
فيه وما ليس بكفر **اعلم** أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده
الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت
بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان
أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من
مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى
كتاب • وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض • وكذلك من اعترف بالإلاهية الله ووحدانيته ولكنه
اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو
صاحبة أو والدا أو أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل
شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره • فذلك كله كفر
بإجماع المسلمين • كقول الإلاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد
الأشخاص • كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة •
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على
مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها
أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها •
وكذلك من اعترف بالإلاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها

مطلب

عموما أو نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين
نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود
والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا
رضي الله عنه كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية
والعنبدية من الشيعة والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد
أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم • وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع المسلمين كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء
زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون
من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم
يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به • وكذلك من أضاف إلى
نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه
أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم
أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع • وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير
إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب

مطلب

مطلب

قائله وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
عليه السلام ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي وليس الذي كان بمكة
والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به
وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه السلام أو بعده كالعيسوية من
اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة • وكالبزيغية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان وأشباه هؤلاء • أو من ادعى
النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة • وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة
أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلام
أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه
أرسل للناس كافة • وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن
مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص • فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف
كلها قطعا إجماعا وسمعا • وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص
الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بإبطال الرجم • ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام
واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف
ذلك • وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة

مطلب

وتكفير

وتكفير جميع الصحابة رضي الله عنهم كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا رضي الله عنه اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك رحمه الله في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وسلم • وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام • وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض علماء المتصوفة • وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد • وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار • وعلى تكفير الباطنية في قولهم

عنه

مصرحا

أن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم • وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها • ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين • فلا يجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم • وشرح مراد الله تعالى بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك أو المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري • وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا

حاشية

وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين

منه أو غيّر شيئاً منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية أو زعم
أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة • كقول
هشام الفوطي ومعمر الضمري أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله صلى الله
عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك نكفرهما لإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له أو في خلق السموات والأرض دليل على الله لمخالفتهم الإجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القرآن به • وكذلك من أنكر شيئاً مما نص فيه بعد علمه أنه من القرآن الذي
أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام
واحتج لإنكاره له إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز
الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه • وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو
البعث والحساب والقيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على
صحة نقله متواتراً • وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة
والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وأنها لذات
روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة • وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة • وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء • فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي إلى إنكار قاعدة
من الدين كإنكاره غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان

ولا محالة
القرآن
في
كإنكار

رجلا فيه على رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شرع
فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع الجملة اذ ليس في ذلك اكثر من
المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه • فاما
ان ضعف ذلك من اخبار الاحاد لنا قلت وهم المنكر الخبر فتكفيره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة • فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع • فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عموما • وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع • وذهب اخرون الى
الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء • وذهب
اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للاجماع • قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل
بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا
راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
عليه او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر • او يقوم دليل على ذلك فقد
كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
الا باحد ثلثة امور • احدها الجهل بالله تعالى • والثاني ان ياتي فعلا او
يقول قولا يخبر الله ورسوله عنه او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا
من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها

في اعتقادهم . أو يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضربان وإن لم يكونا جهلاً بالله فهما علم أن فاعلهما كافر منسلخ من الإيمان
فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية أو جحدها مستبصراً في ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال
الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف
بها وأعراه عنها . وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر
وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه . فأما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ها هنا فكفره بعضهم . وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره
وقال به أبو الحسن الأشعري مرة . وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن
اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع
بصوابه ويراه ديناً وشرعاً وإنما نكفر من اعتقد أن مقاله الحق . واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله علي . وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله
له . قالوا ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها
إلا الأقل . وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه . منها أن قدر بمعنى قدّر
ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع
ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ
كفراً . فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول . أو يكون قدر بمعنى
ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضباً لعصيانها . وقيل قال ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التي أذهبت لبه فلم يؤاخذ به . وقيل كان هذا في زمان الفترة وحيث ينفع

توحيده

زمن

بحرد التوحيد • وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك
ومعناه التحقيق • وهو يسمى تجاهل العارف • وله أمثلة في كلامهم • كقوله
لعله يتذكر او يخشى • وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين • فاما
من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له • ومتكلم ولكن
لا كلام له • وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل
لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى
وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى
اليه قولهم • وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم • ومن لم يواخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير
اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي
من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول
ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه • فعلى هذين المأخذين اختلف الناس
في اكفار اهل التاويل • واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء
حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة
عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع
الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم • وهذه كانت سيرة
الصدر الاول فيهم • فقد كان نشا على زمان الصحابة رضي الله عنهم
وبعدهم في التابعين رحمهم الله من قال بهذه الاقوال من القدر وراي
الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم
هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق

ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن رأى غير ذلك • والله الموفق للصواب • قال القاضي أبو بكر
وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء
الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح
إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى • ولا أجمع المسلمون على إكفار من
جهل شيئا منها • وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في
هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله • فصل • هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
وأما الذمي فتروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة
الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب • وقال مالك رحمه الله في كتاب ابن حبيب • والمبسوطة •
وابن القاسم في المبسوط • وكتاب محمد وابن سحنون • من شتم الله تعالى من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب • قال
ابن القاسم إلا أن يسلم • قال في المبسوطة طوعا • قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والولد • وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض
للعهد • قال ابن القاسم في كتاب محمد • ومن شتم من غير أهل الأديان الله
تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم • وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان
أو كافرا فإن تاب وإلا قتل • وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك •
وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا
أن يسلم • وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل • وذكرنا قول عبيد الله وابن

مطلب

لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه
الذي كفرت به بالله والنبي عليه السلام وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول
الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به. ولا فرق في
ذلك بين سب الله تعالى وسب نبيه عليه السلام لأنا عاهدناهم على أن لا
يظهروا لنا شيئا من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم. واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك رحمه الله
ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر. وقال
عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه
جزية. قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره. فصل هذا حكم من صرح
بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته عز وجل. فأما مفتري الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله تعالى
خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله
كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من
القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من
تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي. وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه

كما يؤدب على قبائح الأفعال ووالى أدبه على ذلك حتى ينكشف عنه كما تؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض • وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه
من ادعى له الإلهية • وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم • وأجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم • والمخالف في ذلك من كفرهم كافر • وأجمع فقهاء بغداد
أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الإلهية والقول بالحلول • وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته • وكذلك حكموا في ابن أبي العزاقر وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي
عمر المالكي • وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل • وقال أبو حنيفة
وأصحابه رحمهم الله من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب
فهو مرتد • وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن
تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد • وقاله سحنون وغيره • وقاله
أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب
فإن تاب وإلا قتل • وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه
زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره • وهذا على القول
الآخر من أنه لا تقبل توبته • وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله
أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن
هذا كفر المتلاعبين • فصل • وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه عز وجل
وجلالته مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع

مطلب قتل الحلاج ابن منصور

مطلب

من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للإلحاد. فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه. وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه.
وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي
عجب. وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده. وكان
بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه
الأدب. وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه
في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب
عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده
بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم
وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم
تكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها. وقد سئل ابن القاسم عن
رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا
أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب. ولو
قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله. وقد أسرف

كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفافهم في عظيم هذه الحرمة
فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره. ولولا أنا قصدنا
نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه
الفصول. وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول
بعض الأعراب. رب العباد ما لنا وما لكا. قد كنت تسقينا فما بدا لكا.
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا. في أشباه هذا من كلام الجهال. ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله. قال أبو سليمان
الخطابي وهذا تهور من القول. والله تعالى منزه عن هذه الأمور. وقد
روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في
كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا. وكان بعض من
أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للإنسان جزيت خيرا. وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه
تعالى أن يمتهن في غير قربة. وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي
كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى [وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه صح] ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي
صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق

فصل

وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما
أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه وعليهم السلام على مساق ما
قدمناه. قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسله الآية. وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل

الينا وما انزل الى ابرهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم • وقال تعالى
كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله • قال
مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد • وقاله ابن القاسم • وابن الماجشون •
وابن عبد الحكم • واصبغ وسحنون • فيمن شتم الانبيا او احدا منهم او
تنقصه قتل ولم يستتب • ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبيا عليهم السلام من اليهود و
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم • وقد
تقدم الخلاف في هذا الاصل • وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمن
في بعض اجوبته من سب الله وملئكته قتل • وقال سحنون من شتم ملكا
من الملئكة فعليه القتل • وفي النوادر عن مالك رحمه الله فيمن قال
ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان
تاب والا قتل • ونحوه عن سحنون • وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي رضي الله عنه
من الغراب بالغراب • وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب
باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم او برئ منهم فهو مرتد • وقال
ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو
عرف انه قصد ذم الملك قتل • قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا
كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين او على معين ممن حققنا
كونه من الملئكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل • وميكائيل •
ومالك • وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران •

من الملايكه ومن سمى فيه من الانبيا وكعزرايل واسرافيل ورضوان
والحفظه ومنكر ونكير من الملايكه المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت
الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملايكه او الانبيا كهاروت
وماروت في الملايكه والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد
ابن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمه ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر
حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت
نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملايكه فان كان المتكلم في
ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلما في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل
هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف
للعامه **فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشي منه
او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشي منه او كذب بشي
مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه
بذلك او شك في شي من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى
وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي
حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو
عن ابي سلمه عن ابي هريره رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرا

في القرآن كفر. تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه. وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او
لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر. وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو
في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا
لكل هذا انه كافر. ولهذا رأى مالك رحمه الله قتل من سب عائشة رضي الله عنها
بالفرية لانه خالف القرآن. ومن خالف القرآن قتل. اي لانه كذب بما فيه.
وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل. وقاله عبد
الرحمن بن مهدي. وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب
الله تضرب عنقه الا ان يتوب. وكذلك كل من كذب بحرف منه قال
وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
وشهد آخر عليه انه قال ان الله تعالى ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا
على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر. وكان ابو العالية اذا قرأ
عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم
فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه من كفر باية من القرآن فقد كفر به كله. وقال اصبغ بن الفرج من

كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به
فقد كفر بالله ۔ وقد سئل القابسي عن من خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال
الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن
القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا
يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ۔ ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل ۔ وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن
شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته
وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي
ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر
الأبهري وغيره ۔ وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله
معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن ۔ قال أبو محمد
وأما من لعن المصحف فإنه يقتل

فصل

وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه
عليه وعليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله ۔ حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله ۔ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل ۔ حدثنا
أبو يعلى ۔ حدثنا أبو علي السنجي ۔ حدثنا ابن محبوب ۔ حدثنا الترمذي ۔ حدثنا
محمد بن يحيى ۔ حدثنا يعقوب بن إبراهيم ۔ حدثنا عبيدة بن أبي رائطة عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني

أشهد

فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه • وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه
يجيء قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا
تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم • وعنه عليه السلام
من سب أصحابي فاضربوه • وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم
يؤذيه وأذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي
فإن من آذاهم فقد آذاني • وقال عليه السلام لا تؤذوني في عائشة •
وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها • وقد اختلف
العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك رحمه الله في ذلك الاجتهاد والأدب
الموجع • قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم
أصحابه أدب • وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال
وكفر قتل • وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا • وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه
أدب أدبا شديدا • ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد
ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي
صلى الله عليه وسلم • وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عليا أو عثمان رضي الله عنهما أو غيرهما يوجع ضربا • وحكى أبو محمد
ابن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل • ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل

النكال الشديد • وروي عن مالك رحمه الله من سب أبا بكر جلد ومن
سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن • وقال ابن شعبان
عنه لأن الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله الآية • فمن عاد
لمثله فقد كفر • وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال
إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه
كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه
المنافقون إلى عايشة فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم
بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه
في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عايشة
ومعنى هذا والله أعلم أن الله تعالى عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه عليه السلام وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم
مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه • وشتم رجل عايشة
بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى
أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين • وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود
فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم • وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال مالك
رحمه الله من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا
الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة أصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهم الأنصار

في تنزيهه

ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الآية • فمن تنقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين • وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن
زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا
اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب
اصحابي فاجلدوه • قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية
لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا
فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه • قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم عليه السلام • ولو سمعه الامام واشهد
عليه كان ولي القيام به • قال ومن سب عايشة من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ففيها قولان • احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته • والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول
اقول • وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف
بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم • وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل
انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار
وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر
في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل • والفقيه الذي
صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر
ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله • هنا انتهى القول بنا فيما حررناه •
وانتجز الغرض الذي انتحيناه • واستوفى الشرط الذي شرطناه • مما اخذنا

ان

أنّ في كلّ قسمٍ منه للمزيد مقنعًا • وفي كلّ بابٍ منه نُجحًا إلى بغيته ومنتزعًا • وقد
سفرتُ فيه عن نكتٍ تُستغرب وتُستبدع • وكرعتُ في مشاربَ من التحقيق
لم يوردها قبلي أكثر التصانيف مشرع • وأودعته غير ما فصلٍ وددتُ
لو وجدتُ من بسط لي الكلام فيه • أو مقتدى يغنيني عن كتابته أو فيه •
لأكتفي بما أرويه عمّا أرويه • وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنّة بقبول ما منه
لوجهه • والعفو عمّا تخلّله من زيغٍ وتصنّعٍ لغيره • وأن يهب لنا ذلك بجميل
كرمه وعفوه • لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه • وأسهرنا به
جفوننا لتتبّع فضائله • وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله •
ونحّى أغراضنا عن نار الموقد لجانبنا كريم عرضه • ويجعلنا ممّن لا يذاد إذا
ذاد المبدّل عن حوضه • ويجعله لنا ولمن تهمّم باكتتابه واكتسابه • سببًا
يصلنا بأسبابه • وذخيرةً نجدها يوم تجد كلّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضرًا
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه • ويخصّنا بخصيصا زمرة نبيّنا صلى الله عليه وسلم
وجماعته • ويحشرنا في الرعيل الأوّل وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته •
ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم • ونجح بالنصيح لذة الحقائق
ما أودعناه وفهم • ونستعيذ به جلّ اسمه من دعاءٍ لا يسمع • وعلمٍ لا ينفع •
وعملٍ لا يرفع • فهو الجواد الذي لا يخيب من أمّله • ولا ينتصر من خذله •
ولا يردّ دعوة القاصدين • ولا يصلح عمل المفسدين • وهو حسبنا ونعم الوكيل •
وصلواته على نبيّنا محمّدٍ خاتم النبيّين • وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين •

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

اما بعد فقد قرأ علي جميع كتاب الشفا للامام الحافظ المحقق ابي الفضل عياض بن موسى
ابن عياض اليحصبي السبتي المالكي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وبركاته في الدنيا والاخرة
من نسخته النفيسة الشيخ الاوحد الزاهد العابد الفاضل المفيد شمس الدين ابو عبد الله
محمد ابن الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ عماد الدين اسمعيل بن احمد بن عثمان الدمياطي الاصل المحلي المالكي
نفعه الله تعالى بالعلم ونفع به قراءة حسنة محررة في مجالس آخرها يوم الخميس ثالث عشري
جمادى الاولى عام اربعة وثمانين وثمانمائة واجزت له ان يرويه عني جميعه وجميع ما لي من مفرد
ومسموع ومجاز ومجموع بشرطه عند اهله وكتبه عثمان بن محمد الديمي الشافعي حامدا مصليا مسلما

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فهذه أحاديث خرجها بعض العلماء الأعلام في اصطناع المعروف للمسلمين نفع الله به

الحديث الأول عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله

الحديث الثاني عن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى عبادا اختصهم لحوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيمة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله عليها والناس في الحساب

الحديث الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون غدا من عذاب الله

الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له

الحديث الخامس عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله

الحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منفعة بر أو تيسير عسير أعين على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام

الحديث السابع عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل خلقا خلقهم من قضى حاجتهم كان [illegible] حرم الله عليه النار

الحديث الثامن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخل الجنة

الحديث التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته ولا يزال الله تعالى في عونه ما دام في عون أخيه

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له شعلتين من نور على الصراط يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة

الحديث الحادي عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار يوم القيمة سبع خنادق ما بين الخندق والخندق ما بين السماء والأرض

الحديث الثاني عشر عن مسلمة بن مخلد رضي الله عنه من نفس عن مكروب كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته

الحديث الثالث عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها حولها منهم وجعلها في غيرهم

الحديث الرابع عشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أضاف مؤمنا أو خفف له حاجة كان حقا على الله أن يخدمه وصيفا في الجنة

الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما جلس قوم في مسجد يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه

الحديث السادس عشر عن عمرو بن مرة رضي الله عنه وكانت له صحبة أنه قال لمعاوية إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله بابه عن حاجته وفقره ومسكنته

الحديث السابع عشر

عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا اليّ توجروا
ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء **الحديث الثامن عشر** عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثة وسبعون حسنة واحدة منها يصلح الله بها
اخرته ودنياه والباقي في الدرجات **الحديث التاسع عشر** عن انس ابن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب اغاثة اللهفان **الحديث العشرون**
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان **الحديث الحادي والعشرون** عن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المسلم واشباع جوعته
وتنفيس كربته **الحديث الثاني والعشرون** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن اخيه المسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر على اخيه
ستر الله عليه في الدنيا والاخرة والله عز وجل في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه **الحديث الثالث والعشرون**
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان
في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم
القيمة ومن ستر على مسلم ستر الله عليه يوم القيمة **الحديث الرابع والعشرون** عن انس ابن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها اصلاح
امره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيمة **الحديث الخامس والعشرون** عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال ان تدخل على اخيك المسلم سرورا او تقضي
عنه دينا او تطعمه خبزا **الحديث السادس والعشرون** عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان
قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف الى اخيك وتدفع عنه الكريهة **الحديث
السابع والعشرون** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عاد المومن
اخاه او زاره في الله يقول الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا **الحديث
الثامن والعشرون** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن
مراة المومن حيث لقيه ينصحه ويحوطه من ورائه **الحديث التاسع والعشرون** عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله
اعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على احد من اهل المعروف **الحديث الثلاثون** عن ابي بكر ابن حزم
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لا يزال يخوض في الرحمة حتى اذا قعد استنقع فيها ثم
اذا رجع لا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث اتى **الحديث الحادي والثلاثون** عن انس رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من [illegible] بستانا تجري له اجره حتى ياتي يوم القيمة [illegible] **الحديث
الثاني والثلاثون** عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الذي يرحم نفسه واهله خاصة ولكن الذي
يرحم المسلمين **الحديث الثالث والثلاثون** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة **الحديث الرابع والثلاثون** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل انا الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن جعلت
مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعلت مفاتيح الشر على يديه **الحديث الخامس والثلاثون** عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي
فارحموا خلقي **الحديث السادس والثلاثون** عن ابي بردة عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل المومنين فيما بينهم كالبنيان يشد بعضه بعضا او يمسك بعضه بعضا **الحديث السابع
والثلاثون** عن ابي [illegible] عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يخذل
اخاه في مصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيمة **الحديث الثامن والثلاثون** عن ابي

عن أم الدرداء قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة

الحديث التاسع والثلاثون عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة لا يقومن أحد إلا أحد عفا لله عز وجل فيقول الخلائق سبحانك بل لك الحمد فيقولون ذلك مرارا فيقول بلى من عفى في الدنيا عن قدرة

الحديث الأربعون عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أي العمل أحب إليك قال أنفع الناس للناس

وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم هذا الكتاب الشريف

وكتب هذه الأحاديث الأربعين

الفقير إلى الله تعالى [illegible]

[illegible]

غفر الله له ولوالديه

ولمشايخه ولمن نظر فيه ودعا له

بالمغفرة والدخول إلى الجنة

[illegible]

والحمد لله وحده

[illegible]

بالمدرسة [illegible]